

المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس ـ السويسي
معهد الدراسات الإفريقية
الرباط

سلسلة : نصوص ووثائق (12)

الرسالة الغلاوية

تأليف
الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ
سيد المختار الكنتي الوافي

و

رسالة في نسب إدولحاج الشرقيين

تأليف
عبد الله بن سيد محمود الحاجي

تحقيق
حماه الله ولد السالم

منشورات معهد الدراسات الإفريقية
2003

الرسالة الغلاوية ورسالة

في نسب إدو لحاج الشرقيين

عنوان الكتاب : الرسالة الغلاوية ورسالة في نسب إدو لحاج الشرقيين

الناشر : معهد الدراسات الإفريقية

سلسلة : نصوص ووثائق

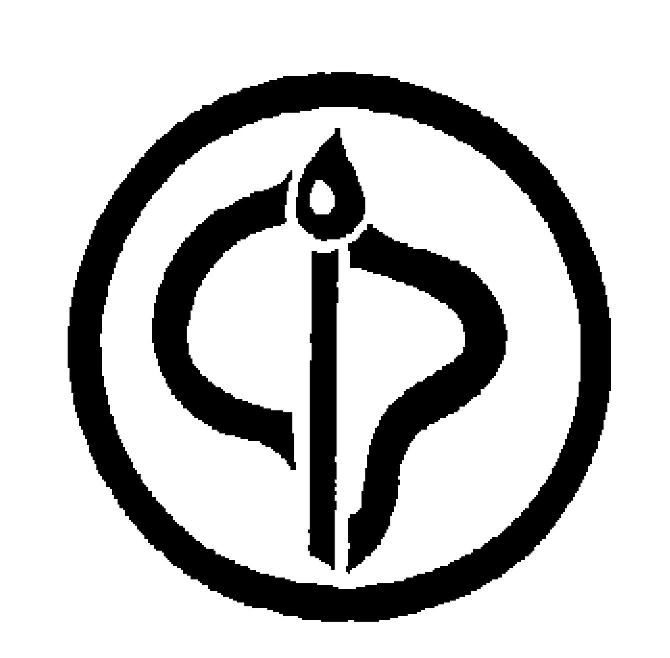
حقوق التأليف : معهد الدراسات الإفريقية - الرباط - المغرب

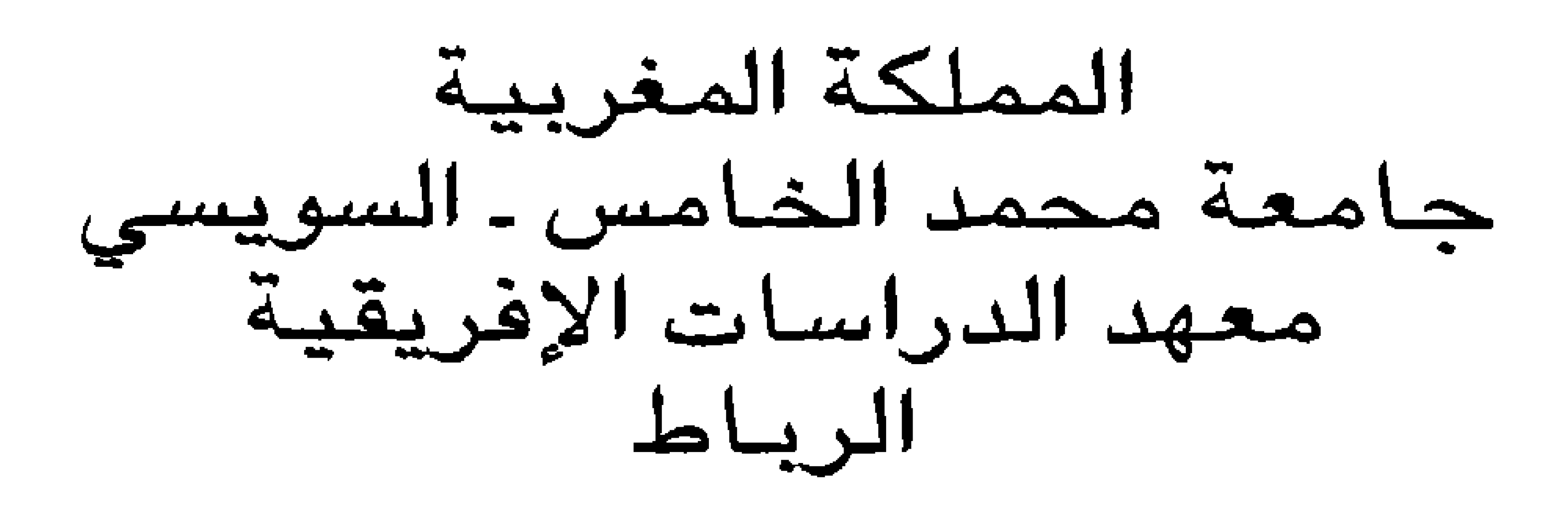
السحب : مطبعة كوثر - الرباط - 35 36 73 037

الطبعة الأولى : 2003

الإيداع القانوني : 2003 / 0611

ردمك : 9981-37-035-5





المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس - السويسي
معهد الدراسات الإفريقية
الرباط

سلسلة : نصوص ووثائق (12)

الرسالة الغلاوية

تأليف
الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ
سيد المختار الكنتي الوافي
و

رسالة في نسب إدولحاج الشرقيين

تأليف
عبد الله بن سيد محمود الحاجي

تحقيق
حماه الله ولد السالم

منشورات معهد الدراسات الإفريقية
2003

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الغلاوية من أهم المصنفات التي دبجها علماء منطقة "الساحل الصحراوي"خلال العهد الحديث. تنبع هذه الأهمية من مضمون الغلاوية الثري بالأخبار والنقول والإشارات ذات القيمة الاستثنائية في التاريخ الثقافي والديني والسياسي للمنطقة، وكذلك من تعدد المواضيع المطروقة في الفقه السياسي والفكر الصوفي المعروضة بلغة رصينة متقنة السبك تشكل أبرز نماذج النثر الفني خلال القرنين 12-13هـ.

والغلاوية في أصلها رسالة مطولة وجهها الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي إلى أعيان قبيلة الأغلال [= أو: الأقلال] سنة (1240هـ/1824م) يدعوهم فيها إلى دعم قومه كنته في الحرب

الناشب بينهم -وقتها- وأهل سيدي محمود [= إدولحاج الشرقيون وحلفاؤهم]، أو على الأقل، إعلان الحياد في ذلك الصراع.

ويأتي توجيه الرسالة إلى الأغلال وحدهم دون القبائل الزاوية الأخرى، بحكم قربهم من ميدان الصراع ، وبفعل شبكة العلاقات السياسية والدينية التي تربط نخبة الأغلال مع أسلاف قادة الخصميين المتحاربين.

وفي هذا السياق تمت المطابقة بين الخطاب ومستقبله فعرفت الرسالة بـــ"الغلاوية" نسبة إلى المعنيين، وعلى ذلك درج العامة، وقبله جمهور الخاصة دون كبير إشكال؛

وقد ذاعت تلك التسمية، وتنوسي العنوان الأصلي للرسالة وكان رسمه : "مبردة الغليل وشافية الغل من صدور جميع المؤمنين خصوصا بني محمد غل.وهي صيغة مألوفه لدى الشيخ الخليفة ووالده المختار الكبير في ضبط عناويين مصنفاتهم ورسائلهم.[1]

وعلى ذكر عناوين الرسالة بهذا الرسم درج رعيل من المؤلفين والاخباريين، مثل المؤلف التيشيتي بوي حمدي بن

---

[1] - مثال ذلك في عناوين مؤلفات> الشيخ المختار الكبير: البرد الموشى في قطع المطامع والرشا، الأجوبة المهمة لمن له بأمر دينه همة...
وفي مصنفات الشيخ الخليفة :الصوارم الهندية في جسم الدعاوى المهدية، الطرائف والتلائد في ترجمة الشيخين الوالدة والوالد. وغيرها من التصانيف.

المختار بوعسريه في مصنفه: "ساطع الإنارة في أخبار طلبة تيشيت وشرفائها بأوضح عبارة".[2] حيث أورد اسم الرسالة الغلاوية مختصرا بصيغة هي: مبردة الغل، وذلك في سياق نقله حديث مؤلفها الشيخ الخليفة عن التواشج الصميم بين المشجرات الأنسابية العقبية الكنتية وصنوها المسلمية (نسبة لأهل محمد مسلم التيشيتين). وقفاه في ذلك خريج الزاوية المختارية (الكنتية) في الشرق الموريتاني الشيخ سيدي الكبير (1190-1284هـ)، فسمى الرسالة باسم قريب من الرسم الكامل المشار إليه آنفا. وذلك في سياق تعداده لمؤلفات ورسائل شيخه سيدي محمد الخليفة مؤلف الغلاوية.[3]

وكان ذكر العنوان الأصلي، أيضا، في صدرنسخته من الرسالة الغلاوية[4] التي نسخها وهومقيم في زاوية شيخه الكنتي. ومهما كان نوع الخلاف في ضبط العنوان الأصلي للرسالة الغلاوية فإن أهميتها قد بقيت ثابتة. فقد تداولها جمهور القراء كتابة وقراءة، كما نقل عنها بعض من كبار المؤلفين.[5] وهو

---

[2] - راجع: النسخة المخطوطة، من صورة خاصة بحوزة للزميل الدكتور محمد ولد سيد ولد مولود، (قسم التاريخ، كلية الآداب).

[3] - راجع: لائحة مؤلفات الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي [دار الثقافة. معهد البحث، قسم المخطوطات المخطوط .

[4] - هي النسخة المودعة في مركز أحمد بابا التمنبكتي - تنبكتو - مالي.

[5] - مثل الشيخ سيدي بن بابه والشيخ موسى كمرا وابن بوعسري التيشيتي وآخرين.

اهتمام يرجع في نظرنا إلى ما يتحلى به مضمون الرسالة الغلاوية من ثراء في الأخبار و"التواريخ" والنقول الفقهية المحكمة العز وإلى مصادرها الأصلية مما يعكس ثقافة المؤلف الموسوعية وتضلعه في علوم المعقول والمنقول.

II – التعريف بالمؤلف:

هو سيد محمد الملقب (الشيخ سيدي محمد الخليفة) بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الوافي الفهري. ينتمي إلى بطن أولاد الوافي من قبيلة كنته الشنقيطية المنحدرة من الفاتح المعروف عقبة بن نافع الفهري. وهو الابن الخامس لأبيه الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1226هـ/1811م) ولأمه لاله عيشه بنت الأزرق الكنتية (1160-1224هـ).

وقد ولد حوالي (1179هـ/1765م) في منطقة أزواد (شمال مالي حاليا) ضمن أقصى الشرق الموريتاني (بالدلالة الثقافية - الاجتماعية للمصطلح)، نشا وتربى في كنف والديه في بيت من أكبر بيوتات العلم والسيادة في غرب الصحراء بإطلاق. ولا نعرف شيئا كبيرا عن سيرته الأولى، سوى أن ورعه ونبوغه قد جذبا إليه انتباه والده، ولهذا اصطفاه ليخلفه بعد وفاته (1226هـ/1811م). ولكن الشيخ سيد محمد الخليفة لم

يكن ليضطلع بأعباء هذه الخلافة إلا لمدة قصيرة نسبيا لم تتجاوز خمسة عشر عاما. ذلك لأنه توفى على أثر مرض ألم به، في 1242هـ/ مايو 1826م.[6]

كما أن مصادرنا تضن بشاف عن حياة المؤلف الأولى، وأولية درسه إلى أن جاوز آماد الطلب. وربما كان ذلك راجعا إلى أن المؤلف لم يصنف أي شيء حول "سيرته الذاتية"، كما أنه لم يعمل الرحلة طلبا للعلم إلى أي من جهات البلاد الشنقيطية، يتضح ذلك من الترجمة اليتيمة التي دبجها عنه العالم الولاتي الطالب ببكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي (ت.1917م) في مصنفه المشهور: فتح الرب الغفورفي ذكر ما أهمل صاحب "فتح الشكور"، وذلك في((باب ذكر وقائع الرابع والأربعون [يعد المائتين والألف])) وهو سبق قلم واضح، ونصها: ((... فيه توفى الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمد حبيب الله بن الوافي بن سيد اعمر الشيخ بن الشيخ سيد أحمد البكاي بن سيد امحمد الكنتي.

[6] – راجع : مارتي (بول) كنته الشرقيون. وإن كنا نعتقد إن وفاته في آخر 1841 حسب رحلة لانغ الآتي ذكرها.

كان رحمه الله تعالى من أولياء الله تعالى العارفين، وكان وليا عارفا بالله، كاملا، تقيا، عابدا، ورعا، زاهدا، عالما، فقيها، جمع بين الشريعة والحقيقة، له كرامات كثيرة وخوارق عادات، وكان صوفيا أديبا، لبيبا، عاقلا، فطنا، وكان يقوم الليل كله ذا جد واجتهاد ولزوم اذكار. أخذ العلم والأدب عن أبيه وشيخه الشيخ سيد المختار. جمع العلوم كلها فقها وحديثا، تفسيرا، وغير ذلك. خبيرا بعلم الجدول، قام بعد أبيه بتربية المريدين وجلب المنافع للخلق. وكان كريما سخيا، عفيفا. ألف تواليف عديدة على قدر تواليف أبيه، نحو الأربعين تاليفا، منها شرحه لنفح الطيب سماه الروض الخصيب، في جزء ضخم جدا على قدر جزئين. وإشارة السالك، وشرح على: اللهم صلى على طلعة الذات المطلسم... والطرائف والتلائد في مناقب والديه، وغير ذلك)).[7]

وأهم ما يمكن استخلاصه من هذه الترجمة شيئان:

ـ أن الشيخ سيد محمد لم يدرس على شيخ آخر غير والده الشيخ سيد المختار، الأمر الذي يبرز المستوى الراقي الذي بلغته الحياة العلمية في الزاوية الكنتـيـة المختارية ملتقى القرنين (12-13هـ/18-19م) وأحوازها من الشرق الموريتاني.

---

[7] - المحجوبي : منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور. تحقيق محمد الأمين بن حمادي [مذكرة نهاية التخرج بكلية الآداب - قسم التاريخ، انواكشوط 1993] ص 69.

ـ أن تواليف الرجل ناهزت الأربعين، مع ماذكره مترجمه من أنها قد فاتت ذلك حسبما يفهم من مصادر أخرى.[8]

ومن حسن الحظ ان نتعرف على مكتوب يحتوي مراسلات مختصرة بين المؤلف ووالده يشرح فيها منهجه في تحصيل العلوم واختياراته في ذلك تبعا لنصائح والده.[9]

فقد جاء في تلك المراسلات بينه وبين والده ما لفظه بعد كلام من رسالة لوالده إليه: "فاشتغالك بالتعلم قبل فوات أوانه أهم وأولى وأحب إلي وأحلى فاجعل همك العلم بأحكام الله وهمتك التقرب إلى الله بالله تنجح رغباتك وتربح تجاراتك والله أسأل أن يعينك ولايبينك وأن تثبت عزك ويقينك ويحقق صدقك وتمكينك وإني متطفل بك على موائد الحق وأرجو لك القبول وأن تمنح السول فهو الذي لايخيب فيه الرجاء ولا يتعاظمه العطاء والسلام".[10]

ويكتب الشيخ سيدي محمد بلصق والسلام ما لفظه: "فعقدت لذلك مع الله عقدا ان لا أزايل طلب العلم والتعلم بأذيالكم مدة العيش ما لم اتخرج على أيديكم او أموت دون ذلك..."[11]

[8] – مثل رسالة الشيخ سيدي الكبير في فهرس مؤلفات شيخه سيدي محمد الخليفة.

[9] – بملكنا صورة من هذه المراجعات التي لخصها الشيخ سيدي محمد في رسالة واحدة لكننا أثرنا الرجوع إلى نصها المتقدم في كتاب الأخبار لهارون بن بابه.

[10] – هارون، الأخبار: ص161.

[11] – مختصر.

وكتب له والده "أما بعد وفقك الله وأرشدك وأعانك إنه لأهم بعد تحصيل فرض العين من الاشتغال بمعرفة علوم اللسان التي بها التوصل إلى معرفة معاني الحديث والقرآن فلتصرف الهمة إلى تحصيلها ثم بعد تحصيلها فاشتغل بعلم الحديث والتفسير فهو ما مضى عليه صنيع السلف ومر به عمل أعيان الخلف والخدمة إنما تكون حيث احتيج إليها بعد الفراغ من ذلك المهم".

ويكتب الشيخ سيدي محمد بلصق هذا مالفظه "قصد هذا من تصميم العزم على الانقطاع إلى الخدمة تلك المدة وثنى بعنان العزمة إلى الاشتغال بعلوم اللسان فأفرغت فيها الجهد وأعملت فيها الجد فساعدت بحمد الله العناية فجاء منها ما لم يتهيأ بسبب ولم يحصل بكد ولا تعب فاشتغلت بأخذ الحديث وروايته فأخذت النزهة والمواهب اللدنية وشفاء القاضي عياض وجامع السيوطي وصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك. كذلك قراءة بحث وتحقيق بعد المائتين والألف مفتتحا له يوم الاثنين سابع عشر رمضان المعظم: تملون في الآية وأكتب غرائب التفسير وعيونه من فاتحة الكتاب إلى أن انتهى كتب الإملاء لأخر سورة يوسف عليه السلام لطروق السفر القاطع لإمكان الكتب وفي تلك المدة فرغنا من تفسير الكتاب العزيز ثم استأمركم العبيد فيم يأخذ

فأشرتم بكتب القوم المؤلفة في علم طب النفوس وكيفية السير إلى الله عز وجل وأحكام التصوف فقرأت جميع مؤلفاتكم الكفيلة في الفن بما لم يحم حول حماه حائم.

ثم قرأت كتب ابن عطاء الله كالحكم والتنوير وتاج العروس وغيرها وكتب الغزالي كالإحياء والمنهاج والتنبيه وكتب الشعراني كالرياض والعهود وغيرها وأجزتم في هذا وغيره من سائر مروياتكم إجازة بالسند مطلقة في هذا عامة فيما يجوز روايته وتحسن درايته مما صح به السند وثبت فيه النقل وذلك التاريخ السابع والعشرين [=كذا] ربيع النبوي في عام ثمانية بعد المائتين والألف بعد إجازات خاصة في الأوراد والتوجهات منها ما وقع مفتتح القرن ومنها ما هو بعده..."[12]

وجاء في الورقة الأخيرة منها إجازة الشيخ الكبير لابنه الخليفة ونصها:

((ليعلم المواقف عليه أنني أجزت ابننا البار في أن يعطي الأوراد السلسلية والأذكار الإلهامية والمروية والأحزاب والتوجهات على وجه الصون والعون لأني رأيته أهلا أن يباشر ذلك بعد الامتحان والنظر والإمعان والإستخارة وفق الإشارة

---

[12] - كتاب الأخبار. ص 162.

حسبما هو مرقوم بيده والله أسأل أن يعينه ولايبينه وأن يثبت عزمه ويقينه. عبد ربه المختار بن أحمد بن أبي بكر)).[13]

وذكر الشيخ سيدي محمد في كتابه" إرشاد السالك إلى أقوم المسالك" أن ولده لقنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين أو تسع قبل أخذ الورد القادري وجعل ملزومه اثنى عشر ألفا باليل ومثلها بالنهار. قال: "فرأيت لذلك من أنواع الفتوح والأسرار ما لا أسمح بشرحه".[14]

وقد أثمر أخذ الشيخ سيد محمد عن والده الشيخ المختار الكبير متانة في العربية تظهر في هذا "الاسلوب (الجاحظي)" الملموس في ثنايا الرسالة الغلاوية، بل إن "علو كعبه في العربية أقدره على وضع هذا الكم من المصنفات" التي كادت تفوق مصنفات والده جودة وثراء وتحريرا. كما فاقت مصنفات معاصريه من الفقهاء والمتصوفين في كامل البلاد الموريتانية.

III ــ أسانيد المؤلف وتلاميذه:

إن أسانيد الشيخ محمد هي أسانيد والده الشيخ الكبير التي هي أسانيد وإجازات تنبكتية، سواء تعلق الأمر بتلك التي تلقاها الشيخ الكبير عن الولاتيين أو عن شيخه سيدي علي بن النجيب

---

[13] - م.س/ ص163.
[14] - الاخبار ص 152.

وكلا المشربين يمتح من طبقة المؤلفين التنبكتيين الأول مثل: محمد بغيغ، محمد بن اند ـ غ ـ محمد وغيرهما من الاعلام.[15]

وبالسند المختاري [نسبة للمختار الكبير] التنبكتي أجاز الشيخ سيد محمد تلميذه أحمد طالب بن محمد بن جدو بن الخليفة بن الطالب مصطفى الغلاوي فيما تصح به الرواية والإرواء عنه والنيابة من إعطاء الأوراد القادرية والآحزاب والتوجيهات المختارية ثم في صحيح البخاري ومسلم وموطء إمام دار الهجرة وشفاء القاضي عياض لتاريخ أوائل شهر الله شعبان من عام ثمان وثلاثين بعد المائتين والألف".

وقد أورد المؤرخ الراحل هارون بن بابه في "كتاب الأخبار" ص. 163-167. سبع عشرة إجازة قدمها الشيخ سيدي محمد إلى عدد من خريجي زاويته وهم من مختلف أقاليم البلاد الموريتانية وقبائلها.

وقد أولى بعض هؤلاء الخريجين عناية خاصة لمؤلفات الشيخ سيدي محمد، وكان الشيخ سيديه الكبير من أكثر خريجي الزاوية الكنتية عناية بمؤلفات شيخه، نسخا ورواية وفهرسة.

---

[15] - راجع: الطرائف والتلائد، ج. 2 ص. 34-37 (ط معهد البحث، 1994) وانظر: كتاب الاخبار، م، س. ص166.

وإذا تركنا جانب المستويين الأولين من ذلك الاهتمام، مولين وجوهنا شطر المستوى الأخير منه، فإننا نجد اللائحة التي وضعها سيديه لمؤلفات شيخه الخليفة أكمل اللوائح وأكثرها دقة وضبطا. وفي صدر اللائحة ينبه سيديه على انه لم يذكر في اللائحة إلا ما وقف عليه شخصيا أو سمعه من شيخه الكنتي مشافهة.[16]

ثم يقرر أن الشيخ سيدي محمد الخليفة قد ألف في حياته والده سبعة عشر تأليفا وألف بعد وفاته سبعة وثلاثين تاليفا كلها في غاية من الاجادة والإفادة والإمتاع والإبداع والأخذ بمجامع الطباع..

وبتعزيز اللائحة السيدية بملاحظات[17] الباحثين المعاصرين[18]، توصلنا بالمسرد الآتي[19] :

1. الروض الخصيب شرح نفح الطيب (مجلد كبير فاخر)
2. الشرح الكبير لحزب الاسرار = = =

---

16 – فهرس مؤلفات الشيخ سيدي محمد الكنتي: (مخطوط)
17 – الأرقام من 1-17 هي تأليف الشيخ سيدي محمد في حياة والده الشيخ الكبير
18 – لائحة المتداول من مؤلفات الشيخ سيد محمد الكنتي.
19 – كتاب الاخبار: 171-172.

3. الشرح الصغير لحزب الاسرار، واسمه: كفاية الكسير عن الشرح الكبير.

4. شرح الورد القادري. (ذكره الشيخ سيدي محمد ولم يقف عليه الشيخ سيديا الكبير).

5. عين اليقين وحق اليقين بحسم الإتاوة المزورة بحق المستحقين (في القضاء الجائر).

6. مفسر المقال لمضمر الحال.

7. النصيحة المحمودة والعظة المصمودة (نظم).

8. نظم ورقات أبي المعالي الجويني.

9. شرح نظم ورقات الجوين.

10. عيبة النصح (نظم).

11. منح القدوس في عبق ثمر أحمد الشموس (نظم للشموس الأحمدية).

12. شرح نظم الشموس السابق.

13. نظم المثلث الخالي الوسط.

14. شرح المثلث خالي الوسط.

15. نظم المخمس خالي الوسط.

16. شرح المخمس خالي الوسط (ذكره الشيخ ولم يقف عليه سيديا).

17. الرسالة البارعة القاطعة لدابر سيء اعتقادات المعاند القارعة.

- القسم الثاني من المؤلفات[20]:

18. جنة المريد دون المريد.

19. الطرائف والتلائد (وعد فيه بمقدمة وسبعة فصول وملحق في حياة الشيخة ومناقبها ويبدو أن المؤلف قد توفي قبل أن يكمل كتاب الطرائف بدليل أن كل المخطوطات المتوافرة تنتهي عند أواخر الباب الخامس...).[21]

20. السهام المسددة إلى نحور الشناة والحسدة.

21. الفتوحات القدسانية في الأجوبة الفلانية.

22. الفتوحات اللدنية لشرح الصلاة الدرعية.

23. الصوارم الهندية بجسم (أو: بحسم) دعاوي المهدية.

24. الدراري السارية بالأجوبة الخيارية.

---

[20] - الارقام من 18-35 تشير إلى المؤلفات التي دبجت بعد وفا الشيخ سيدي المختار الكبير.

[21] - راجع: مارتي ابول (كنته الشرقيون، ص 79-80).

25. جواب محمد العاقب الفلاني (في ست مسائل في نحو كراسة).

26. جواب محمد المولود الإكلادي.

27. شرح قصيدة له رضي الله عنه جواب قصيدة مريده سيد علي بن سيد محمد العلوي الأرواني.

28. مصنف في مقامات السلوك (=إرشاد السالك إلى أقوم المسالك). [22]

29. جوابان لمكتوبين من نجله سيد المختار.

30. جوابان لمكتوبين من ابنه البكاي.

31. جواب آخر بمكتوب سيد علي بن سيد محمد العلوي الرواني.

32. جواب الأخ أحمد محمود بن ألفغ خير بن ألفغ بن عفان التندغي.

33. نصيحة علماء إفلان.

34. الإيجاب والسلب بجلاء مرآة القلب.

35. الفوائد النورانية والفرائد السرية الرحمانية (شرح الاسم الأعظم).

القسم الثالث ـــ الرسائل والوصايا :

36. وصيته لمحمد بن المختار البوسيفي.
37. وصيته لمحمد بن أفكراش البوسيفي
38. وصيته لمحمد الأمين بن سيد محمد الكلكمي.
39. وصيته لمولاي أحمد الطرابلسي.
40. وصيته لأعمر بابه بن عبدي بن الطالب أحمد التاكاطي.
41. وصيته للخضر بن جدو الجماني.
42. وصيته لسيد علي بن سيد محمد العلوي الأرواني.
43. وصيته لابنه سيد المختار.

وقد ضاع البعض من هذه المصنفات القيمة، لكن معظمها سلم من عوادي الزمن وظل متداولا بين الناس لاسيما في الشرق الموريتاني (= بلاد تكانت، بلاد الحوض، بلاد الرقيبة وآفطوط+ بلاد أزواد: مقر الزاوية المختارية الكنتية)، قبل أن ينقل تلميذ الزاوية المختارية الشيخ سيديا الكبير مؤلفات أستاذيه وشيخيه سيد محمد الخليفة والمختار الكنتي الكبير، إلى جنوب غرب موريتانيا الحالية (بلاد القبلة = ولاية الترارزة).

[22] - راجع كتاب الأخبار.

وقد لعبت في ذلك الانتقال شبكة الصلات الفكرية والصوفية التي نسجها الشيخ سيد محمد الخليفة مع أعلام عصره من علماء وفقهاء ورجال دولة، بل ومع أغراب أوربيين جاؤوا إلى الزاوية الكنتية طلبا للحماية والأمان.

من ذلك صلته بالعالم المتمكن غالي بن المختار فال البصادي (ت1824/1240م).[23] وهو من منطقة الرقيبة غرب بلاد الحوض من الشرق الموريتاني الحالي. وكان تلميذا للشيخ سيدي محمد الخليفة واتصلت بينهما بعض المراسلات.

ولعلها كانت استمرارا لصنوها القديمة بين الشيخ سيدي المختار الكنتي وأعلام البصاديين مثل: الطالب أعمر البصادي وكان من خاصة الشيخ الكنتي، والطالب مختار بن أحمدالجويده البصادي (ت1240هـ/1824).[24]

---

[23] – غالي بن المختار فال البصادي (ت 1824/1240م عالم لغوي ضليع وشاعر مفلق ونسابة خبير ينتمي إلى بيت اسيادة وعلم من قبيلته البصاديين [والنسبة إليهم بساتي أو بصادي). ولد ونشأ في ارقيبة البلاد للواقعة غرب بلاد الحوض وجنوب هضبة تكانت. درس على المختار بن بونه الجكني وعبد الله بن الحاج ابراهيم وغيرهم. صحب أعلاما من أهل عصره مثل حرمه بن عبد الجليل العلوي وصالح بن عبد الوهاب الناصري. له مصنفات في اللغة والسيرة النبوية. له ديوان شعر أكثره ضائع. راجع: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط: 375، أبن الهادي، موريتانيا عبر العصور: 127-128. ابن حامد، حياة موريتانيا: الجزء الخاص بقبيلة دوبسات (امرقون.)

[24] – الطالب مختار بن أنحمد جويدة البصادي (ت1240هـ/1824م) شيخ قبيلته في عصره، كان عالما ضليعا وقاضيا عدلا اجتمعت له خطتا القضاء ورئاسة جماعة الحل والعقد في البصاديين ولاسيما بعد ارتحالهم شرقا من منطقة الكبلة، وإن بقيت منهم بطون مستقلة في تلك المنطقة.
كانت له صلات وطيدة بالشيخ سيد المختار الكنتي والطالب مصطفى الغلاوي والمرابط سيدي محمود الحاجي كما ذاع صيته في المشرق للعربي، وكانت لوفاته أصداء بلغت بلاد مصر حسب ما ذكره ابن اطوير للجنة (التاريخ: حوادث 1240هـ)، من أن حسن الأبطحي عالم الأزهر لم يصدق وفاة البصادي، لعظم شأنه عنده، إلا بعد ان جاءت بها الأركاب الحجية وشهد عليها عدول للعلماء الحجاج مثل: يحظيه

أما خارج المجال الشنقيطي فقد كانت للشيخ سيد محمد الخليفة مراسلات كثيرة مع ملوك وأمراء وقادة السودان لاسيما أمراء الإصلاح في الخلافة الصكوتية ومملكة "الدينا" الفلانية الماسينية.

من ذلك مراسلاته مع أمراء آل فوديه: الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفلاني العالم المجاهد، وأخوه ووزيره عبد الله "الملقب ألف عبد الله" وكان علما وداعية إلى الجهاد، وابنه وخليفته من بعده محمد بل.

هؤلاء الرجال الثلاثة المذكورون هم الذين كتب لهم الشيخ سيدي محمد رسالته الشهيرة الرائقة ينصحهم فيها ويهنؤهم على مواقفهم في الجهاد[25] وفي الرسالة استطرادات مفيدة بشان الأحكام السلطانية المثلى وفق المرجعية السنية المالكية، وذكر مسهب لأحوال مصر في ظل العثمانيين ثم استيلاء محمد علي باشا على السلطة من قلعة القاهرة في سياق يومئ إلا ما هو

وغيره. ولعل لذلك صلة بدور ابن اجويدة البصادي في الأوقاف المشرقية واهتمامه الشديد بأمور المحتاجين.

وقد أورد ابن اطوير الجنة تاريخ وفاة للطالب مختار مضيفا القول: "وتاريخنا هذا صحيح" ردا على من زعم خلاف ذلك، حسب ما جاء في "تاريخ الدهور" لابن امبوجة التيشيتي في التعليق على حوادث نفس العام.

دفن الطالب مختار في تاسكاست بمدفن العلب الأبيض وهي مزارة عظيمة في الرقيبة من بلاد العصابة.

راجع أيضا: ابن الهادي ، موريتانيا عبر العصور: 130. ابن حامد، إدوبسات، م.س. وانظر : المحجوبي : منح الرب الغفور ، حوادث العام 1240

[25] - راجع: هارون ، كتاب الأخبار: 181-183.

معروف من تعلق شيوخ الزاوية القادرية الكنتية بـ"الشرعية العثمانية" انسجاما مع الروابط التي تجمعهم والولاة العثمانيين في الشمال الافريقي، والتزاما كذلك بوحدة الأمة الجماعة الإسلامية التي كان العثمانيون رمزها الخليفي في تلك العهود.

كما كانت له مراسلات مع الشيخ أحمد بن محمد لب الأمير الفلاني مؤسس "خلافة الدينا" بعد الدولة الصكوتية الفودية.

منها رسالته المؤرخة غرة صفر عام 1237هـ التي ينصحه فيها بقوله "والتعتبر بقضية الدولة الفودوية الفلانية الكاشنية فإنهم لم يزالوا مدة الشيخ عثمان (...) في استقامة دولتهم وقوة صولتهم فلما صار إلى ربه (...) وقد امتد ملكهم يمينا وشمالا (...) ولم يزالوا في امتداد من دولتهم واشتداد من صولتهم إلى أن أخذوا في التفتيشات في النيات والتغليظ على الناس في الجزي والعطيات فمال عنهم من كان ميله إليهم وصال عليهم من كان صوله معهم..."[26]

وعلى أساس من هذه العلاقات الدينية الممتازة كانت للشيخ سيدي محمد أدوار سياسية بالغة الخطورة.

أبرز مثال على ذلك استجابته لنداء مدينة تنبكتو عندما هاجمها الفلان حيث أنقذ الشيخ سيدي محمد المدينة من التخريب

المنظم الذي هددها به الفلان من أتباع الشيخ أحمدو لب حوالي 1825-1826. فقد عمل تدخل الشيخ سيدي محمد المتكرر على وقف عمليات النهب والاحراق، وإيجاد تمثيل للفلان في سلطة تنبكتو.[27]

وكان من نتائج هذه التدخلات السياسية أن تعززت الشراكة التي كانت بين الزاوية الكنتية وقادة الرماة في تنبكتو وكذا مع قوى التوارق من أيولمدن التي كانت تضرب طوقا صحراويا محكما حول شمال عقفة نهر النيجر.

كما طارت شهرة الزاوية وشيخها في المنطقة لدرجة أن الرحالة الأجانب مثل جوردن لينغ قد أسموا المنطقة في خرائطهم: "بلاد سيدي محمد".[28]

والمعني رحالة انكليزي انطلق من طرابلس مكلفا من السلطات الانكليزية فيها بمهمة استطلاعية إلى تنبكتو، وعندما وصل إلى منطقة الهوكار هاجمه طوارقها فأصيب بجروح، كما نهبت ممتلكاته. وقد حمله دليله باباتي وهو تاجر اغدامسي ونقله إلى أزواد ليتركه في مخيم الشيخ سيد محمد حيث مكث لينك ستة

---

[26]- كتاب الأخبار: 183-184.

[27] – مارتي مته الشرقيون ص 81.

[28] – راجع: رحلتان عبر ليبيا : 370-372 وانظر أيضا الخارطة. وقد وصل لينغ في الأشهر الأخيرة من حياة الشيخ سيد محمد الخليفة، ولكنه ظل يتمتع بعطف خليفته الشيخ سيد المختار الصغير ويسميه لينك الشيخ مختار؟

شهور متمتعا بحماية الشيخ وعطفه، مندهشا من انسجام ذلك مع الأخلاقيات الاسلامية بهذا الشأن.

وبعد وفاة الشيخ سيدي محمد مرض لينك ولم يسترد عافيته إلا بصعوبة فعاد إلى تنبكتو في 18 غشت 1826م كي يغادرها بعد قليل. ولكن البرابيش اغتالوه.[29]

وكان ذلك بعد وفاة الشيخ سيدي محمد في أواخر العام الذي ألفت فيه الرسالة الغلاوية.

IIII ـــ مضمون الكتاب :

صدر الشيخ سيدي محمد الرسالة الغلاوية بمقدمة طويلة في التحذير من الفتن ومواردها وفي مقدمتها أهواء النفس البشرية ووساوس الشيطان.

ثم قدم عرضا عن تاريخ كنته وادوالحاج وأولية كل منهما، ثم سعى إلي بيان رأي "الشرع" في الصراع المحتدم بين القبيلتين، ليتم الرسالة بنقد بارع للطريقة الاغظفية "البصادية".

وبرغم أن المؤلف لم يقسم الرسالة إلى أبواب أو فصول إلا أن طريقة عرضه للمضامين يمكن أن تسمح بتقسيمها إلى أجزاء مستقلة دون كبير تعسف. وهو ما راعيناه في ترتيبنا للمواضيع وعنونتها. إذ تركنا الفصل الأول في صيغة مقدمة مستفيضة،

وعنونا القسم الموالي بـــ"حركة عبد الله بن سيد محمود" لاقتصار مؤلفه في هذا القسم على ذكر نشاة الحركة ومسارها السياسي العسكري.

أما الفصل الموالي فأسميناه: تاريخ كنته وادوالحاج، نظرا لأن المؤلف خصصه لذكر أولية القبيلتين وأخبارهما فكان العنوان إسما على مسمى.

وكان القسم الثالث مخصصا لأقوال الفقهاء المالكيين بشأن الحروب الأهلية في المجتمع المسلم وعلاقة ذلك بفقه الأحكام السلطانية. ولذلك أسميناه "باب الفتاوي". أما القسم الأخير فقد رسمنا عنوانه بصيغة: "أمر الطريقة الأغظفية" لأنه في أغلبه كان نقدا شديدا لهذه الطريقة التي ازدهرت وتطورت في قبيلة البصاديين [=دوبسات] بقيادة المشايخ الغظفيين البصاديين وتلاميذهم في جهات البلاد الأخرى وقبائلها.

ولعل هذا التعدد في الأبواب والتشعبُ في المضامين والضخامة النسبية في الحجم هو ما كتب للرسالة الغلاوية الشهرة التي نالتها على حساب الرسائل الأخرى التي دبجها الشيخ سيدي محمد لذات الغرض وفي نفس السياق.

---

[29] - مارتي، م.ص

وهي الرسائل التي تشهد على أن سياق المراسلات جميعها، بما فيها الغلاوية، كان أزمة سياسية في عموم الشرق الموريتاني بما فيه منطقة أزواد مقر زاوية الشيخ سيد محمد. حيث استحكم النزاع داخل البيت الأميري في إمارة إيدوعيش بتكانت، بعد وفاة أميرها القوي محمد بن امحمد شين مما فتح الباب أمام الصراعات الداخلية في الإمارة وأفضى إلى المزيد من التمزق السياسي والتشرذم الاجتماعي في مجالها الترابي، بل وفي النطاقات الأميرية والقبلية الأخرى.

إن ذلك الوضع الاستثنائي المركب هو ما دفع -في نظرنا- الشيخ سيد محمد إلى توجيه كم كبير من الرسائل إلى القوى الحسانية والزاوية، استشعارا منه للمخاطر التي يمكن أن تنجم عن توسع نطاق تلك الحرب الأهلية الكنتية - المحمودية، بدخول الأطراف الأخرى المهيئة لذلك بحكم القلق الناتج عن الأزمة المذكورة، وبفعل طبيعة التحالفات القبلية المعقدة آنذاك. ولذلك فقد شملت المراسلات معظم القوى القبلية التي تربطها علاقات سياسية او دينية مع الزاوية الكنتية وتشملها خارطة الحرب فعليا أو نظريا.

من ذلك رسالة الشيخ سيد محمد إلى أولاد الناصر ومشظوف.[30] وعرفهم بقوله: "موروث الجد الأعلى والمعدين عند الأسلاف للداهية الجلى.." وخص بالذكر من حضر اسمه من أعيان الفريقين. يذكرهم أنهم "ميراث خاتمة السلف وعين أعيان الخلف" جده سيد محمد المنتي الكبير ويخبر أولاد الناصر أنهم سيف جده الذي صال به على أخواله لمتونه وأنهم بالنسبة إليهم في ذلك الوقت شرذمة قليلون بقمة جبل حسان ملتصقون. وذم الشيخ سيد محمد آزناك في هذه الرسالة وذكر سبب ذلك وقال فيما يخص مشظوف ما لفظه: "وأما مظوف فميراثنا المورث وعتادنا المؤرث وما كنا نراهم إلا أولى الأولياء ونعدهم إلا من أخص الأخصاء في ما ينوب من أخف الثوائب ويصيب من أيسر المصائب على أن الدهر يلد بلا ضرع وينجم ما لايقوم له أصل ولا له من فرع.."[31]

ويقول في آخر ما يخص أولاد الناصر: "فأغتنموا اليوم من يخص سعادة دهركم وجبر كسركم ما فاز به سلفكم أمس" ويكتب في آخرها: "وما كنت [=كنته] إلا فرع واحد قائم من أصل واحد والفحل يحمي عيطه بعقاله والثور يذب عن أنفه بروقه وإنما تعد

---

[30] – هارون، الأخبار 168-169.
[31] – م.ش، ص169.

الدموع للبكاء والأوداء لنكاية الأعداء وعدوك صديق عدوك وصديقك عدو عدوك وحسبنا الله ونعم الوكيل".[32]

وكتب إلى أخيه باب احمد، وكان صاحب حلة [=مركز سلطة قبلية] مستقلة ذات صلات قوية بإيدوعيش يخبره أن بني سيد محمد الكنتي "أغريت بعداوتهم وإذايتهم آزناك فيما تقدم من الأعصار ولم تنفع فيهم المداراة فلما أراد الله بذلك ما أراد قيض لإيقاد تلك النار جمرة عبد الله بن سيد محمود الأوبجي فكان من حربهم ما كان، وهم القبيلة والعشيرة الذين تجب صلتهم ويحق الدفاع عنهم بما لايكون فيه سخط لله ولاإثم فإن ظهر لك إلى إيقاع الصلح فيما بين الفريقين وجه لا يكسب زلة ولايورث مذلة فليوقعه بينهم من تجعله واسطة في ذلك من بنيك..."[33]

ثم يقول في آخر الرسالة : "وقد كتبنا بمكاتيب إلى رؤساء أولاد امبارك ثم بمكتوب إلى أولاد الناصر ومشظوف نستحثهم فيها على نصر كناتة وعونهم خذلان أعدائهم..."[34]

وكتب لابنه وسماه محمد زين العابدين يوصيه بتقوى الله وبالحلم وبالخلق الحسن وبالدفاع عن عشيرته في الله ولله ويحذره

---

32 – م.س، ص170.
33 – هارون، م.س 170.
34 – م.ن.ص.

من حمية الجاهلية وفيها ما لفظه: "وكناتة بالنسبة إلى قتالهم لأزناكه لاخفاء في كونهم محقين مثابين مجاهدين شهداء أمواتهم، سعداء أحياؤهم، وهم كذلك بالنسبة إلى إيدوالحاج بعد وقعة دوك بص بوجه أرجح مما قبله حجة وأوضح منه محجة فإن بان لك واتضح احتياج كناتة إليك فادفع عنهم مستعينا بالله...)[35]

وكتب لبيد بن هنون بن بيد وأخيه بابه أحمد وكافة جماعة أبناء داوود يوصيه بالاحسان فيما ولي وبالأخذ على أيدي أولاد علوش وسائر إخوانهم أولاد داوود ويخبره ان ازناك قد نصبوا الحرب لكنته بغيا وعدوانا وهم الشعب والعشيرة ونحن السبب بعد الله سبحانه في فحص تراب المذلة والمهانة من أفواههم ايام لايردون واردا ولايقاومون مناهدا (...) وقد بلغنا أنهم انحازوا إلى تجكج وحرقفة تكانت وشنوا الغارات حتى بلغوا ظهر تيشت وكدام فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة وارصدوا لهم كل مرصد..).[36] وهذا التعدد في الرسائل، والتنوع في المخاطبين والمراسلين من سلطنات وإمارات وقبائل وأعيان، يؤكد على أن توجيه الرسالة الغلاوية والرسائل الأخرى هو جزء من استيراتيجية محكمة لتطويق الخصم بحزام من قبائل الشوكة

---

[35] – مزس ، 170.
[36] – هارون، م.س: 170-771

المناهدة لهم في ساح الوغى، أو الواقفة على الحياد مشكلة أغلبية صامتة صمتا يحسب للكنتيين قبل غيرهم. وذلك على اعتبار أن الشيخ عبد الله بن سيد محمود كان يعتمد سياسة توسيع دائرة حلفائه لاسيما من قبائل الشوكة.

والمفهوم أن هذه الاستيراتيجية الخطابية كانت ردا على استيراتيجية مضادة كان الشيخ عبد الله بن سيد محمود قائد الحلف الحاجي المحمودي، قد بدأ بتوجيهها في بداية الحرب، أو عقب وصول رسائل الشيخ سيدي محمد إلى قبائل المنطقة، وفي مقدمتها الأغلال.

أبرز مثال على ذلك رسالة نادرة بخط عبد الله بن سيد محمود موجهة إلى بعض عشائر الأغلال ينصحهم فيها بعدم دعم خصومه.

ونص الرسالة: "... وبعد فيسلم عبيد الله بن سيد محمود على جماعته حقا جماعة الاغلال وخصوصا آل بوب عافانا الله وإياهم في الدارين. موجبه ياآل الطالب مصطف وآل أحمد جميعا إني أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم وأوجه إليكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتركوا ما ابتلانا الله به. والسعيد من اتعظ بغيره.

واعذروني فإني عني عذر يعلمه حامل الكتاب والقلب عندكم والسلام..."[37]؟

وتذكر الرواية الشفوية أن الشيخ عبد الله بن سيدي محمود طاف بجملة من كبريات القبائل الزاوية يبصرها بحقيقة النزاع الناشب بينه والقوى الكنتية.

كما عثرنا على تأليف[38] للشيخ عبد الله بن سيدي محمود يذكر فيه أولية أسرته وسمو مكانتها في مجتمع الصحراء عموما من خلال انتمائها إلى جدها الأعلى القائد المرابطي الشهير يحي بن عمر الملقب ملك الحق. مبينا شرف ذلك المحتد واتصاله بالعرب القحطانيين الحميريين الأول، ومتحدثا بلهجة فيها رد غير مباشر على الرسالة الغلاوية تصل نبرته أحيانا إلى الطعن في أنساب الخصوم وما تؤسسه من مكانة اجتماعية ــــ دينية، في سياق يشي باطلاع عبد الله بن سيد محمود على الرسالة الغلاوية ولاسيما الفصل الخاص بأولية إيدوالحاج وحقيقة انتساب عبد الله إليهم حسب رأي سيد محمد الخليفة.

---

37 - مخطوط من ورقة واحدة. (راجع الملحق).

38 - ورقات سبع في قالب متوسط من خط عبد الله بن سيدي محمود عثر عليها أخونا الباحث أحمد بن محمد يحيى رئيس قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث ونبهه عليها الأخ سيد بن النمين مسؤول رابطة المخطوطات في تجكجة. والأصل عند محمد محمود بن صالحي إمام مسجد تجكجة. وقد تفضل الأخ أحمد بإعارتنا مصورته من التقييد، فله الشكر وكامل التقدير .
وقد ألحقنا النص بالعمل في قسم مستقل دون تعليق.

كما تلمس في نص عبد الله هذا نبرة مودة و مصالحة كتلك التي تعلن عنها بعض فقرات الرسالة الغلاوية، حيث يعلن الشيخ سيدي محمد تحبيذه الصلح وتشوفه إليه بالرغم من عنف المعارك الدامية وشراستها، كما لا يخفي تقديره لمجتمع إيدوالحاج عموما حيث قرر أنهم في مقدمة النخبة الزاوية التي تمتلك مقاليد "الإجماع" ومقتضياته بحيث "تثبت ولاية من ولوه إماما" طبقا للمعايير المعتبرة شرعا. كما ذكر في أكثر من مناسبة بسالف المودة بين المجتمعين الحاجي والكنتي في إشارة إلى تحالف الطرفين إبان الحرب بين أهل وادان [كنته وإيدوالحاج] وأهل شنقيط. [إيدوعل والأغلال].

بل وبدا في بعض فصول الرسالة الغلاوية، وبعبارة لا تحتمل تأويلا وكأن الشيخ سيد محمد يريد تبرئة إيدوالحاج من تبعات إشعال الحرب والتمادي فيها.ملقيا اللوم كله على الشيخ عبد الله ولد سيد محمود وحلفائه من إيدوعيش ولاسيما منهم شيعة المختار بن امحمد شين وإخوته. مدعما رأيه بحجج أيديولوجية استخلصها من الواقع السياسي المعيش ومدعما لها بحشد من التواريخ والنقول عن أولية القبيلين المتصارعين.

وبالرغم أننا لانعرف من المصادر التي نقل عنها كاتب الغلاوية سوى مؤلفات والده الشيخ الكبير مثل كتاب الإرشاد[=المنة في اعتقاد أهل السنة] وغيره، أو مصادر شفهية بأسانيد صحيحة عمن عاينوا وقائع الحرب أو نقلوا عن بعض الأخباريين تواريخ وادان وتيشيت والمناطق الأخرى، اوكان الأمر متعلقا بالورقات المنسوبة للشيخ سيد احمد البكاي الكنتي دفين ولاته 920هـ والتي نقلها عنه أحد علماء الركاكدة وعلق عليها بحواشي مفيدة.

إلا أننا نعتقد أن الجانب الأخباري من الرسالة الغلاوية يقدم عناصر تاريخية لاتخلوا من ثراء وتماسك، لكنها إذا لم توضع في متواليات زمنية واجتماعية منسجمة فإنها تبقى غامضة السياق. ويتعلق الأمر هنا بالنقاط المركزية التالية:

1- المجتمع الأهلي:[39] ويتعلق الأمر بالنظم الأهلية التي قامت على أساس من الخطط الدينية والهيئات العلمية وتقاليد التضامن الاجتماعي - الاقتصادي التي انجزتها التشكيلات الصحراوية منذ القرن التاسع الهجري على الأقل.

[39] – راجع مثلا: حماه الله ولد السالم ، المجتمع الأهلي في موريتانيا. المؤسسات والحياة اليومية. قبل الاستعمار. اطروحة دكتوراه دولة بجامعة وهران. مرقونه.

وفي هذا السياق تقدم الرسالة الغلاوية لمحات قيمة عن أولية تأسيس المدن بصيغة فعلية وعناصر سكانها الأول وبعض نظمها الاجتماعية والاقتصادية. وقد لعب إدوالحاج دورا مركزيا في تأسيس المجتمع الأهلي "المديني" لاسيما في المدن التي أسسوها كليا مثل وادان، او شاركوا في تأسيسها مثل تيشيت او كانوا قادة نخبتها العلمية والدينية مثل تنبكتو. وفي مختلف هذه المدن كانت لإدوالحاج السيطرة على التقاليد العلمية والخطط الدينية.

2- الهجرة العربية: ترد في الغلاوية روايات فريدة عن مسار الزحف العربي الحساني في منطقة آدرار وكيف استطاع أولاد الناصر دك إمارة ابدوكل اللمتونية دكا ملتقى القرنين 15-16م. وتتضاعف أهمية هذه الروايات في أنها تلقي الضوء على الهجرة العربية غيرالحسانية وهي هنا هجرة عرب الأمصار مثل التشكيلات الفهرية [الأموية] والتي تقدم عنها الرسالة الغلاوية رواية متماسكه وفق الوجهة التاريخية.

ومنها مجموعات أخرى تنحدر من نفس المحتد الفهري وقد ذكرها الشيخ سيد محمد الخليفة في محل آخر أو جاءت في المصادر التيشيتية أو في ورقات سيد احمد البكاي. [مثل :

الدراوات وهم من عشيرة الزلامطة، والمحاجيب، أبناء محمد مسلم التيشيتيون].

كانت هجرة عرب الأمصار متساوقة - في نظرنا- مع الزحف العقلي الحساني صوب الصحراء ولاسيما عبر المحور الأوسط الرابط بين اتوات وعقفة النيجر وولاته. إذ كانت توات الواحة الصحراوية الكبرى التي ظلت ملجأ للثائرين على دول المغرب الأوسط والأدنى وخزانا بشريا متجددا بالعناصر السكانية ذات الأصول الهلالية أو الأندلسية. ولذلك فإن معظم مجموعات عرب الأمصار غالبا ما ترد في رواياتها أصداء علاقتها القديمة بواحة اتوات أو بأحوازها من الجزائر الحالية. والحال نفسه ينسحب على واحات تافلالت ووادي درعة المغربي والتي تراجعت منها الجموعات التي سبق أن جنبها الزحف المرابطي إبان انطلاقها شمالا.

أما المجموعات الأخرى من عرب الأمصار والتي سايرت الزحف المعقلي، فهي مجموعات عرب الأندلس مثل : البصاديون [=دوبسات] والتاكاطيون، الخطاطيون، التيدراريون.. والتي تؤكد حسب رواياتها المحلية قدومها من الشمال في مثل تلك الظرفية، وانتمائها الأنسابي إلى المجموعات الأندلسية التي

شط بها المسار نحو الجنوب المغربي وواحات اتوات. وهي روايات قد يزكيها ما ذكره لسان الدين بن الخطيب في كتابه: "كناسة الدكان بعد ارتحال السكان"، وكتبه الأخرى : اللمحة البدرية، نفاضة الجراب..، من أن مجموعات من عرب الاندلس: أسر من بني الأحمر ومن بني عمومتهم من الخزرج خرجوا بعد سقوط الدولة النصرية إلى المغرب. وكان سرد نسب النصريين الخزرجيين وانحدارهم من بني قيس بن سعد ابن عبادة. وهي نفس الأسرة التي تنتمي إليها قبيلة البصاديين بل وتتخذ شعار النصريين المعروف : "نصر" رمزا لشرف القبيلة و"أنصاريتها" ؟

كما تتبع ابن حزم في الجمهرة الأسر الأنصارية الخزرجية منذ دخولها مصر مع الفتوح إلى سكناها بالأندلس فالمغرب.

أما انتساب قبائل التاكاطيين والخطاطيين والتيدراريين إلى ذرية أبي دجانة تزكيه رواية البكري عن قرية الأنصاريين الواقعة لعهده قرب إفريقية وانتساب أهلها لبني جابر ابن عبد الله من ذرية أبي دجانة. ينضاف إلى ذلك تتبع ابن حزم لأنساب الأنصار من مصر إلى الأندلس فالمغرب وتوكيده على كثرتهم هناك ووجود الأسر التي تنمى إليها القبائل الصحراوية "الأنصارية".

3- الطرق الصوفية: وهي الحضرات الصوفية المحتصنة من قبل تشكيلات اجتماعية مكينة وقد ظهرت في شبه المنطقة منذ القرن الثاني عشر الهجري على أنقاض التصوف التأملي الذي كان محصورا في إطار نظري -تدريسي، من خلال تداول المتون الزهدية المعروفة، أو ممارسا من قبل افراد ليست لهم مطامح سياسية واضحة.

وعندما ظهر الشيخ سيد المختار الكنتي كان المدشن الرئيس للتصوف الطرقي الراسخ الجذور كما نقى الطريقة القادرية من البدع وأعاد تأصيلها وفقد مبادئ الإسلام السني المالكي ومنطلقاته.

وكان ذلك جزءا من تطور التجارة عبر الصحراء وانتشار الإسلام وتطور السياق الفكري والاجتماعي للتصوف ، في تطور سبق أن ساهم فيه مشائخ آخرون مثل سيد احمد البكاي وابنه سيد اعمر الشيخ وآخرون. وبالرغم من أن الرسالة الغلاوية لم تلق ضوءا كبيرا في هذا النقاش، سوى بعض العناصر الأولية التي سبق للشيخ سيد محمد أن تحدث عنها باستفاضة في كتابه الطرائف والتلائد، فإنه يكمل الإطار العام لتاريخ القادرية الكنتية.

4- أزمة إمارة إيدوعيش: لم ينفجر الصراع الكنتي – المحمودي إلا بعد استفحال الأزمة في بنية إمارة إيدوعيش بعد وفاة أميرها القوي محمد بن امحمد شين والذي تنبأ بحسه السياسي الحصيف بأن قوة أهل سيد محمود هي "خراب إدوعيش" وهو مازكته مقتضيات الظرف التاريخي، وينبغي التذكير بثلاث من تلك المقتضيات :

أ ـــ الاستقلالية الشديدة التي كان كنته في منطقة تكانت يتشبثون بها، مما جعلهم مصدر تهديد لإمارة تكانت [=إمارة إدوعيش]، أو على الأقل قطبا معارضا على الدوام لهيمنة إيدوعيش.

ب ـــ كان مشروع قوة أهل سيد محمود يسير إلى مراميه النهائية تساعده في ذلك أزمة هيكلية تتنامى في إمارة إدوعيش، وقيادة حازمة تتمثل في شخص عبد الله بن سيد محمود الذي كان قوي الشكيمة، صاحب عزم لايلين وبراعة سياسية مشهودة.

ج ـــ وفاة الأمير القوي محمد بن امحمد شين الذي كان سدا أمام الفتن في تكانت، موصوفا بالعدل واحترام مجموعة الزاوية، التي عانى بعضها بعد موته من العنف السياسي والضغط الجبائي في مسلسل من تردي الأوضاع وصف بعض

منعطفاته الشيخ سيديا بابه بقوله: "إن أهل الآبار من الزوايا لم يعطوا ذراعا من الخنط في المداراة إلا بعد معركة انودر..." وهي المعركة التي كانت أولى مظاهر الصراع بعد وفاة الأمير الهالك.

وقد وصفت الغلاوية مسار التفكك هذا في الفصل المعنون بـحركة عبد الله بن سيدي محمود ولكن تدبيجها في سنة 1240 كان ذا دلالة بالغة حيث جاء بعد معركة دوك بص التي اعتبرها الشيخ سيدي محمد بداية الصراع الفعلي مع أهل سيد محمود، كما أن هذا التاريخ أو قريبا منه كان عهد أزمة هيكلية مست إمارة إيدوعيش في تكانت كما ذكرنا، وبداية تفكك في بنية إمارة أولاد امبارك في الحوض وباغنه، كما كان نذير صعود إمارة مشظوف القوية وعهد انتقاض قبائل الأطراف في سياق من التحولات السياسية والاقتصادية المتأزمة في شبه المنطقة والتي كان أبرزها تصدع قنوات التموين بانفراط عقد قوافل اكبار وأزلاي الكبرى، واقتراب الصراعات العسكرية في بلاد السودان من الشرق الموريتاني الحالي.

لكن النسخة التي دبجها الشيخ سيدي محمد الكنتي من الغلاوية، أو أملاها على أحد تلاميذه مفقودة حاليا، ولذلك فقد

اعتمدنا نسخة أخرى من تدبيج تلاميذ الشيخ سيدي محمد، وبتصحيح وتدقيق من الشيخ سيديا الكبير وفي حياة الشيخ سيدي محمد وبحضرته حيث جاء في خاتمة النسخة تعليق الشيخ سيديا قائلا: [انتهت هذه النسخة المباركة مقابلة على يد مقابلها ومستكتبها لنفسه ثم لمن شاء الله بعده فقير مولاه الراجي عفوه وعافيته ورضاه ورحماه سيديا بن المختار بن الهيب الانتشائي كان الله للجميع وليا ونصيرا لأواخر جمادى الأولى من سنة أربعين ومائتين وألف رزقنا الله خيره ووقانا ضيره آمين].

وقد جعلنا هذه النسخة معتمدنا في التحقيق نظرا لأنها قد كتبت في حياة المؤلف وفي حضرته ومن قبل أحد أكبر خريجي زاويته وأعرفهم بمنهج شيخه، مؤلف الغلاوية، ولغته وطرائقه إلى غير ذلك.

ولم نجد اختلافا بين هذه النسخة والنسخ الأخرى التي رجعنا إليها مثل: نسخة زاوية الشيخ سيد المختار، ونسخة عبد الودود ولد الشيخ، وهي في أصلها نسخة سيد اعمر بن سيدنا.

لكننا اوردنا في مقدمة العمل بضعة وثلاثين إسما لأعلام قبيلة الأغلال الذين وجهت إليهم الرسالة، ولم يرد ذكرهم في أي من النسخ المتداولة حاليا سوى نسخة السيد دومان القاطن ببلدة

لحويطات بمنطقة تكانت، وقد صورنا الجزء المتعلق بالاسماء من هذه النسخة وأثبتناه بين قول المؤلف: "المنتمين إلى ضئضئ المجد محمد غل" وقوله: "صان الله الجميع بعين عنايته". وذلك لأن محل الأسماء واضح تماما، كما أنه من عادة الشيخ سيدي محمد أن يسرد في صدر رسائله أسماء جميع المراسلين أو على الأقل خاصتهم من قادة أو أهل حل وعقد علماء كانوا أم أعيان.

أما بشأن رسم الأعلام فقد اقتصرنا على ذكرها وفق الصيغ السماعية ما أمكن، أو وفق ضوابط نطقها المحلية او ما يؤديها من صيغ عربية شائعة. وكان عملنا في التعليق منطلقا من الميل إلى التبسط في الشرح والتعليل كلما كان محل الموضوع إشكالية معقدة أو مذهبا أو نحلة غامضة أو كان الأمر متعلقا بعلم ضائع الأخبار، أو كان التعريف به يشكل إضافة. ولم ندخر جهدا في هجر الألفاظ والأساليب التي تخرج بالمؤرخ على الحياد أو تقحمه في محاججات معيارية أو أيديولوجية. والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير.

حماه الله ولد السالم

انواكشوط في أكتوبر 2000

باسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن أقام بكل عصر من يعطي العلم حقه ويوفيه، ويحفظ على الأمة دينها القويم ويذهب عنه كذب المبطلين وينفيه، وقيض له على ذلك من يعتدي عليه ليعظم أجره ويرفع ذكره ويعليه. وسهل أعباء ذلك عليه بما صح عن الصادق المصدوق مما يثيت كل كامل الإيمان ويسليه، حيث قال: ((لو كان المؤمن في جحر ضب لقيض إليه فيه منافقا يونيه)) [1]

أحمده على منة الصدق والتصديق وأشكره على نعمة التوفيق وحلاوة التحقيق وملازمة الحق وإن لم يترك الحق لعمر من صديق. وأصلي على نبي الرحمة الشفيع في الإراحة من الأجمة، بالمقام المحمود لعامة الأمم وخاصة الأمة. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي النخوة والنجدة، والقوة في ذات الله والشدة. صلاة وسلاما دائمين ليس لانقضائها مدة، إلى يوم نبعث فنرى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة[2].

[1] – حديث ضعيف. راجع: الطبراني المعجم الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان السيوطي، للجامع الصغير: 2: 435.

[2] – إشارة إلى قوله تعالى:((ويم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)) : الزمر، 60، مكية.

هذا وإنه من عند ربه الغني به محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر[3] إلى عامة عباد الله ممن قد عرف ربه، وخالطت بشاشة الإيمان قلبه، فأبغض في الله من أبغض وأحب لله من أحبه. خصوصا الإخوان الخلان والأخصاء الخلصان، أظآر[4] لبان الإيمان وأطهار الظهران والبطنان، المبرئين من كل حقد وغل، المنتمين إلى ضئضئ المجد محمد غل.[5]

عموما وخصوصا أهل الحل والعقد[6] ، كالسادات: أبناء الطالب المصطفى[7] : أحمد طالب[8] وإخوانه أبناء جدو[9] وأبناء

---

[3] - راجع مقدمه هذا العمل.

[4] - الظئر ولد الناقة

[5]- محمد بن ابراهيم بن ببكر (أبي بكر) بن جابر بن موسى بن الطاهر بن أبي النجيب السُهروردي: ينتسب صديقيا. اشتهر بمحمد قل (أو:غل) ومعناه في لسان السودان الصوننكيين: الأبيض.
زاهد مشهور.ترجم له ابن حامد، حياة موريتانيا:13: 1. وذكر أنه أحد الذين بنوا شنقيط الحالي سنة 660هـ، وفيها قطن بعده بنوه ومنهم تفرع قبيل الأغلال.
توفي محمد غل أوائل للقرن الثامن في تاريخ لانعرفه ضبطا. ولم يخلف أي إنتاج مكتوب باستثناء قصيدة دالية ذات نفس شاذلي، فيه ما يومئ إلى المشرب الصوفي للرجل.
يوجد أول ذكر مكتوب لقبيلة الأغلال، على حد العلم، في تاريخ السودان، للسعدي: 62 في معرض حديثه عن قيام امرأة أغلالية فاضلة ببناء مسجد تنبكتو الكبير.وفي المحاضرات لليوسي (المقديمة)، أنه ولد في حارة الأقلال. فلعلهم كانوا هناك.
وحول أولية الأغلال في شنقيط يقول ابن حامد، الموسوعة: 13: 1-6، إنه كانت "إلى إيدوعلي الرئاسة وإلى الأغلال الخطط الدينية كالإمامة والقضاء والفتوى، فقامت لهم جميعا دولة دين وعلم وثروة...".
وفي عجز القرن الحادي عشر (17م) خرج جمهور من الأغلال إلى ((لعصابه والحوض حيث كثر مالهم واتباعهم من مهاجري بني حسان)) فهم ((الأغلال الشرقيون)). وهم الذين تنامت قوتهم: تكانت، أولاد الناصر، مشغوف، والكيانات الاقليمية: الرماة وغيرهم. وصف الرحالة هينريس يارث (ق19) رئاسات الاغلال الشرقيين وأشار إلى توزع الإتحادية على تشكيلات خماسية التنظيم.
راجع: ابن حامد، الجغرافيا :59-60. ابن الحاج ابراهيم، صحيحة النقل (مخطوط). راجع : هانريش بارث:

Heinrich Barth, Travels and discoveries in north and central africa, Being a journal of an Expedition Undertaken unde the Auspices of H.B.M. ; s government in the Years1849-1855,5 vols. (**london:longman,1857-1858**)

[6] - حول هذا المفهوم، راجع : حماه الله ولد السالم : المجتمع الأهلي في موريتانيا أطروحة دكتوراه دولة، جامعة وهران.

الشيخ المختار: [10]حناني [11] وإخوته. وأبناء أحمد الوقف [12] سيد محمود وإخوته.

وأبناء الطالب جدو[13] : حمادي[14] وأبناء أخيه الطالب[15] ومحمد[16] وإخوته، وبوبه[17] وابناؤه : ابراهيم[18] وأحمد.[19] وأحمد

---

[7] – الطالب مصطفى بن الطالب عثمان بن المختار الغلاوي الأحمدي (ت7ربيع الثاني1139هـ):زعيم ((الأغلال الشرقيين)) بلا مدافع. ترجم له (فتح الشكور:104) فقال: ((كان رحمه الله وليا صالحا تقيا نقيا سنيا فاضلا، فارا بدينه من الفتن، ويحب العافية ويسعى فيها، وظهرت بركته على ذريته، مكرما للضيف والزائر، نزيله لايضام. له حظ من الفقه، وله مكاشفات يتكلم بالحكم...)) وحلاه ابن حامد: 13: 2، ب"الرئيس للصالح الحكيم" واستطرد كيف انثال الناس إليه لتباعا وأحلافا و((كونهم غالبا أهل دين وعلم)) حتى عد ذلك من ((كراماته)) ، في عملية استقطاب واسعة النطاق أدت إلى تعاظم قوة حلة [=مركز سلطة] الطالب مصطفى ، مما أشعر الأطراف الجهوية والمحلية بالخطر ؛ فهوجمت الحلة من قبل جيش الرماة القادمين من تنبكتو. وحاربتها القبائل الحسانية: حاربها اليتامى =(البراكنة) فخربوا قصر السلام =(قرية للأغلال). ومن الواضح أن الرسالة الغلاوية لم تكن موجهة إلى الطالب مصطفى، لأنها كتبت في سنة 1240هـ بينما توفى الرجل = قبل ذلك سنة (1139هـ) وهو التاريخ الذي اختاره بن حامد، وكان أورده النسابة المدقق صالح بن عبد الوهاب: وفيات الأعيان: 31. بينما ورد في حوليات تيشيت إنه توفى سنة1137هـ ،تاريخ بن اطوير الجنه1140 ، وكلاهما تصحيف.
دفن الطالب مصطفى في ميل ميل وهي مزارة مشهورة في أرض الركيبة. (ابن حامد، الجغرافيا: 139-140)

[8] – أحمد طالب بن الطالب مصطفى بن الطالب عثمان الغلاوي الأحمدي: (ت1151):
إبن سابقه ذكرا بن حامد، 13: 2 إن والده الطالب مصطفى ((ارسله لمدافعة المغيرين على حلته من الرماة (كما) أعطاه والده المد على كل عير (؟) وذلك عند تقسيمه ملكه بين أولاده ...)) حاربه أولاد الناصر وهدموا داره. راجع: حوليات النعمة(حوادث1272) والنص المحقق ص21.

[9] – جدو بن لخليفه بن الطالب مصطفى بن الطالب عثمان الغلاوي الأحمدي: (ت1210هـ) ترجم له ابن حامد (13: 2) وقال ((كان رئيس عامة الأغلال وكان يضرب به المثل في الفضل والسخاء والحلم...) كان عزيزا لايضام جاره حتى قيل فيه المثل الحساني: ((أوخظ من تحت إليفه أ كول أنك ولد جدو ولد اخليفه)) تفصيحه: كن ابن يقطينه وانتسب لجدو بن اخليفه.

[10] – الشيخ المختار اخليفه بن الطالب مصطفى (ت 1211 أو 1212هـ) ترجم له ابن حامد، 13: 4 فقال: (... كان عالما صالحا صوفيا مربيا منقطعا لله، أخذ عن الشيخ سيد المختار الكنتي وأجازه في الطريقة القادرية ...) وانظر تاريخ بن اطوير الجنه: 85 وفيه تاريخ وفاته.

[11] – حنانى بن الشيخ المختار بن اخليفه: (كبير إخوته: كواد والجيلى وشقيقتهم الخيرة وأمهم الطاهرة بنت سيد محمد بن الحاج عبد الله بن بوره. ثم محمد الشهير بابن اخليفه ورياسة بنى الشيخ في حنالي ثم في أبنائه. راجع بن حامد،13: 4.

[12] – أحمد الوقف بن لخليفه بن الطالب مصطفى: ذكره بن حامد، 13: 4-3. لم يفصل في ترجمته.

[13] – الطالب جدو بن نختيرو بن الطالب مصطفى: (ت1204) من كبار فقهاء بلاد الحوض الغربية في زمانه ، ورئيس قومه حتى توفي . ترجم له البرتلى، فتح الشكور: 85 - 86. وقال: ((كان فقيها صالحا عالما بأصول الدين سنيا قادريا...)) وذكر اعتزاله الحرب بين الأغلال وتجكانت، وقولته المشهورة "رحلة لتكانت ولا فتنة مع تجكانت"، وذكر له ((مقدمة مفيدة في المهم من فروض الأعيان (...) تدل

جدو بن محمد المختار[20] ومحمد بن محمد المختار.[21] ومحمد لحبيب[22] ومحمد ابن الصافي[23] واخوته.

وأبناء أحمد المنفع بن المعلوم[24] وأبناء عبد الله[25] وأبناء عبد الرحمن الجوده[26] وجميع إخوانهم. وأبناء يبوي[27] : أبناء

على اطلاعه وعلو مقامه في علم أصول الدين وعلم الحقيقة)) تلمذ له من الأعلام: لمرابط سيد محمود وهو المذكور في الفتح بإسم محمد الوادانى، وسيد مالك بن الحاج المختار الغلاوي. وفي تحديد تاريخ وفاة للطالب جدو وقع خلاف شديد بين المترجمين وأصحاب للحوليات. فابن حامد تردد بين تاريخين متباينين هما:1204هـ (الحياة الثقافية: 210) وثانيها سنة1231(للجزء الخاص بالأغلال: ص5).

وفي فتح الشكور: 86. جاء ذكرسنة 1104هـ. وفي تاريخ بن اطوير الجنة:1179:75هـ وفي وفيات الأعيان:42. ذكر صالح عبد الوهاب في سياق حوادث 1184هـ وفاة الطالب جدو لكنه استدرك بقوله:((وقيل غير ذلك)) وفاة جدو بن الطالب الصغير في تاريخه. فاختار نفس التحديد. ومع أننا لم نصل في شأن وفاة الطالب جدو إلى نبإ يقين، إلا أنه يمكننا التنبيه إلى الآتي:

ـــــ أن سنة 1231 هي تاريخ وفاة ابن المترجم، سيد بوبكر بن الطالب جدو بن نختيروا حيث ذكر بن حامد (الحياة الثقافية:210) أنه توفى هذه السنة أو في التي بعدها.

ـــــ أن التاريخ الوارد في الفتح: 1104هـ هو بلاشك مصحف1204هـ بحكم استحالته لأن جد المترجم: الطالب مصطفى توفى سنة 1139، ووالده نختيرو توفى في حياة أبيه .

ـــــ أما التواريخ الأخرى: 1184،1179 فاجتهادنا أنها بعض ما تردد فيه الأخباريون من تاريخ هجرة الرجل إلى تكانت فرارا من الحرب التي أولها وقعة تنكارة سنة1177هـ حسب ابن اطوير الجنه أو 1176 جدو بن الطالب الصغير البرتلي. وعلى العموم فإن التارخ الأقرب إلى الصواب، هو في تقديرنا: سنة1204 التي أختارها صاحب الفتح (مع التنبيه إلى سبق القلم المشار إليه) وابن حامد في المصادر اعلاه.

[14] – حمادي: لم نجد له ترجمة.

[15] – الطالب بن للطالب جدو: (ت1242) قال عنه بن حامد:13: 2 ((كان سائسا مدبرا عاش مائة سنة ولم يتحارب الأغلال إلا بعد موته)). تنسب له حلة الطالب الذائعة الصيت في عموم الأغلال. ابن حامد.13: 5.

[16] – محمد بن الطالب جدو: خرج على أخيه، وتبعه جمهور أهله المعروفين بأهل الطالب جدو، أنظر ابن حامد، 13: 6. والجغرافيا:59

[17] – بوبه بن الطالب مصطفى: من رؤساء قبيلته. ابن حامد13: 6.

[18] – ابراهيم بن بوبه بن الطالب مصطفى: معدود في فقهاء قومه. ابن حامد:13: 6.

[19] – أحمد بن بوبه بن الطالب مصطفى: لم نجد له ترجمة

[20] – أحمد جدو بن المختار: قائد سياسي لامع، من أعيان قبيله راجع: بن حامد،13: 9-10.

[21] – محمد بن المختار: من أعيان الأغلال

[22] – محمد بن لحبيب: لم نعرفه.

[23] – محمد بن الصافي: ذكره ابن حامد (13: 6) وقال:((من أبطال أهل بوبه المشهورين)).

[24] – أحمد طالب المنفع بن المعلوم : من زعماء الأغلال المشهورين. ابن حامد،13: 5

[25] – عبد الله

[26] – الرحمن اجوده: لم نعرفه.

الطالب سيد أحمد[28] سيد محمد بن محمد الأمين[29] وإخوانهم. وأبـــناء الحاج حمى الله[30] "(أ)" عبد الوهاب[31] وأبناء أخيه عبد الله[32] ومحمد المبارك[33] وإخوانهم، وأبناء سيد أعل:

أحمد جدو بن فال[34] والطالب بن محمد المختار[35] ومحمد المبرك[36] وأخوانهم.[37] صان الله الجميع بعين عنايته، وحاطه بسور حفظه ورعايته.[38]

---

[27] – أبناء يبويه: يبوي واسمه أحمد هنض أي أحمد (= ابن أحمد): أولاد يبويه وبطونهم أهل الحاج المصطف(في تامشكط حاليا). وأهل أحمد بن ويس. ومن هؤلاء اهل بيان(في تامشكط) وأهل حامني في(شنكيط) عنهم يقول ابن حامد، 13: 5: ((أبناء يبوي فيهم فضل وعلم، يقال إنه لاتوجد منهم جماعة إلا فيها عالم مدرس أو مفت...) وانظر أيضا إلى الحياة الثقافية:59.

[28] – الطالب سيد احمد بن محم(محمد) بن الحاج المصطفى: (ت1139هـ): حلاه بن حامد ب ((العالم الرئيس الشهير)) وأضاف: ((جد أهل الطالب سيد أحمد المتوفى (سنة 1205هـ)، راجع بن حامد،13: 8 والحياة الثقافية: 209. وانظر البرتلي، فتح الشكور:138.

[29] – سيد محمد بن محمد الأمين: يلقب ولد أبهاه رئيس فرع من أهل الطالب سيد أحمد. رلجع: ابن حامد13: 8-9

[30] – حمى الله بن أحمد بن الحاج المصطفى: من كبار فقهاء الأغلال. جمهور أبنائهم وأشياعهم في تامشكط((الحوض)). راجع: ابن حامد13: 8-9والجغرافيا ص:60.

[31] – عبد الوهاب: لم نعرفه.

[32] – عبد الله بن الطالب أحمد الحاج حمى الله بن الحاج المصطفى: (ت1209هـ/1785م: علامة بلاد الحوض والشرق الموريتاني عموما . من كبار القراء والفقهاء النولزليين، أديب، شاعر، ناثر، ترجم له البرتلي، فتح الشكور:170- 173.ترجمة حافلة. وذكر أنه كان ((عارفا بأصول الدين، قارئا فقيها شاعرا مجيدا له حظ في الأصول، فائقا في العربية وأصول البلاغة...)) تخرج على يد الأعلام: ((شيخ الحقيقة والطريقة)) محمد احمد بن عبد الرحمن الغلاوي المساوي وأخذ عن خاله سيد عبد الله بن الفاضل اليعقوبي. الحديث، والمنطق عن المختار بن بون، وأجازه ((قدوة الحقيقين)) سيد مالك بن المختار الغلاوي الأحمدي صحيح البخاري والشفاء إجازة حافلة. له مؤلفات كثيرة منها: أختصار مختصر خليل قال عنه البرتلي((يأتي فيه بالمستعمل في بلادنا ويمشي فيه على ما يصوبه شراح المختصر بدلا من نصه...)) وغيرها من التصانيف في مختلف الفنون التي أربت على الأربعين' قال عنه ابن الأمين: الوسيط :((لم يكن في أرض الحوض مثله في زمانه)). راجع: البرتلي، فتح الشكور: 170- 173 وابن حامد، 13: 8-9 والحياة الثقافية:210 . أحمد بن الأمين، الوسيط:91-92.

[33] – محمد المبارك: لم نعرفه.

[34] – سيد أعل بن محم(محمد) بن الحاج المصطفى(ت1202هـ): ((الرئيس الصالح المعروف بشجاعته وعظم خلقته وجلده، وهو أحد أوتاد الحرب مع تجكانت...) أنظر: ابن حامد،13: 9.

[35] – الطالب بن محمد المختار: لم نجد له ترجمة.

[36] – محمد المبروك بن حمادي بن سيد أعل: أحد كبار الأغلال الذين قضوا يوم تنبمبه.

السلام عليكم أتم سلام، مشفع بتحية وإكرام، مشيع برحمة وبركة وإعظام، ما نسخ ضوء نور سد فة ظلام، ورسخ أكيد حب بأعشار لب مستهام، يعم الحلاحل والهمام والمسود والإمام و(الشيخ)[39] والغلام، والأنثى والذكر والأسود والأحمر والأصغر والأكبر والخامل والأشهر. وإني أوصيكم بتقوى الله قبل كل كلام، فتقوى الله تعالى أوثق عروة وأقوى زمام. وأتلو عليكم بذلك ذكرا حكيما وقرأنا كريما : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما".[40]

وأعلمكم أن أعظم محظور يتقي، وأنكر منكر يصعد بسببه إلى صعود ويرتقي، إثارة الفتن المطغية فيما بين الأمة المرحومة المحمدية، وأهنؤكم هنأنا الله وإياكم بالعافية، وعصمنا وإياكم من ما يعيذ منه بعنايته الكافية، مما أسبغ عليكم الكافي الكفيل من نعمه النازهة عن الإنحطاط بهوة الفتنة، والانخراط بسلك الطغيان والمحنة؛ مع أن الجوار داعية الإنجرار، وشيطان الإنسان أشد

---

37 – احمد جدو فال بن سيد أعل: أقتسم الرياسة مع أخيه سيد محمود. قاد الحرب ضد تجكانت بينما تورع عنها أخوه.راجع: ابن حامد،13: 9.

38 – هنا تتوقف الأسماء المذكورة .

39 – في نسخة المعهد : الشرخ وهو تصحيف .

40 – سورة الأحزاب، الأية 70، مدنية

فتنة من شيطان الجان.[41] فاعتصموا، عصمكم الله بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ولا تكونوا من قوم إذا حوربوا على دينهم "تفرقوا"[42] ورقوا فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (يأتي على الناس زمان يخير فيه الرجل بين العجز والفجور. فمن أدرك ذلك الزمان فاليختر العجز على الفجور) وعنه أيضا (سيجيئ أقوام في آخر الزمان وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يزعون عن قبيح، إن تابعتهم داروك وإن أدبرت عنهم أغتابوك ".[43] وحكمة ذلك أن الآدمي لما أبتدعه الله تعالى بقدرته، مؤتلفا من الأخلاط ذا مزاج، أحوجه الله سبحانه ببالغ حكمته في بقاء وجوده الشخصي إلى القوام بالغذاء، وفي بقاء وجوده النوعي إلى التوالد بواسطة النكاح، ولو لم يكن ذلك طبعا، لاحتاج إلى داع آخر، فيتسلسل ويبقى فاترا عن ذلك فيهلك شخصا أو نوعا. فسبحان المدبر الحكيم.[44]

ثم لما كانت الشهوتان لا تحصلان إلا من مادة المال، إذ به يحصل المأكول والنساء، طبع الله فيه حب المال وحب النساء،

---

[41] – يشير إلى اشتراك أهل سيد محمود والأغلال في فضاء جغرافي بشرى متقارب في بلاد الحوض والركيبه وغيرهما. وهي صلة تأصلت منذ وصل المرابط سيد محمود إلى الركيبه والحوض مهاجرا من ودان ((فنزل على الطالب مصطف الغلاوي عريف البلاد آن ذاك علما وعملا وولاية...)) راجع: ابن حامد، الموسوعة ،ج4:51

[42] – أخرجه السيوطي في "الفتح الكبير"، ج2 ص: 162.

[43] – راجع: الطبرا ني، المعجم الصغير، ج2 ص: 39.

[44] – المؤلف هنا ينقل من المحاضرات لليوسي.

وكل ما يستعان به في ذلك الباب من صحة وقدرة وجاه ورياسة. وذلك هو مجموع الدنيا، فكانت الدنيا محبوبة طبعا للحكمة المذكورة. وكان ميل النفس إلى شيء من هذه المحبوبات بمقتضى الشهوتين المذكورتين. وهو المعبر عن الهوى، طبعا مركبا في الإنسان. وكل ذلك في أصله رحمة من الله تعالى للإنسان. إذ لولا ذلك لن يستتم له وجود. ثم جعل الله العبد متأثرا بالعوارض في بدنه وفي ماله وفي حريمه نحو ذلك؛ فافتقر إلى احتماء عن ذلك ودفاع فطبع فيه الغضب وهو أيضا رحمة منه تعالى. إذ لولا هو لم ينتهض أحد للدفع عن نفسه ولا ماله ولا حريمه ولا جاره، ولا لغير ذلك من تغيير منكر ونحوه. مما يجب القيام به. ثم إن النفس لما كانت فيها ذلك استعدت أن تتقاضاه من كل وجه طلبا لحصول المرام على التمام، فتأكل مثلا وتبالغ، ولا تقتصر على القدر المحتاج إليه ولا تتنزه عن الزائد المضر وتشرب كذلك وتنكح كذلك وتدافع كذلك، ثم لا تبالي من أي وجه ولا بأي حال حصل ذلك، أمن مأذون فيه؟ أم من محرم؟ لأن سعيها طبعي لا شرعي. وكذا في طبعها ودفاعها. فمتى تركت وذلك أخذت العبد عاجلا لحصول الأمراض وإتلاف الأموال في الشهوات، وانتهاك الأعراض والمروءات، وكثرة اللجاج

والعدوان والهلاك والبوار؛ وآجلا بالتعرض لطول الحساب وأليم العذاب، وسوء المآب، لوجود التكليف. وهذه هي المضرة المنسوبة للنفس. فخلق الله العقل ليكون محتسبا عليها، حتى تكون فيما ذكر من الشهوة والغضب تابعة لإشارة العقل أخذا وتركا؛ وأودع الله تعالى في العقل إدراك المصالح والمفاسد والمنافع والمضار، حتى يعلم ما يشير به أمرا ونهيا ليجري الأمر على السداد، فلا يقع القصور عن المراد ولا التعدي إلى ما يوجد الفساد.

ثم لما كان العقل أيضا، معرضا للخطإ والقصور عن كثير من المصالح والجهل بكثير من المدارك ولاسيما المغيبات، لأن النقصان شأن المخلوق، أفتقر هو أيضا إلى مؤيد، إما إلهام من الله، وإما عقل آخر أكمل، كما في حال التربية وتلقين الحكمة؛ وإما وحي سماوي وهو أكمل، فؤنزلت الأحكام وشرعت الشرائع وانتسبت الأحكام إليها عند أهل الحق لا إلى العقل، فصار العقل مؤيدا للشرع، متأيدا به.[45]

ثم إن أبليس اللعين عند ما وقع له من الخزي والطرد مع صفى الله آدم عليه السلام ما وقع، صار عدوا له حسودا، حقودا؛ وكذلك لذريته إلى يوم القيامة. قال تعالى: {يا آدم إن هذا عدوا

لك ولزوجك}[46] وقال تعالى: ((إن الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا))[47]، فكان همه السعي في مضرة الآدمي كما يسعى كل عدو في مضرة عدوه.

ولم يجد إلى مضرته سبيلا أقرب من غروره ولا أنجح، فكان ياتيه من قبل النفس وطريق الطبع، فيزين له ما طبع عليه من الشهوات، ويسول له كل قبيح. قال تعالى: {الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء}[48] فحصل اتفاق بين النفس وبين الشيطان على مضرة الإنسان. غير أن المقصد مختلف، ومن حيث أن النفس لم تكن المضرة منها عن قصد وعداوة، كيف ولا أحب لكل أحد من نفسه؛ بل جهلا وغلطا، وذلك أنها أدركت ما في طبعها من الشهوات الحاضرة، فاستحسنته وظنت أن ذلك هو كمال صاحبها إذا ناله، فجاء الشيطان فاغراها بما استحسنت، وزين لها ما غنت، فاعتقدت أنه نصيح واتخذته خليلا، تلبي دعوته وتجيب رغبته، فأتى الإنسان وتمكن منه عدوه من طريقها، فصارت من هذا الوجه عدوة، بل أعدى الأعداء، قال الرسول: ((أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك)).[49] وأما

---

[45] – اليوسي، المحاضرات :60-61

[46] – سورة طه ، الآية 117، مكية

[47] – فاطر ،الآية 6، مكية

[48] – راجع : السيوطي ، الفتح الكبير :2:112 "رقم 50"

[49] – راجع : اليوسي ، المحاضرات "61-62 "رقم51"

الشيطان لعنه الله فهو يفعل ما يفعل عن عداوة وقصد وإضرار؛ فإنه لما خاب من رحمة الله وطرد عن باب الله -والعياذ بالله- أراد أن يسعى في خيبة الآدمي وبعده عن الله وحرمانه من الإحتلال بالجنة في جوار الله باتباع الدنيا وغرورها.

والإكباب على شهواتها وشرورها، ومع ذلك فليس للشيطان غرض في اتباع الإنسان للشهوات، ويمنع باللذات، لشدة عداوته إياه، بل لو أمكنه أن يسعى في حرمانه دائما فلا ينال لذة عاجلة ولا آجلة، ولايحصل على منفعة في الدنيا ولا في الأخرة، لكان ذلك هو منيته ورغبته، وهو مقتضى العداوة وثمرة الحسد. إلا أنه لما يمكنه ذلك لفيضان رحمة الله على عباده وسبوغ نعمه عليهم، رأى أن يرتكب به أعظم الضررين، فيستزله عن أعظم الحظين، بل الحظ الذي هو الحظ، وهو الأخروي، ويستهويه إلى الحظ الدنيوي، ورأى أنه إذا خاب من النفيس الباقي، واستبدله بالخسيس الفاني فقد خاب والأمر كذلك، فإما في الدنيا لو كان نفيسا، وهو بصدد الإقناع لم يلتفت إليه، فكيف وهو مع ذلك خسيس، مشوب، متكدر، بل لو كان نعيم الآخرة النفيس ينقطع لوجب أن لا يلتفت إليه، إذ النفس إنما تجد النعمة ما دامت

متناولة لها، فإذا انقطعت عنها تكدرت بمثابة الصبي الرضيع، متى صرف الثدي عن فيه صاح.

فتحصل من هذا أن النفس مضرة بالإنسان من وجهين: أحدهما : أنها تميل بطبعها إلى الشهوات، وتخلد إلى الرعونات. والثاني: أنها مسلك الشيطان، إلى الإنسان كما مر، وأن الشيطان مضر الإنسان بوسوسته وتزيينه للنفس.[50]

وهذه كلها أسباب جعلية أقتضتها الحكمة الأزلية. والنافع والضار والهادي والمضل هو الله تعالى، فتبين أن النفس مضرة للإنسان. تابعة للشيطان سفها منها وغلطا، لاعداوة، ولسان حالها ينشد قول القائل:

وخلتهم سهاما صائبات   فكانوها ولكن في فؤادي[51]

ولما بين النفس والشيطان من اختلاف الوجه وتباين المقصد، فرق الصوفية بين الخاطر النفاسي والخاطر الشيطاني. بعد اشتراكهما في الحض على السوء في الجملة، لأن الخاطر إذا تقاضى معصية مثلا بعينها، فإن أصر على ذلك، فهو نفساني، وإن جعل يتحول من معصية إلى معصية فهو شيطاني، ووجهه أن النفس، إنما تتطلب المعصية بمقتضى طبع فيها، من حيث أنها

---

50 _

51 - لم نعرف قائله.

شهوة لاغير، فلا تريد أن تنفك عنها حتى تنالها، بعينها، وأما الشيطان فليس مطلبه من الإنسان أن ينال شهوة ومتعة من حيث التنعم بها، فإنه عدو بل من حيث أنها معصية موجبة للعقاب، فمتى دعاه إلى واحدة فتعثر أو تلكأ عنها دعاه إلى أخرى لقيامها مقامها في المقصود وهو حصول الإثم واستحقاق النار –نعوذ بالله تعالى من شره.[52]

وبالجملة فالحق سبحانه وضع في الدنيا مائدة لعباده، وجعلها دولا كما قال تعالى: {"وتلك الأيام نداولها بين الناس"}[53]. فكل من جلس على هذه المائدة وتناول منها ما قسم له، فلا بد أن يقام عنها بالموت أو العزل، ليجلس غيره، ولاتدوم لأحد، بل لايقام عنها غالبا إلا بمرارة وعنف، تحقيقا لقوله r في الولاية : "نعمت المرضعة وبئست الفاطمة"[54]. ثم من الناس من لم يشعر بهذا المعنى، ولم ينتبه له فهو يسعى إليها إعجابا بأوائل زخرفها، وإنخداعا بظاهر زينتها، كما قيل:

الـــــحرب أول ما تكون فتيــــة   تبدو بزينتها لكل جـــــهــول

[52] – المحاضرات ، 62- 63.
[53] – آل عمران الآية 140، مكية.

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها   عادت عجوزا غير ذات خليل

شمـطا تنكر لونهـا وتغيـرت   مكروهة بالشم والتقبيـــل[55]

ومن الناس من علم ذلك وتنبه له، ثم من هؤلاء من نفعه الله بعلمه، فأوجب له أحوالا محمودة، إما قبل ولوجها بالزهد فيها والفرار عنها، علما بغايتها، دينا وتقوى، وحزما فى الدنيا، وإما بعد الولوج بالتعفف والعدل والإحسان والرفق ومجانبة البغي والعدوان، إما دنيا أيضا وحذارا من المطالبة بالآخرة، وإما حزما دنيويا وحذارا من اختلالها واضمحلالها.

وقد حكي عن فرعون -لعنه الله- أنه دخل عليه بعض عماله بمال عظيم فوضعه بين يديه، فقال له: من أين لك هذا؟ فأخبره أن بعض القرى من أعمالهم كان لهم ماء فتبطل، وأنه قد أذن لهم في إحيائه وإجرائه على هذا المال. فقال له فرعون: الماء ماؤهم وقد أجروه، ففيما يدفعون المال؟ هذا ظلم وجور والملك لا يستقيم على الجورفاردد إلى الناس أموالهم. فانظروا معاشر المسلمين هذا كافر لا يلتفت إلى آخرته، ثم حافظ بالعدل على دنياه فقط. فكيف بمن يدعي الدين، ثم لايلتفت إلى العدل والإنصاف، ولا يحافظ على دين ولا دنيا؛ وإن الله يبقى على

---

[54] - حديث صحيح على شرط البخاري، رلجع: متن مشكول البخاري بحاشية السندي: 4: 235.

العدل والكفر ما لايبقى على الإيمان والجور. والعلة فيه أن الملوك والرؤساء خلفاء الله على عباده، مومنهم وكافرهم؛ غير أن المومن خليفة في الطرفين، والكافر خليفة في الدنيا فقط. والملك هو نظام العالم والعدل روحه، فمتى ذهب العدل اختل النظام ووقع الفساد في العالم. وقال علي كرم الله وجهه[56] "الدين أس والملك حارس وما لا أس له مهدوم". وفي الحديث: "صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس الأمراء والعلماء"[57] وقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– :" لايقيم هذا الأمر إلا رجل يخاف الله في الناس ولا يخاف الناس في الله".

ولم يزل الحازمون من أهل الدين والحصيات، أي العقول، يهربون من الولايات والترأس، إذلايركن إليها غالبا إلا شهواني أو مضيع للحزم. فقد تكلم يوما معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه[58] – فقال: أما أبوبكر[59] فهرب عنها وهربت عنه، وأما عمر فأقبلت إليه وهرب عنها، وأما عثمان[60] فأصاب منها وأصابت منه، وأما أنا فداستني ودستها، وأما علي فأصابت منه ولم يصب

---

55 – أبيات تنسب لامرئ القيس، وتنسب أيضا لعمرو بن معد كرب الزبيدي. راجع: ابن عبد ربه: العقد الفريد: 3.

56 –

57 – راجع: السيوطي، الجامع الصغير: 2: 201

58 – معاوية بن أبي سفيان (20ق هـ –60هـ/ 630–680)، مؤسس الدولة الأموية بالشام.

59 – أبوبكر الصديق (51ق هـ –13هـ/ 573–634م) أول الخلفاء الراشدين وأول الصحابة إسلاما.

60 – عثمان بن عفان (47 ق هـ –35هـ/ 577 –656م ذو النورين، الخليفة الثالث.

منها. فقد أجبى إليه كرم الله وجهه من الذهب والفضة مابلغ من الكثرة مبلغا، فجلس بإزاء ذلك وبيده قضيب، فجعل يقلبها به، ويقول: ياصفراء، ويابيضاء غري غيري ولا تغريني، وأخذ يفرق ذلك حتى لم يبق منه دينارا ولا درهما.

وكل من تعرض لولاية ما، من السلف، فإما انتهاضا لنصح المسلمين من نفسه بإقامة الحق ليلا يضيع، وإما نزغة بشرية حركها سبب من الأسباب. أما على الثاني فلا يقتدي به، وأما على الأول فيقتدي به من بلغ مقامه في التمكين والقوة والنزاهة وفي مثل زمانه الصالح الذي لم يزل الدين [فيه] طريا والحق جليا والأعوان عليه قائمين وأهل الباطل عنه منهزمين. وهيهات ذلك في آخر الزمان الذي غلب فيه حب الدنيا واستولى على الناس فيه سلطان الهوى، فلا ترى إلا حرصا على الجمع والمنع، ولا ترى إلى نفاقا ومداهنة وملقا فالمرء فيه لايعدل بالسلامة [شيئا] ومن له بوجودها[إلا] أن تصحبه من المولى عناية باهرة وألطاف متظاهرة.

وقد أنذر النبي بهذا الزمان ، وحض فيه على تجنب العامة حذرا من الافتتان، وإيثارا للسلامة من الخذلان، فقال: ((إذا رأيت شحا مطاعا وهوا متبعا وإعجاب كـل ذي رأي برأيه فعليك

بخويصة نفسك)).[61] فمن انتهض اليوم للانتصاب روما منه لإقامة الحق وانتصاف المظلوم من الظالم فهو مغرور، ولعل ذلك لايأتي له كما ينبغي في بيته، فضلا عن قريته فضلا عن البلد، فضلاً عن الإقليم، وقد يقف على فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بمصالح المسلمين، ودرجة الإمام العادل. وذلك كله حق ولكن أين يتأتي، فيتحرك المسكين لإقتناص الأجر، والظفر بعلى الدرجات، فلا يفطن إلا وقد وقع به العشاء على سرحان ، ربما حان فيه من حان، وقد يكون ذلك -وهو الأغلب- من دسيسة دنياوية، ونزغة شيطانية. وقد يقع في هذه المهاوي بعض أبناء الطريق، يحسدهم الشيطان الوقوف على باب الله والتفرغ للحضور بين يدي الله، وتجنب المعاصي التي هي أقرب شيئ إلى الغفران برحمة الله. فلايزال بهم حتى يضمهم إليه ويجوب بهم مزالق من كانوا يتبعونه إلى مهاوى من اتبعهم، فكانو من الغاوين، كما قيل:

[61] - أخرجه أبو داوود، 4: 123، كتاب الملاحيم ، باب الأمر والنهي. الترمذي، 5: 257 وقال: "حسن غريب" .

وكنت امرءا من جند ابليس فانتهى بي

الأمر حتى صار ابليس من جندي[62]

نسأل الله العافية لنا ولكم ولسائر الإخوان، ممن ظأرهم ثدي الإسلام والإيمان.

فيجد الواحد منهم قوة إيمانية في قلبه أو حالة جمالية واردة على باطنه، فيوهمه ذلك أنه قوي على أن يصدع بالحق، وربما أوهمه ذلك أنه بذلك دون غيره هو الأحق، فيتحرك على طمع أن يتسنى له الأمر، وأن ينقاد له أبناء الدهر، ويحفر فيكدي، فلايعيد ولا يبدي، ثم يصير أشقر، إن تقدم ينحر، وإن تأخر يعقر، فلايسعه -على زعمه وفاسد وهمه- إلا فتح أبواب التأويلات والترخصات، وإسعاف الناس فيما انتهض ليكفهم عنه، واتباعهم بعد أن قام ليتبعوه، فصار هادما للدين بعدما قام ليبنيه، وخافضا للحق مكان ما انتهض ليعليه.

---

62 - لم نعرف قائله.

الباب الأول : حركة عبد الله بن سيدي محمود

كحال ما تورط به أخونا المغرور، المفتتن بفتنة الرياسة، والغرور بالإملاء[63] ومساعدة السياسة، عبد الله بن سيدي محمود الأبجي[64].

---

[63] – في نسخة المعهد: الأملاك.

[64] – عبد الله بن سيد محمود بن المختار بن عبد الله بن أبج الحاجي (ت1255هـ) :عرف بالنهاه: قائد سياسي لامع ، فقيه ضليع وشاعر مجيد، وصف بالعبادة والصلاح والشجاعة وبعد الهمة، ولد في الركيبه لأم جكنية هي أخديجه بنت سيد لمين بن حبيب الجكني ((أشتغل في اول أمره بالعلم، وانكب عليه، وكان لاينام لشدة جده ولجتهاده)) على حد تعبير لبن الأمين (الوسيط: 362). وكان((أول علمه درس على أحمد محمود بن آبيه من أهل أتفاق الخطاط كان يسكن عند أشفار، موضع بآدرلر في واد الحمام الذي يقال له المداح)) حسب رواية ابن كتاب، للمنهاج:8. ثم أعمل الرحلة طلبا للعلم و((للتبرك)) باهل (الصلاح)، حتى لقد قيل إنه (تلاشت تحته أربعون جملا في زيارة الصلاحين...) فانتقل من عند شيخه الأول إلى للمختار بن بون الجكني(ت1224). ودرس عليه فنونا شتى وكذلك كان درسه على سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم(1833/1214) ويقال إنه تلقى الأوراد القادرية عن الشيخ للمختار الكنتي الكبير(ت1226هـ) على خلاف في ذلك بين روايتي الغلاوية والوسيط.

قاد حربا ضروسا ضد الإتحادية الكنتية، وذلك بعد أن أتم بناء مشروع سياسي وعسكري حبكه بعناية فيما يبدو. وذلك بعد لن أعاد تنظيم القوى للتي التفت حول والده المرابط سيد محمود(ت1200هـ) لكنه ظل ينتهز للفرصة المواتية لمواجهة خصومه. ولم يقم بإعلان الحرب خلال حياة الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير(ت1826م) وهو أمر مفهوم بحكم جلالة منصب هذا العلم الجليل سيادة وسياسة، وبحكم قوة حضوره السياسي الديني الحاسم. وبعد رحيل المختار الكبير، ومقفل عبد الله للنهاه من للحج ((أقبلت عليه الناس، واعتقدت فية)) وبدأ يتحرش بخصومه ويحرض أطراف إمارة إدوعيش على ذلك، وقد استمرت هذه المرحلة، المتسمة بطابع الكمون والمهادنة النسبية، مدة تزيد على عشرين عاما حسب رواية الغلاوية . ثم بدأ عبد الله الإعداد للحرب مستفيدا من الوضع الجديد الذي عرفته إمارة إدوعيش في تكانت بعد وفاة أميرها القوي محمد بن امحمد شين سنة1236هـ/1821م الذي انقسمت بعده الإمارة إلى قسمين متصارعين:

– إمارة ((اشراتيت)) وهم شيعة المختار وإخوته، وكانوا في الركيبه.

– إمارة ((أبكاك)) وهم شيعة أسويد أحمد بن أمحمد شين وظلوا في تكانت!

وانتهز عبد الله بن سيد محمود فرصة هذا الإنقسا م معتمدا على زواجه من أخديجه بنت محمد بن أمحمد شين ، الذي كان زواجا سياسيا في المقام الأول، مما جعله يتحكم في جانب من اللعبة السياسية داخل الإمارة المنقسمة، وانتهز الفرصة من كنته فبدأ يتحرش بهم، ويدفع حليفه المختار بن أمحمد شين الذي ترأس ما بين(1236-1242هـ/ 1821- 1826)، للتحالف معه للإغارة علىالقوى الكنتية.

وأول أيام الحرب كان عند (كنديكه) ثم جاءت وقعة انودر سنة 1236هـ/1821م وفيها تحالف كنته وابكاك ضد اشراتيت وأهل سيد محمود. اكن أفظع وقائع الحرب على الصعيد العسكري هي وقعة (دوك بص) أول ربيع الثاني سنة 1237هـ/1822م. حيث أوقع فيها التحالف المضاد بعشرات من أولاد سيد الوافي من كنته. وقد خلفت هذه الوقعة أثرا لايمحى في نفس الشيخ سيدي محمد الخليفة ويتضح ذلك من تكرار ذكرها في الغلاوية!. وتوالت المعارك الضروس مدة أزيد من 70سنة، بين أحفاد قادة الطرفين. وكان من نتائجها الجيوسياسية، بتعبيرنا اليوم، الأنزياح المستمر للزاوية الكنتية في ازواد نحو هموم

أعيذ نفسي وإياكم وسائر إخوان الإسلام مما استعاذ منه النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام من الحور[65]، أي النقص بعد التمام -بعد الكور- والخذلان، والاغترار بإملاء الحق والاستدراج ومقابلة مكر الله بالأمان، فإنه لايامن مكر الله إلا أهل الخسران.

فإنه نشأ في كفالة أبيه سيد محمود[66] وكان متدينا متقشفا، متزهدا، متصوفا، نال من الصيت ما نال، برسم الانتساب إلى

وتطورات الحرب في تكانت والحوض... كما أدت مختلف المعارك والتحولات السياسية التي رافقتها إلى جملة نتائج منها:

1- الإجهاز على عملية التطور السياسي التي كانت قوة إمارة إدوعيش تسير فيها، بحيث انقسمت الإمارة إلى أجنحة متصارعة، وفقدت مكانتها التقليدية السابقة -تقريبا- بين القبائل المنطقة.

2- سقوط العديد من الضحايا من القبيلين بل ومن القبائل الأخرى، و تد هور مصادر عيش السكان بفعل المعارك الطاحنة وانعكاسها سلبيا على تطور الواحات الجبلية ،كما تنامت هجرة السكان عن القرى إلى الأريف هربا من الغارات المفاجئة..

3- ظهور قوة أهل سيد محمود رئاسة محاربة قوية تضم تحت لوائها جزءا كبيرا من قوة إدوعيش بالإضافة إلى الآلاف من الزوايا والمهاجرين...

وقد توفي عبد الله النهاه سنة 1255هـ بعد أن ترك قوة أهل سيد محمود متلاحمة تحت قيادة ابنه محمد محمود . وقد خلف عبد الله انتاجا شعريا جيدا مبثوثا في الكنانيش وبعض المصنفات كما ترك جملة رسائل وتقاييد. راجع: ابن الأمين، الوسيط:361-365. ابن حامد، الموسوعة،ج4ص51-56. ابن الكتاب، المنهاج :7-8-9. النحوي(خ)، المنارة والرباط:519-520.

65 -

66 - سيد محمود بن المختار بن عبد الله بن بابا هندى بن أبج الحاجي (ت1200هـ/1786م): ترجم له عبد الله بن ابراهيم العلوي في تقييده في التاريخ، في ذكر حوادث سنة1200هـ في وفاة ((سيد محمود بن ابقيه الولي العالم المشهور عبد الله بن مهند بالعجمية أي محمد بالحسانية)) وحلاه بما نصه : ((وتوفي لخر ذي الحجة منه ذو المناقب الشهيرة والكرامات الأثيرة رحلة المريدين وبغية القاصدين ومزار المتكبرين وملاذ المتبرئين وإمام طائفة الذاكرين ثاني الجزولي في اللهج بالذكر وتلقينه طول العمر ولي لله تعالى سيدي محمود الحاجى بتشديد الجيم نسبة إلى جده حاج بيت الله الحرام ينتسب إلى جده يحي بن عمر...)) .

نشأ في وادان ثم هاجر إلى الركيبه. ولد في آدرار في أحضان قبيل إديشلي وأمه منهم، لازم في شبابه الصوفي الوداني حم ختار الحاجي، ثم تلمذ للفقيه المتمكن الطالب جدو بن نختيرو بن الطالب مصطفى الغلاوي (ت1204هـ/): وعنه تلقى الورد الشاذلي وهو المذكور باسم محمود الوداني ضمن ترجمة الطالب جدو الواردة في الفتح.

الحق والانثيال ، مدة مالم يشب بنوه، فلما شبوا وقد أثرى، تعلقوا من زهرة الحياة الدنيا بالعرى، ورغبوا أو من رغب منهم عن زهد الوالد، واغتروا، أو من اغتر منهم، من المال بالطريف والتالد.

فكان مما بلغنا مما يحكيه عنه من صحبه ممن يثق به يعظهم ويحذرهم عواقب الاغترار بزخرف الحياة الدنيا والميل إلى الرياسة والانجرار، ويقول: أخاف على بني هؤلاء فتنة هذا المال والجاه، خصوصا عبد الله فإني أشم منه رائحة الزندقة.

كان صوفيا ورعا، وزاهدا متقشفا، عرف بالعبادة والتواضع. انتقل من وادان إلى الركيبه تحت ضغط التفاعلات التي نتجت عن انتصار إدوالحاج وكنته على أهل شنقيط (إدوعلي ولغلال) وما رافقها من نتائج التنافس بين حليفي الأمس. وفي الركيبه يقول ابن حامد (الموسوعة 4:51) أنه:(.. ورد على الطالب مصطف الغلاوي عريف البلاد إذ ذاك علما وعملا وولاية فانقطع في خدمته ولما رأى منه الأهلية للدعوة إلى الله أمره بالتوجه إلى إدوعيش فتوجه إليهم). وفي مقامه الجديد اشتهر لمرابط سيد محمود ((بالصلاح وتواترت عنه الكرامات والخوارق)) فانثال الناس إليه، في عملية استقطاب واسعة النطاق ضمت إلى إدولحاج الأصليين مجموعات أساسية من القبائل التي كانت في عداد إدوعيش، ولاسيما تغده، السواكر، سارة، للرعيان، والبعض من الزوايا، لكن عملية الإستقطاب هذه لم تكتمل إلا في عهد عبد الله بن سيد محمود في السياق المشروح آنفا.

توفي لمرابط سيد محمود سنة 1200هـ ودفن في كنديكه في مزارة معروفة. راجع: ابن الأمين، الوسيط:364. ابن حامد: الجغرافيا:139، الموسوعة، 4:51 .ابن اطوير الجنة، التاريخ:81. البرتلي، فتح الشكور:137.86 . وانظر: عبد الله بن سيد محمود :انساب إدولحاج، (مخطوط)ص2،-3.

فلما مات رحمه الله، بعدما دخل تحت دائرته من حمر آزناكه[67] ومشظوف[68] وأولاد الناصر[69].

---

[67] - آزناكه: بجيم مصيرية ويعرب إلى صنهاجه. وبصاد مشمومة زايا: أصناج صنهاجه ، هم ازناكن، وهم مع مصمودة وزناتة يكونون المجموعات القبلية الكبرى في المغرب الكبير.
والمقصودون هما إدوعيش و يسمون في الاصطلاح التقليدي آزناكه: تحريفا لصنهاجه ،إحالة إلى محتدهم اللمتوني. وفي قاموس لغة التوارق أن معنى إزناكه: كل صوت مبهم غير مبين صادر عن إنسان أو حيوان قويا كان أو ضعيفا. ويرجح الأستاذ أحمد التوفيق، الضليع في اشتقاق الأعلام الأمازيغية، أن يكون معنى اسم صنهاجه هو ما ترجم باسم ((البربر)) الذي قيل أن معناه: من لايبينون في اصواتهم ولغتهم، وليست من باربار الذي كان يعني الاجنبي غير المواطن الروماني. ويقترح الباحث على صدقى تفسيرهذه التسمية وفق نحلة العيش الغالبة على حياة القوم، فيراه مركبا من مقطعين أول:إهن(=إزن) ومعناه: ((الخيام المصنوعة من الجلد)) ، وثان: إكن(= المغيرون أو الذين يمارسون الغارات)) ، ويستدل على ذلك بشروحات تاريخية ولسانية منسجمة ليس هنا مجال شرحها . ويرى الاداري الاستعماري الفرنسي بول مارتي(Mary) أن الامر يتعلق بانتصار قبائل بني حسان العربية ،في أول دخولها البلاد، على مختلف القوى الصنهاجية ولاسيما اللمتونية. حيث((اضطر البربر المغلوبون إلى دفع الاتاوة (=المغارم)، واحتفظوا رسميا باسمهم السلالي(صنهاجة) والتي تحرفت في لهجتهم البربرية إلى أزناكه. ولما فقدت هذه العبارة (آزناكه) -مع التقادم- معناها الاصلي والسلالي، انتهى بها الامر إلى أنها أصبحت تدل بكل بساطة على ((تابع)) يدفع الإتاوة...)) وينطبق هذا التفسير -الناقص - على فئات الاتباع فقط. أما بالنسبة لإدوعيش ، فقد أصبح لفظ آزناكه وآزناكي لديهم من محامل الشرف والاباء وقوة الشكيمة تشبثا منهم بمحتدهم الصنهاجي اللمتوني . راجع: الثالي، التشوف:98-99 ، ابن عبد الوهاب ، الحسوة . بابه بن الشيخ سيديا: تاريخ إدوعيش، ابن حامد : الموسوعة.

[68]- مشظوف: اسم قبائل محاربة ذات أصول عربية وصنهاجية مختلفة أسست في القرن 19م كبرى إمارات بلاد الحوض بعد إمارة أولاد امبارك الشهيرة، عرف مشظوف بالعدل والجلد في الحرب موطنهم الحوض (= الشرق الموريتاني): وفيه جناحهم الرئيس، ومركز إمارتهم، ومنهم فرقة موفورة في الشمال ويعرفون بمشظوف الساحل. وقبائل مشظوف تنظمها ثلاثة فروع: النبيطات- الحمنات- ولأولاد بوهماد. ورد أول ذكر مشظوف يجذمهم الأصلي، في ما نعلم، ضمن كتاب الحلل الموشية، واستطرد روايته عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان (أصول التوارق). وفي مفهوم الرواية ما يحيل إلى أن المعليين هم المسوفيون قبيل مسوفة للصنهاجي الذي كان المجموعة الوحيدة التي حافظت على مقومات وجود بشري واقتصادي ملموس في غرب الصحراء بعد ما أدت تفاعلات الحركة المرابطية إلى هجرة واسعة للصنهاجيين نحو المغرب. مما أفرغ الصحراء الصنهاجية من خيرة المنتجين والمتعلمين ولاسيما من لمتونه حسب رأي البحاثة القدير ددود بن عبد الله بن هاشم، الحركة الفكرية: الفصل الأول . وكان لمسوفة حضور قوي في الممالك الإسلامية السودانية، فمنهم المستشارون وخاصة البطانة، كما كان منهم، في آخر دولة مالي وجل عهد السنغاى، من كانوا ولاة على بلي جلدتهم. كما كانت لهم أدوار قوية في تجارة الصحراء فعمروا مدن تيشيت وولاته التي بنيت في ذلك العهد والراجح أنهم مؤسسوها.
والمفهوم أن مشظوف العهد الحساني (تميزا لهم علىمسوفه قبل ق16م) هم نتيجة عمليات التعرب والهجرة والاختلاط التي مست جل قبائل موريتانيا الحالية وميزتها على نظيراتها المجاورة. كانت قوة مشظوف متمركزة أولا في تكانت ثم أزعجها إلى الحوض ما كان ينالها من ادوعيش وقد كانت هجرتها في عجز القرن الهجري الثالث عشر خلال فترة إمارة بكار بن اسويد احمد(ت1256-1323) ، وقد سيطر مشظوف على الحوض سيطرة شبه مطلقة وبمجرد أن تم لهم ذلك (أورثهم الله (. . .) ملك أولاد أمبارك في تلك الناحية، وغلبوا على من كان فيها من الناس (. . .) وبلغ أ ميرهم أحمد محمود بن المختار بن المحيميد من العظمة والملك والقوة مالم يبلغ مثله أحد من أمراء هذه البلاد =

وغيرهم من الأوشاب واللحمة مالا يعد كثرة، وتسمو بمهاجرة سيد محمود، وهابتهم اللصوص والمحاربون لذلك. وفي غمار ذلك ممن تمذهب بمذهبه وتمشى على سيرته أفذاذا من

= الصحراوية، وبلغ سائر مشظوف من الكثرة مالم تبلغه قبيلة من قبائل هذه الصحاري (. . .) حسب ما جاء في رواية الشيخ سيديا بابه ((تاريخ إدوعيش ومشظوف)):107-108. وإشارة الغلاوية إلى وجود بعض مشظوف في عداد أهل سيد محمود، أمر وارد ومفهوم، غير أنه، حسب ما نعلم، لم يكن وجودا مؤثرا . ثم إن الشيخ سيدي محمد الكنتي ، مؤلف الغلاوية، كان قد وجه برسالة قوية المحتوى إلى مشظوف وأولاد الناصر، يذكرهم فيها بسالف علاقتهم مع والده الشيخ المختار الكنتي في حربه مع اولاد بله، ويستطرد كذلك بعضا من أدوار أولاد الناصر في نصرة جده الأعلى سيد أمحمد الكنتي في حربه ضد ابدوكل(لمتونة). راجع:: ابن بطوطه ، تحفة النظار..، راجع: ابن حامد، الموسوعة: راجع أيضا: مجهول، الحلل الموشية: ، السعدى، تاريخ السودان: لبن حامد: الموسوعة:3، الجغرافيا، ابن سيديابابه: تاريخ مشظوف. ولد عبد الله : الحركة الفكرية.

[69] – أولاد الناصر: هم أبناء ناصر(واسمه شهاب) بن مغفر بن أودي بن حسان بن مختار بن معقل: ينتمون إلى المغافرة أقوى فروع الأودية كبرى فصائل بني حسان المعقلية التي بسطت نفوذها على شبه منطقة غرب الصحراء منذ القرن 9هـ/15م على الأقل.

جمع أولاد الناصر إلى نزعتهم الحربية نزوعا مبكرا إلى الدين والعلم ، فكان منهم الحاج عبد الوهاب العياسي الناصري الذي كان أول من تمحض طوعا لخفارة حاج بيت الله من أهل الصحراء، كما كان من أول مؤسسي تقاليد الأنزواء الطوعي للتدين والتعلم بين بني عمومته قرب أحواز تيشيت . واستمرت التقاليد العلمية والدينية راسخة بين الفرع الزاوي من أولاد الناصرل[= طلبة أولاد الناصر] الذين ظلوا مستقلين بمحاظرهم وقضائهم عن بلي عمومتهم المحاربين[= عرب أولاد الناصر] رغم مابين للطرفين من تواصل تمليه الروابط الدموية وتفرضه ــ أحيانا ــ إكراهات المكان والزمان . وكان أولاد الناصر أول دخولهم للبلاد، منتشرين بين آدرار وفيه ، حسب رواية الشيخ سيدي محمد الكنتي ، قادوا الحرب ضد الرئاسات اللمتونية آنذاك، واستطاعوا دك تلك الإمارة دكا. وبعد انتصارهم على اللمتونيين اصبح الطريق أمامهم سالكا نحو الجنوب، فخضدوا شوكة القوى الحسانية التي واجهتهم ، ومن آخر تلك الصدامات مشاركتهم في حصار إدوعيش (حصار لحنيكات) ثم اندمجوا أكثر في المشاغل السياسية والعسكرية للمنطقة الواقعة بين تيشيت و ولاته إلى التخوم الوسطى للحوض جنوبا.. رغم قوة أولاد الناصر لم يستطيعوا إنشاء إمارة موحدة ربما بفعل قوة الصراع الداخلي بين قطبي الرئاسة فيهم : اهل لحبيب وأهل احمد لمبرح ومن قبلهم. كانت للجناح المحارب من أولاد الناصر علاقات مودة مع كنته عموما ومع الزاوية الكنتية في أزواد خصوصا لذلك لايمكن فهم عبارة المؤلف هنا على أنها تعني مشاركة من أولاد الناصر في حرب ضد كنته على الأقل خلال حياة الشيخ سيد محمد الخليفه. والظاهر أن الأمر يتعلق بجماعات محدودة من محاربي هذه القبيلة دخلوا في عداد أهل سيد محمود، ولم يكن لهم أبدا دور بارز في الصراع. غير أن الأمر سيتغير ابتداء من وفاة عبد الله بن سيد محمود(ت1255) وتعمق الخلاف داخل إمارة إدوعيش ، حيث شارك أولاد الناصر في الصراعات التي حدثت بين مختلف الفرقاء وانقسموا كغيرهم من المتصارعين حسب فصول الصراع ونظام التحالف المتحول دوريا. راجع: ابن عبد الوهاب: الحسوة : مواضع مختلفة. وانظر : ابن سليمان(القاضي بيه): الجرعة السليمانية (مخطوط«poul marty : tribus mour du hodh et du sahel, « awlad nasser)

الزوايا وفرقة من قومه ، ففاضت الأموال على الجميع وكبروا في صدور المحاربين والزوايا والأتباع.

فحج عبد الله، فمر علينا متسما بسمة التدين طائر الصيت منتشر الذكر، فطلب من الشيخ الوارد رضوان الله عليه[70] الأوراد القادرية، وكتب إليه في طلبها مكتوبا من جملته قوله:

قصدت شيخ الورى المختار لا أربي

فـــي فضة أبتغى منه و لاذهب

وإنما أربى في نقض ما نســـجت

أيدي الخطايا على قلبي من الحجب

---

[70]– المختار بن أحمد بن أبي بكر بن الوافي الكنتي الفهري: علم البلاد الصحراوية في العلم و الورع (ولد سنة1729-1730 الموافق1142هـ وتوفي زوال الأربعاء 29 مايو 1811م بعد عمر بلغ 84عاما أو91 سنة قمرية، ودفن في بولنوار الذي كان يعرف ببئر أبي المرحان ويوجد في بلاد لزواد[شمال غرب منـ[illegible]]. عرف بالشيخ سيد المختار الكبير. درس في احياء زوايا كل السوق في عهد انفصال مركز الثقل الفكري نحو البوادى ومدن الساحل الصحراوية، بينما كانت حاضرة تنبكتو في درك انحطاطها الفكري والاقتصادي وكان الشيخ الكبير شاهدا على ذلك .يعتبر الشيخ الكنتي من أبرز علماء موريتانيا وغرب الصحراء إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق. وكان شيخ القادرية لعهده وهو مؤسسها الفعلي والمدشن الرئيس لعصر تدوينها الثاني بعد شيوخها الأول في الشمال الافريقي والصحراء الكبرى. امتد نفوذه الديني على الصحراء والسودان وطال حواضر المغرب الكبير في عهد الأتراك ووصل إلى مصر خلال سلطنة محمد على باشا. له المصنفات الجليلة التي فاقت على المائة ، إضافة إلى عشرات الرسائل والتقاييد في مختلف الفنون والمواضيع والإشكالات. كانت للشيخ الكنتي حظوة سياسية حاسمة في المنطقة مكنته من التقريب بين مختلف الفرقاء شمال عقفة النيجر (التوارق – الرماة...) وفي صحراء شنقيط (قبائل المحاربين) كما كانت له صلات مع أمراء ادوعيش ولاسيما محمد بن أمحمد شين، مما عرقل مشروع عبد الله بن سيد محمود خلال عهد الشيخ والأمير.
ترجم له عديدون منهم ابنه وخليفته الشيخ سيد محمد في الطرائف والتلائد .وكذلك هارون بن باب، كتاب الأخبار، ابن حامد، الموسوعة: وابن الأمين، الوسيط:361 ، بول مارتي ،كنته الشرقيون:39-75. البرتلي: فتح الشكور:152-153. ولد للحسن، الشعر الشنقيطي :29. ولد عبد الله، الحركة الفكرية (الفصل الرابع والملحق)

فلقنه الشيخ الأوراد والدعية والركعات[71] وتسير بسيرة خاصة خواص المريدين، وتأدب بأخص آداب المتأدبين. أقام على ذلك ما أقام، وحج عليه وقفل من جحه على ذلك، وأقام أشهرا على ذلك، وسافر قافلا إلى أهله مشيعا مكرما على ذلك. وكان يعده منا من يعده من خاصة أهل هذه الطريقة[72]. ثم زيد له في بسطة الجاه والمال والأتباع والشيعة أضعاف ما كان لوالده رحمه الله.

وصاهر أبناء محمد شين[73] بن بكار[74] بن اعمر رئيس الأنباط[75]. فكان له أولاد من أختهم[76] شبوا على ما شب عليه

---

[71]– عن الأوراد القادرية، ولاسيما الأحزاب والتوجهات الصحراوية التي أنجزها الشيخ الكنتي الكبير وابنه سيد محمد الخليفه، راجع: سيد محمد التسليمي، مجموعة الجواهر في طريقة سلطان الأولياء عبد القادر(تونس).

[72]– سيرد في مكان لخر من الغلاوية، أن عبد الله قد أنكر أخذه الورد القادري عن الشيخ الكبير. وفي رواية ابن الأمين الواردة في للوسيط، ص362- 263. (أن عبد الله لم يتتلمذ للشيخ الكنتي، لأن لباه كان قد أوصاه أن لايصير تلميذا له من شدة موجودته على كنته...) واجتهادنا أن عبد الله ربما كان قد تلقى الورد القادري المختاري في أول أمره، مدة حياة الشيخ الكنتي، ثم تخلى عنه ، فيما بعد حينما أزمع الحرب ضد الكنتيين الذين كانوا يمثلون القادرية في ذلك للوقت.

[73] – محمد شين بن بكار بن أعمر (ترأس ما بين 61-1777): من أقوى أمراء إدوعيش: اشتهر بالشجاعة وحسن التدبير، استطاع إخراج إدوعيش نهائيا من قبضة أولاد لمبارك، وقد انتصر على المغامرة في عدة معارك منها يوم ((آرزاك)) سنة 1191هـ/1777م ، ويوم ((الحنيكات)) سنة 1192هـ/1779م وقد استطاع في هذا الأخير أن يفل عزم المغامرة ويشتت شملهم بعد معركة طاحنة. (إبن حامد:174/1:174:

[74] – بكار بن أعمر بن محمد بن خونا (ت1175هـ/1761م): لنتزع الإمارة من عمه أعل بن محمد بن خونا. خاض عدة معارك منها دركل سنة 1152هـ/1739م ولكدى سنة 1159هـ/1746م. راجع: ابن حامد، الموسوعة: 1:174.

[75] – الأنباط : من قبائل إدوعيش وهم المقصودون هنا: ويقال لهم آزناكه البيض!. ومن الأنباط: أهل خنوف وأهل أنديله، وغيرهم وبقيتهم في أولاد اعل انتوفه البيض. وكانت منهم في القديم، فرقة بالكبله (غرب موريتانيا) مثل : أنيرزك: تغرجنت وادكباجه، ومنهم أنكادس، وكانت لهم الصولة قبل وصول أولاد رزك ((بني حسان)). والمفهوم لن الأنباط هم لحفاد أنبيتا (انبيط = انبيتا) للذين كانوا يملكون

أخوالهم من الأنفة والكبرياء والإستطالة على الناس بما هم فيه من زهرة الحياة الدنيا من الجاه والترؤس والقوة ، خلافا لمن سبقهم من الزوايا وفاقهم قديما وحديثا.

بعدم المواساة لأحد من لصوص البلدان، خطيرهم وحقيرهم، خصيصي شائعة في الحواضر والبوادي، يتحدث بها فيما بين المحافل وفي النادي، غفلة منهم عن أمرالشارع بالمداراة، وإخباره عن نفسه الشريفة: أنه بعث مداريا بقوله: "بعثت مداريا فداروا[77]. وعن اجتماع العلماء رضي الله عنهم على وجوب المدارة مطلقا لكل أحد، وأنها من الخصال الجليلة والخلال الجميلة الداخلة في عموم التواضع وحسن الخلق ومن العدل والإحسان وقد صح عنه :[78] ((أمرني ربي عز وجل بمدارة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض)). وعنه أيضا:

أوداغست قبل المرابطين، وكان منهم أوائل قادة الحركة المرابطية مثل أبي بكر بن عمر اللمتوني وغيره.
كانت تنتسب إلى الأنباط للبلاد الصحراوية قاطبة قبل انحلال ملكهم ورجوعهم إلى حال الترحال. وفي ذلك وردت إشارات للرحالة العرب في العهد الوسيط ومن ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم من أن الفاتح المشهور عقبة بن نافع قد واجه خلال حملاته على تخوم الصحراء، مجموعات من الصنهاجيين يسمون أنبيت. كما يرد اسم الأنبيت هؤلاء مرات في سرايا عربية منطلقة من السوس صوب الصحراء ويفترض أنها وصلت إلي حدود نهر السنغال في الجنوب الموريتاني الحالي . واجتهادنا أن اسم الأنباط بمختلف أشكال النطق التي يقدم بها (أنبيت ، انبياط ،انبيات ، أنبية...) يحيل إلي اللفظ البربري المعروف: تانباطيت والذي يعني السلطة أوالقوة وأهلها أو هذا بأجمعه. راجع: ابن حامد، الجغرافيا:30-33. إبن عبد الحكم، مفتوح مصر وافريقيا: 198 ،علي فهم اخشيم ، معجم سفر العرب الأمازيغ:1.

[76] – هي أخديجه بنت محمد بن لمحمد شين وقد تزوجها عبد الله بن سيد محمود الحاجي سنة1211هـ/1776م. راجع: ابن حامد، التاريخ السياسي:176 . ابن الأمين، اتلوسيط: 362.

[77]– ما بين معكوفتين من(نسخةالزاوية) وخارج من (نسخة المعهد).

[78]– لم نجد له تخريجا.

((بعثت بمداراة الناس)). ثم المدارة من أخلاق المؤمنين، وشعار الزوايا. سيما من انضاف إليه من الرعاء والأتباع ما تتعلق به أطماع اللصوص. والمدارة خفض الجناح للناس، ولين الكلام وترك الإغلاظ لهم في القول والإحسان إليهم بالمال في وجوهه، وبذل بعض المال صيانة لباقيه بعد صيانة النفس والعرض والدين. بخلاف المداهنة التي هي معاشرة الفاسق وإظهار الرضى بما هو فيه، من غير إنكار عليه.

فزنوا -رحمكم الله- صنيع هذا الأخ بميزان العلم يظهر لكم بديهة فرق ما بينه وما عليه مجاوروه من الزوايا[79]، إذ هو مداهن لهم أي لأصهاره.

---

[79] – للزوايا: علم على القبائل المتمحضة للعلم والتعلم والنشاطات التجارية. وتذكر التقاليد المروية المحلية إلى لن للزوايا مؤسسة لجتماعية ظهرت إلى الوجود إثر الإجراء للذي قام به الأمير للمرابطي أبوبكر بن عمر اللمتوني، وبموجبه قسم جيشه إلى فئات ثلاث، تخصصت أولها في شؤون الحرب وفنونها فهي لأصل ((حسان))، بينما ولت للفئة الثانية وجهها شطر العلم وللتعلم فكانت أصل ((للزوايا))، أما الفئة الثالثة فانصرفت إلى خدمة الفريقين وأشهرهما في مزاولة النشاط الاقتصادي بفروعه للمختلفة وهذه الفئة هي لأصل الأتباع المعروفين ب((آزناكه أو اللحمه...)) وبالرغم من التاريخية والميكانيكية التي صيغ بها هذا الراي، إلا أنه سيظل تعبيراً واضحا عن دور المرابطين في وضع أسس النظام الاجتماعي الحالي، أو اكسابه بعض المشروعية التي سيظل المجتمع محكوما بضوابطها على مر الأيام. وأدلى رواد المدرسه التاريخية الاستعمارية بدلائهم في هذا الشأن معتبرين الزوايا هم البربر المسالمون المنتجون في مواجهة العرب الحسانيين المخربين. وهي طروحات مستمدة من الوعي التاريخي الاستعماري المتشبث بفكره الصراع الأزلي بين((العرب)) و ((البربر)).
وبغض للنظر عن هذا النقاش، الذي لم يصل فيه الباحثون إلى نبـإ يقين، فإن أول استخدام لمصطلح الزوايا تم العثور عليه حتى الأن ،على حد العلم، _كان يتعلق بالفقيه محمد بن ملوك بن أحمد بن الحاج الدليمي الذي أورد السعدى (تاريخ السودان:31(للنص العربي) أنه (من أهل للزاوية في المغرب لقب المصلى لكثرة صلاته في المسجد) وتوفى سنة 995هـ/1587م وقريبا من هذا التاريخ أشار ابن عبد الوهاب، الحسوة:، إلى أن جده كان أول من تمحض طوعا لحضارة حاج البيت الحرام، علىالطريق الرابط بين السوس وتافيلالت والذي كانت قبائل للمعقل تحكم قبضتها عليه، كما أن من أول من اسسوا تقاليد التوبة الطوعية للتعلم مابين بني عمومته قرب أحواز تيشيت. وتقدم للبحاثة المقتدر ددود ولد عبد الله ولد هاشم برأى دقيق حول تشكل الفئة "الزاوية" مفاده أنها وريثة ((المجتمع للمدني)) الذي كان يتمتع

اللصوص العتاة، وانصاره العصاة البغاة، بمعاشرتهم ومصاهرتهم من غير إنكار عليهم، بل باتخاذهم عضدا عاضدا وساعدا مساعدا، يستطيل بهم على غيره من الزوايا والمساكين.

ظهر مصداق ذلك في هذه الفتنة العمياء التي أفنا شبابه في شبوب نارها، وإعداد أوزارها التي من أدهاها أكل ربقة السلسلة القادرية[80] التي أجمع من يعتد به من أعيان الطائفة الصوفية، أنها أقوى الطرق سندا وأوفرها مددا، وأن وردها أعظم الأوراد قدرا وأوفرها ذخرا، وأكثرها أجرا، وأن صاحبها المحافظ عليها لا يموت إلى على أحسن حال، وإن عمل ما عمل[؟]، وأن تضييعه والإنخلاع من ربقة سلسلته موجب لسوء الخاتمة – والعياذ بالله- بعد ما تغلغل بربقتها، زعما منه أن الإنتساب إلى شيخ يحطه عن مرتبته ويوهم العامة أن ثم من

بنفوذ واسع في المدن التجارية الساحلية. ويتكون هذا المجتمع من ثلاث شرائح أساسية تعتبر هيئة ((العلماء)) في القمة منها، وعلى رأس هذه الهيئة يوجد القاضي الذي كان صاحب السلطة الحقيقية في المدينة. أما الشريحة الثانية فعمادها للتجار الذين كانوا يمولون القوافل وكثير منهم كانوا مقيمين في المدينة، وتتكون الشريحة الثالثة من مسيري القوافل ، وهم -في الغالب- مالكوا جمال القافلة، وينتمون إلى قبائل صحراوية.

وفي مقابل هذا المجتمع المدني كان هناك المجتمع السياسي _العسكري_ ونعني به السلطة الحاكمة في المدن والقبائل الصحراوية . أما نشأة فئة الزوايا بالصيغة التي استقرت عليها فنفرض أنها تعود إلى التقلبات السياسية والاقتصادية التي أدت في النهاية إلى ذوبان الفوارق بين شرائح ((المجتمع المدني)) فعندما فقد الفقهاء مكانتهم السياسية تحولوا شيئا فشيئا إلى تجار متعلمين ، ومع تحول المسالك التجارية وتراجع مكان المدن التجارية الساحلية تحول ((التجار المتعلمون)) تدريجيا إلى مسيري قوافل متعلمين . أي أنهم أصبحوا من أهل الزاوية . ثم لم تفتأ هذه المؤسسة الأخيرة تتوسع باضطراد إلى أن أصبحت علما على القبائل التي تسمي الزوايا والزاوية. راجع: ولد عبد الله (ددود) ، الحركة الفكرية: 85 - 89.

[80] – راجع : حول القادرية الكنتية وصلتها بالشاذلية: أحمد بن سيد محمد العلوي : العضب اليماني (مخطوط).

فوقه، ومن هو أعلى مرتبة منه. منافسة في رتبة السياسة، وإغراقا في باب الدعوى . فأنكر الأخذ عن الشيخ رأسا، وقطع الصلة في ما بينه وبين من ينتسب إلى الشيخ، بسبب أو نسب، خلافا لسائر أعيان الزاوية حوله، من أخذ منهم ومن لم يأخذ. ثم من يعلم منهم العلم بالأخذ غالطه بأن الشيخ إنما حمله على الأخذ عنه كرها بعرضه الورد عليه، من غير طلب ولاتشوف منه، فأخذه وتركه لغنى لم يستعمله وقتا من الأوقات ولا حالا من الأحوال.

توصلا إلى مابينه وبين كنته[81] من الحرب العدوان التي اغتال فيها رحمه فقتل الشيب والشباب والصبيان، وتحمل فيها مارغب عنه معاشروه من بني حسان[82].

---

[81] – كنته: من قبائل غرب الصحراء ذات الوزن السياسي والديني والاقتصادي . ومواطنها في القديم المجال الذي يشمل شمال موريتانيا حاليا وللجنوب الشرقي المغربي إضافة إلى واحات توات للجزائرية . ينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري ، فهم عقبيون. واسمهم الأصلي أولاد سيد أمحمد للملقب الكنتي نسبة إلى خاله محمد آلم بن كنت بن زم من نبلاء ابدوكل ((لمتونه)) الذين كانوا يعمرون آدرار.
وقد عثر الضابط الفرنسي مارتان على وثيقة غميسة تشير إلى الحضور الكنتي المبكر في توات. حيث تؤكد هذه الوثيقة وجود سيد أمحمد وتشير إليه باسم ابن الوافي في توات عام1460، مما يدعم الرواية الكنتية ((المحلية)) بصورة مطلقة. وفيها يرد بالحرف لنه ((في سنة 1460، قدم عمنا أو خالنا سيد محمد من أسرة سيدنا وجدنا الشيخ المختار لكي يقيموا في جزلو (كزلوا قرب تولت) وفي عام 1464 وصل كذلك أولاد داود وأولاد أدليم... ولكن كل هؤلاء انطلقوا في اتجاه ازواد في سنة 1469 بعد لن طردتهم المجاعة...)) راجع: Martin (A . G . P .) Les osisse saharienn. مارتي أبول ،كنته الشرقيون:28 إن هذه الهجرات الأولى ربما كانت جزء ا من عملية النزوح الكبير من آدرار بفعل تحول مسالك القوافل عنه إلى الشرق، والأزمات الايكولوجية الحادة مما أدى إلى ضرب الشمال بعنف: فغارت المياه مما أدى إلى الحروب الداخلية (صراعات تكبه) فانتقلت القبائل نحو الجنوب، وتحتفظ جل القبائل الزاوية بروايات تاريخية عن هجرتها من مواطنها الأصلية من الشمال . وكان النزوح الكنتي جزءا من هذه الظاهرة، ومن أقدم مؤشراته هجرة للعالم الكبير الشيخ سيداحمد البكاي (ت920) رغم لن هجرته كانت لأسباب شرحها الشيخ سيدي محمد في الغلاوية، غير أن المهم هو أن الرجل كان من أول

إذ بلغنا على ألسنة الواردين من تلك الناحية، أنه لما غدر بطائفة أولاد سيد الوافي[83] وختر، وجسر على ما جسر عليه من

كبار الأعيان الكنتيين الذين هاجروا جنوبا، فقد كان متوطنا في شنجيط وفيها اشترى نخلا شاهد أحمد بن الحاج عبد الله الركادي(ق17) وثيقة شرائه عيانا، ونبه إلى ذلك الشيخ سيد محمد الخليفه في الطرائف كما ذكر أن العام1130هـ المسمى كفكافه قد ضرب فيه الجفاف الماحق مناطق الشمال فاتجه كنته نحو ازواد .إلا أن أول حضور كنتي ملموس في الحياة السياسية في تنبكتووأحوازها يرد في كتاب تذكرة النسيان (مارتي، كنته:37 –38) ،على اثر معركة نشبت في 19مارس1720 بين باشوات تنبكتو. وبانتقال كنته إلى فضاء الساحل اندمجوا في التجارة عبرالصحراء التي كانت لهم فيها أدوار أساسية منذ القرون الماضية ولاسيما مع منطقة برنو التي كانت لهم مع سلطانها كاندي بن كامشاش صلات ودية عميقة حسبما جاء في وثيقة نادرة أوردها الضابط الترجمان مارتان في مؤلفه الواحات الصحراوية. (مارتي، كنته الشرقيون:34) وفي أزواد أسس أولاد الوافي مراكز حضارية وتجارية مزدهرة كانت أهمها على الإطلاق زاوية الشيخ سيد للمختار الكبير ذات الإشعاع الواسع في شبه المنطقة .وخلال القرن الثاني عشر وبداية تالية (18 –19) كانت الفروع الكنتية المصا قبة لإدوعيش وأهل سيد محمود هي أساسا : أولاد سيد ببكر وبعض أولاد سيد الوافي ، وأولاد سيد حبيب الله .أنظر : الشيخ سيد محمد الخليفه (الرسالة الغلاوية:، الطرائف(المخطوط). ابن حامد، الموسوعة،(ج كنته)، الجغرافيا: 55 –56 (بول مارتي، كنته الشرقيون) .الشيخ سيد المختار الكنتي، الإرشاد ويسمى أيضا كتاب المنه (نسخة زاوية الشيخ المختار الكنتي)

[82] – حسان: هذا اللفظ يطلق على المنتسبين إلى حسان بن محمد المختاربن عاقل بن معقل، من قبائل بني سليم وهلال التي نزحت إلي غرب الصحراء (موريتانيا وأحوازها) فنشرت لهجتها العربية الملحونة وأسست الإمارات العربية الكبرى. راجع: ابن خلدون، العبر،ج 6 .ودبج صالح بن عبد الوهاب العياشي الناصري (ت1271هـ) مؤلفا قيما في أنسابهم وأيامهم هو الحسوة البيسانيه (مخطوط) ولخصه نوريس Norris (h-t) The Arab Conquest of the western sahara PP 71-76 . والمؤلف هنا لايقصد المنتسبين إلى حسان أرومة، وإنما يشير إلى المنتمين إلى مشمول هذا الإصطلاح أي المحاربين الذين يحملون السلاح وينتحلون شعار قبائل بني حسان الأصلية، وهم هنا إدوعيش وحلفاؤهم .

[83]– أولاد سيد الوافي: أ بناء سيد الوافي بن سيد ببكر بن سيد امحمد الكنتي للصغيرابن سيد احمد البكاي الكنتي) أصغر إخوته لأبيه، يعرف بالشواف، توفى آخر سنة من القرن الحادي عشر الهجري(17م) عن أولاده الخمسة، ويس، سيد الهادي، سيد بوبكر، سيد المختار، محمد، ومنهم تفرع أولاد سيد الوافي ويعرفون أيضا بأولاد سيد بوبكر للكحل وفروعهم: أهل الطالب سيد احمد وأهل المامون، وأهل محم الصغير، واهل عبد الرحمن، أهل أحمد شيخ، أهل ويس، أهل سيد أوبك، أهل الهادي.
من اهل الطالب سيد احمد: أهل بيه، أهل سيد لمين بن الطالب سيد احمد، ومن هؤلاء، أهل محمد بن سيد لمين، أهل سيد أحمدالأمين، وجميع أولاد سيدالوافي بتكانت ((تجكجة)) وما حولها. إلا أهل أمحمد بن سيد لمين ففي ((المجرية)) وإلا أهل ببه ففي((النعمة)) حسبما يذكر ابن حامد، الجغرافيا:56 وقدودهم بول ماري، (كنته الشرقيون 35-38) في حين خلط بين سيد الوافي بن سيد أعمر الشيخ بن سيد احمد البكاي أي يبين أولاد سيد الوفي (المذكورون اعلاه) أولاد الوافي القاطنين أزواد، والذين ينتمي إليهم الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، على أولاد سيد الوافي هؤلاء وقع عبئ المعارك الأولى في الحرب بين كنته وأهل سيد محمود ((دوك بص وما تلاها من تداعيات...)) وهو ما سيأتي في الغلاوية بشأن ((دوك بص))

قلع صمغتهم وفجر، وخالف في الفتك بهم نصوص الكتاب والسنة والأثر، وخرق الاجماع وجاء بإحدى الكبر، ولم يشعر لجبريائه بفظاعة مامنه صدر، إذ طبع الله على قلبه وأعمى منه البصر، ونزل بداهيته التى جر من كبيرتها وكبرها ماجر، على حي أبناء أمحمد شين، فصاحوا وولولوا، وبكوا وأعولوا، وقالوا عدلت عنا، فأوقعت وقيعتك الفادحة بمن هو بمنزلة الأرواح منا، فلا نحن منك ولا أنت منا، فجعل يوموه لهم بالمعاذير، وأن ماوقع لم يكن عن علم منه ولا إذن، وأنه راغب عما سيق إليه من أموالهم، وأنه إنما ساقها إليهم، وأراهم من نفسه العزوف عنها، وأنه أمر مقدر سيق على وجه خلاء كنته[84]، وأنه لاقائمة لهم بعد ودفع إليهم الأموال وقال: صولوا على هذه الشرذمة الجامعة لرؤساء القوم وزبدتهم، فأوقعوا بهم وقعة لايبقى لهم بعدها أثر، ولايقع منهم أحد إثرها على خبر، فكذب الله ما مناه به شيطانه، واغتر منه به حزبه وأعوانه، فكانت وقعة شاكار[85] التى كانت هي أول

راجع : سيد بن للزين، كتاب النسب: 44-46. مارتي، كنته الشرقيون: 35-38. ابن حامد، الجغرافيا: 56.

[84]– راجع الإحالة رقم(81).

[85]– شكار: المعروف بشكار كادل، موضع من بلاد البراكنه (من أقصى المغرب في الشرق الموريتاني الكبير) ،دارت به في 9 شعبان سنة1822/1273 وقعة طاحنة بين لبكاك (اسويد احمد وشيعته) وحلفاؤهم من كنته واشراتيت (المختارين أمحمد شين وشيعته)) ومعهم أهل سيد محمود. ((دام القتال من طلوع للشمس إلى غروبها)) وانتصر فيها للحلف الأول بالرغم من خسائره الجمة.

دائرة "سوء" (أ) عليه وعلى حزبه، ثم تواصل بعناية الله ونصره عليه وعلى شيعته موصول الهزيمة إثر الهزيمة، بعد تبدد الشمل وانحلال العزيمة، وقد كنا عنه متغافلين، ولحبل الإنتساب الديني الذي قطع واصلين، لايذكر عندنا بسوء ولاشر، ولا نرغب فى أن يناله مكروه ولا ضر، حتى أطلق فى الإنشاء فينا لسانه الفحاش وأضرم حنقا علينا وخف وطاش،"عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا".[86]

بل كنت اعمل الفكرة دائما فى الوجه الموقع للصلح فيما بينه وبين كنته، إبقاء عليه وعلى إيدوالحاج[87] الذين سعى من جهله فى نفعهم فضرهم.

مات فيها من القادة من اشراتيت: أحمد عاليين أحمد نيدي العجيلي، ومن أبكاك: المختار بن أحمد بن أعليوه الطلحاوي (من أولاد بوجوده) ومن كنته: عبد للرحمن بن امينوه رئيس أولاد سيد الوافي ولخوه المختار وعمهما امحمد بن سيد المين وأحمد بن امحمد باب رئيس أولاد بوسف للبيض.
رلجع: ابن اطوير الجنة، التاريخ: 95.ابن انبوجه، ، فتح الدهور (حوادث1237) .سيد ابن الزين، كتاب النسب:86.
إبن عبد الوهاب الناصري : وفيات الأعيان: ص47 (من للنص المرقون) ولم يرد ذكر لهذه الوقعة في حوليات النعمة، ولافي تاريخ جدو.

[86]– سورة للنساء، 84، مدنية.

[87]– إدو للحاج: من كبريات القبائل الزاوية ذات الشان العلمي ، الاقتصادي ، والسياسي في للبلاد الموريتانية. تفرعت هذه القبيلة من خمسة رجال كل منهم يعرف بالحاج، ويصدق شمول هذا الاستطلاع علي الفروع الأساسية التالية: ((إد يعقوب، أولاد الحاج، إدو بج، لوتيدات، الأقتيين، الصيام، الشرفاء: أهل سيد للمتقى، أهل الطالب اجود، أهل أحمد شريف التلمساني، تامكونه وتفرله)) مواطنهم في القديم: تيشيت، وفيها لصطدموا بسكانها الأصليين من ماسنه، و ودان وهم مؤسسوه وأول من عمره، فصار كصرا عامرا، وكان قبل أخصاصا تعمره((تيزكه))....
كان إدو الحاج الركيبه ((إدو الحاج الشرقيون المعروفون بأهل سيد محمود)) هم المناهدون لكنته في تكانت. وينقسمون إلى عدة بطون:
——— الصميم أي من يرجع إلى أحد للحجاج في انتسابه.
——— تغده وهي فروع كثيرة يرجع اكثرها في انتسابه إلى إدوعيش،
——— أسواكر وهم من فروع تغده إلا أنهم انفصلوا عنها منذ قرن تقريبا.

وعمل من طيشه فى جبر صدعهم فكسرهم. سنة الله فى من غش الاسلام وأهله، وارتقى لهدم منال الدين وعر المرتقى وسهله. ففى حديث عنه صلى الله عليه وسلم[88]: "من حفر لأخيه بئرا وقع فيها"، فقال ستة لعنتهم -لعنهم الله- وكل نبي مجاب: "الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت، فيعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله؛ والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي"[89]. وقال "من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار[90]" يريد صاحبه. وقال: "من سل علينا السيف فليس منا[91]".

وشرح كيفية ترقيه، أقال الله عثرته، إلى شواهق الفتنة وتعلقه بكل سبب جار إليها، وانبعاثه لإثارة كل باعث يبعث عليها مع الاستخفاء وإخفاء وجه الحيلة حذارا من ثورانها، قبل تمكن

ـــــــ سارة وهم خليط من الناس يشمل الكثير من الفروع التي لاتجتمع في لصل واحد.
ـــــــ الرعيان وهم قلة بالنسبة لسابقيهم وفيهم من يرجع إلى لصل عريق في أولاد أدليم، لنظر: ابن حامد، الموسوعة ((إدو الحاج)) : 4:50 وفي نفس المصدر ذكر ابن حا مد أن إدو للحاج الركيبه قد التحقت بهم فرقة من قومهم الذين كانوا يعمرون ودلن مثل الوتيدات ومن بقي من إدوبج.
حول تاريخ وأنساب إدو الحاج وتفرعاتهم الأساسية في جهات البلاد راجع: ابن كتاب، للمنهاج (مرقون)، عبد الله بن سيد محمود ، النبذة (ملحق الغلاوية) .ابن حامد، الجغرافيا: 48-50، الموسوعة،ج4: 1-6، الشيخ موسى كمرا:زهور البساتين(مخطوط **Chennafi (M), Sur les traces d'Audagust, 100-101)** المختار بن أبلول الحاجي، رسالة في أنساب إدو الحاج (مرقون). الشيخ سيد محمد الخليفه الكنتي، الرسالة الغلاوية (الفصل الخاص بتاريخ إدو الحاج وكنته).

[88]– الراجح أنه قول مأثور.

[89]– السيوطي، الجامع للصغير:2:96 ولنظر: الحاكم، المستدرك،: 607/4(دار الفكر، بيروت1978).

[90]– مسلم، الجامع الصحيح/ط (دار الفكر، لبنان.د.ت) 1:69.

[91]– إبن الأثير، مبارك بن محمد الجزرى، جامع الأصول:10:420.

دواعيها تمكنا لادافع له ولا مانع دون أن يستعر استعارا يحترق به الخاص والعام فلا يبقي لص ولا زاو إلا ولها به طروق وإلمام، يطول بنا جلبه ولا تخفى عليكم طرقه وشعبه. وياسبحان الله إذ أغتر به وبما فتح عليه من فتوح الدنيا من جاه ورياسة من أغتر أزمان استدراجه وتستره بدعوى الولاية والخصوصية، مع ظهور ما يناقضها ظهور شمس الظهيرة من مقاطعة أهل الله ومواصلة أعداء الله، مع الجمع والمنع والترقي إلى ذرى الرياسة الدنيوية ومنافسة من له منزلة دنيوية فى منزلته فماذا يغتر به اليوم- والعياذ بالله- وقد شتت ما جمع شذر مذر، وأورد من ربى الفتنة نار الحرب تقدمة لنار سقر. "وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود[92]". ويالله العجب، والعياذ بالله، من منتسب إلى التقوى يقع في مثل ما وقع فيه من الفتنة المفنية للأموال والأعمار، المجلية عن الأوطان والديار، الكائنة فيما بين المسليمن عموما وخصوصا، ثم يبلغ من الارتباط بالتورط بورطتها والهوى سفلا بهوتها والاصرار على ارتكاب فاحشتها والافتخار ملئ فيه بما تغشاه من داهيتها ويتمني لمن غاب من إخوانه المؤمنين عنها حضورها، تشفيا منه بما أوقع فيها، بمن يعلم مساءة ما يقع به، مما دون ذلك، حيث يقول:

---

[92]- سورة هود، آية 99، مكية.

يلومهم أن هزموا شيخهم   ياليته حينئذ كان ثم

حكاية إثر وقعة دوك بص[93] وما قتلوا وجردوا وحملوا من الخيام ونهبوا من الأموال مما ظهرفيه وفى وقعة ابي عنز[94] فرق مابين الفريقين. فإنهم لما ظهروا غيلة وفتكا بشرذمة قليلين متبرئين بعهد من عبد الله ومن أبناء محمد شين مقاطعين لقومهم، جردوا النساء، وقتلوا الصبيان واجتاحوا الأموال، ولم يبقوا على شيخ كبير، ولا امرأة ولا ولدها.

فلما أظفر الله بهم وانهزموا عن نسائهم وذراريهم ألبسن وأكرمن وألحقن بمن فعلوا بهم ما فعلوا، تنزهاعن رذائل الصنائع وغربة

---

[93]– دوك بص: أو جوك بص، منتهى جبل العصابه شمالا. به كانت الوقعة المشهورة في أول ربيع الثاني سنة(1821/1237) لأهل سيد محمود واشراتيت على اولاد سيد الوافي من كنته. حسب ابن حامد، الجغرافيا:138. وكان ذكر في الحياة الحربية: 36، إن الوقعة كانت للمعنيين على أولاد سيد ببكر الكنتيين، وهو سبق قلم بين اللهم إلا إذا كان يقصد شهرة أولاد سيد الوافي بأولاد سيد ببكر لكحل بحكم نسبة سيد الوافي إلى سيد ببكر مباشرة، ولكون أمه لمتونية سمراء اللون. والإشارة نفسها ترد في (حوليات تجكجه) في ذكر حوادث سنة 1237ه. وهو التاريخ الأشهر الذي توطأت على ذكره المصادر المختلفة: تاريخ ابن اطوير الجنة:95 .ابن عبد الوهاب الولاتي الناصري، وفيات الأعيان:47، ولم يرد أي ذكر لهذه الوقعة في حوليات النعمة ولافي فتح الدهور لابن انبوجة. ولا ندري للعوامل التي منعت هذين المدبجين من الاستحضار التاريخي المشار إليه؟ وقدم سيدي ابن الزين، كتاب النسب:48. رواية أكثر تبسطا حول الوقعة، وفيها يقول:(أنه في عام 1236 (؟) وقعت وقعة جوك بص بين أهل سيد محمود وكنته(في) غزوة نحو سيد ألمين المذكور (من قادة كنته) في الموضع المذكور وهو في شرذمة خرج بها عن كنته لأن كنته كلهم قد سار مع اسويد احمد في حروبه مع أعمامه إلا الشرذمة المذكورة فلما علم عبد الله المذكور بمكان الشرذمة وبقلتها نهض وأغار عليها وفعل بها ما لم يفعل بكنته قط ماتت منها أربعون..).

[94]– بي عنز: تفصيح بوعنز: موضع من آفطوط الركيبه كانت به قرية للصوننكي، به كانت وقعة لكنته على أهل سيد محمود، وذلك في جمادي الأخير من سنة(1822/1238) راجع: ابن حامد، الموسوعة:4:82، 179 وذكر ابن عبد الوهاب، وفيات الأعيان:48، هذه الوقعة فقال: (وقعة بوعنز التي هزم فيها اشراتيت واهل سيد محمود وقتلت منهم مقتلة عظيمة...)) وفي النسخة التي رجعنا إليها من هذه الحوليات وقع حذف لسنة 1238 وخلط بين سابقتها وتاليتها، وفي حوليات تجكجه ذكر الوقعة ضمن حوادث 1239هـ. وكذا في تاريخ ابن اطوير الجنه : 95-96 وحوليات تيشيت:47. وانظر كذلك: ابن حامد، الحياة الحربية:10-11 والتاريخ السياسي: 240 ،الجغرافيا : 200.

عن مساوئ البدائع، سنة موثقة عن الأسلاف، وشنشنة مورثة في الأخلاف وخاصية الأولياء الحفظ من الكبيرة والإصرار على الصغيرة، كما أن خاصة الأنبياء والرسل العصمة من التلبس بكبيرة أو صغيرة. وقدوة هؤلاء يقيم لسانه لقومه مقام سنانه. وجرح اللسان أنكى من جرح السنان. فقد نقل إلينا من فحش قوله

الحـــــمد لله إذ حللت تنفارا   وحل كنته بتشتين وتنـــــكارا
من تشيت[95] لكنار[96] وساحته   لم تبصر العين منهم فيه ديارا

وملاك أمر المؤمن المعتني بفكاك مهجته وسلامة دينه الذي هو ملاك فلاحه وحرمه، التقوى فإن الله سبحانه إذا تولى عبدا ألهمه التقوى (وقد) (أ) جاء رجل إلى رسول الله صلى الله

---

[95]- تيشيت: أصلها: " شيتو" بلغة السوننكه ، ثم زيدت تاء وياء لتنسجم مع صيغ التأنيث في اللغة الصنهاجية. تقع في ولاية تكانت من الشرق الموريتاني الحالي، من كبريات الحواضر القديمة التي كان لها دور حاسم في الحياة العلمية في شبه المنطقة، كما كانت محطة نشطة على طريق القوافل ولاسيما في القرن الثاني عشر (ق18م) وتاليه(ق19م). تأسست سنة 1142/536، حسب الروايات الشائعة، على يد الشريف عبد المؤمن بن صالح تلميذ القاضي عياض اليحصبي. وبها قطن بنوه بعده، ويرى الأستاذ ولد عبد الله (الحركة الفكرية ص51) أن المعنيين هم الذين ذكرهم الرحالة الإدريسي بقوله نزهة المشتاق: إن بني صالح بن عبد الله بن الحسن قد أخضعوا غانة وصار لهم هناك ملك ودولة، كما قدم افتراضات وجيهة بشأن نسب عبد المؤمن وكذلك موقع مملكته التي اعتبرها تيشيت وأحوازها التي كان يعمرها ماسنه وهم تشكيلات صنهاجية بعضها متأثر بالمجموعات السودانية. وهوبذلك يرد على ابن خلدون الذي شكك في رواية الإدريسي واعتبرها متناقضة تاريخيا.
راجع: محمدو بن أحمد الصغير، إنارة المبهم(مخطوط): ابن حامد، شرفاء تيشيت:1-2) ، التيشيتي: ساطع الإنارة (مخطوط)، حسن الوزان(ق16م) وصف إفريقيا:2:115 وفي عهده كانت مدينة خاملة، السعدي، تاريخ السودان: 169، (وهو أقدم مصدر ورد فيه ذكر تيشيت على حد العلم). ابن الأمين، الوسيط:459، النحوي، بلاد شنقيط:69. ابن خلدون، العبر:4:931 (ط1958) ولدالحسن، مقدمة ضالة الأديب:19. الإدريسي، نزهة المشتاق،:38(إسماعيل العربي الجزء 1983م).
[96]- يقصد سكان منطقة مصب نهر السنغال، على ضفة اليسرى((موريتانيا حاليا)).

عليه وسلم، فقال يارسول الله أوصني فقال[97] "عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير" وقال ميمون بن مهران[98] : لا يكون التقي تقيا حتى يكون أشد محاسبة بنفسه من الشريك لشريكه وقال الحسن مازال التقوى بالمتقين حتى تركوا شيئا من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام. وقالت عائشة[99]-رضي الله عنها- وقد أغضبها بعض عبيدها: لله در التقى ماترك لذي غيظ شفاء.

وجاء رجل إلى الشيخ الوالد رضوان الله عليه فأنمي إليه عن بعض الناس حديثا غاظه، وكان متكئا فقام، ثم جلس ثم قال: رحم الله عائشة أم المؤمنين، حيث قالت: لله در التقى ماترك لذي غيظ شفاء. ثم اتكأ.الحديث.

ولو سار عبد الله بمدرجة تقوي الخاصة الأولى تحققوا بما بهرج به وموه على العامة والغوغاء، لعلم أن للتقوى شروطا أربعة لم يقم بواحد منها فضلا عن كلها. أولا: الاعراض عن جميع المخالفات رأسا بالباطن والظاهر، تنزها عنها وترفعا إلى ما قصده المتقي من حضرة العبودية، باستحضاره الفكرة فى

97- را: السيوطي ، الجامع الصغير:2:163.

98- ميمون بن مهران: (657- 735) لبو أيوب فقيه من القضاة، أستوطن الرقه (من بلاد الجزيرة الفراتية) فكان عالمها وسيدها. كان ثقة في الحديث، راجع: للزركلي، الأعلام، 7: 342.

99- عائشة رضي الله عنها- (9ق. هـ - 58هـ/ 613 - 678م) أم المؤمنين : أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، روي عنها 2210 حديث راجع: للزركلي، الأعلام:3: 240.

معني الربوبية والحذر من فضيحة السؤال على رؤوس الأشهاد.
ثانيا: الإعراض عن جميع أسباب المخالفة إذ للسبب حكم مسببه كدواعي الفتن ومواضعها ومراتع الشهوات وموالفة أهل التضييع والغفلات.

ثالثا: مواصلة القرب والطاعات، فهي المجن الواقي من الحرمان والخذلان والخسران، رابعا: إمحاض القصد فى التقوى لله تعالى .إذ بواعث التقوى تختلف ولا تأثير لما كان منها لغير الله.ولا يستقيم عود التقوى إلا بإمحاض القصد فى عقد أمورها للواحد الحي القيوم. إذ المقاصد هي الأساس التي يقوم عليه بناء حائط الوجهة إلى الله تعالى.

.... وهل يثبت البنيان إلا على الأس[100]".

فيا أيه المغتر بما بسط لعبد الله ومد به من الرياسة وأسبابها وأسبغ عليه من زينة الحياة الدنيا وأثوابها، على دعواه الولايات وتظاهره بالكشوفات، هل بلغك عن أحد ممن صحت ولايته وصلحت بدايته ونهايته إثارة فتنة تشاكل فتنته التى استعظم وقيعته فيها- والعياذ باللله- العرب والعجم ، فضلا عن أولى البصائر المنيرة والهمم، مع إصراره وعدم إقلاعه واستغفاره. ومذهب القوم المنتسب هو إليهم : الخوف من جود

وإحسان الحق إليهم مع دوام إساءتهم معه. ففى الحكم العطائية[101]"خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك إستدراجا لك[102]" "سنستدرجهم من حيث لايعلمون"[103] قال ابن عباد[104] رضى الله عنه الخوف من الإستدراج بالنعم من صفات المؤمنين، وعدم الخوف منه مع الإساءة من صفات الكافرين. يقال: من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة. وهذا

---

[100]– عجز بيت لم نعرف قائله.

[101]– الحكم العطائية للشيخ تاج الدين ابن الفضل أحمد بن محمد عبد الحكيم المعروف بابن عطاء الله الإسكندري، الشاذلي المالكي، المتوفى بالقاهرة سنة 709هـ وهي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة. وقد بسط الصوفية القول فيها وشرحوها مرارا. .ولما صنفها ابن عطاء الله عرضها على شيخه أبي العباس المرسي، فتأملها، وقال: لقد أتيت يابني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء (إحياء علوم الدين للغزالي) وزدت عليه.

من أهم شروح الحكم العطائية شروح الصوفي المعروف بالشيخ زروق (845-899) التي زادت على سبع. كما شرحها أيضا: محمد ابن ابراهيم المعروف ابن عباد النفزي (ت792هـ). وكانت الحكم العطائية متداولة خلال (ق16) في الأوساط العلمية في الشرق الموريتاني الكبير (بالدلالة الأشمل) ولاسيما في مدينتيي: تنبكتو، و"ولاته"، وذلك بوصفها جزءا من الخطاب الصوفي التأملي الذي كان سائدا آنذاك في تلك الدائرة، قبل أن يترسخ التصوف مؤسسيا في القرون الموالية.

مخطوطات الحكم العطائية غزيرة وكذلك شروحها التي من أبرزها: غيث المواهب العلمية: لأبن عباد الرندي (ت792/1379 وقيل 796/1394)، تنبيه ذوي الهمم: لزروق الفاسي(846-899هـ وإيقاظ الهمم: لأحمد بن محمد عجيبة الحسني، راجع : حاجي خليفه، كشف الظنون:1:675. 5 بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: القسم السادس: 484-485.

[102]–

[103]– الأعراف، 182، مكية.

[104]– ابن عباد: (733-792/1333-1390) أبوعبد الله محمد ابن إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عباد النفزي الرندي، من كبار الزهاد، توفي في فاس وهو إمام وواعظ في جامع القرويين. من آثاره: غيث المواهب بشرح الحكم العطائية، وهو الذي نقل عنه مؤلف الغلاوية كما سيأتي. مصادر ترجمته: القري: نفح الطيب:175،3/88. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج: 287، الناصري، الاستقصا: 2/122. راجع ابن عباد.

من المكر الخفى. قال تعالى: "سنستدرجهم من حيث لايعلمون[105]". أي لا يشعرون بذلك.

وهو أن يلقي فى أوهامهم أنهم على شيئ وليسوا كذلك، يستدرجهم فى ذلك شيئا فشيا حتى يأخذهم بغتة، كما قال تعالى: "فلما نسوا ماذكروا به[106]" إشارة إلى مخالفتهم وعصيانهم،" فتحنا عليكم أبواب كل شيئ" أي أبواب العوافى وأبواب الرفاهية، حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الحظوظ الدنياوية، ولم يشكروا عليها برجوعه منها إليناأهذناهم بغتة فإذاهم مبلسون آئسون، قانطون من الرحمة. قال سهل بن عبد الله[107] فى قوله تعالى: "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون[108]: نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر. فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا والعياذ بالله. وقال ابن عطاء[109] : "كلما أحدثوا خطيئة جردنا لهم نعمة وأنسيناهم الإستغفار من تلك الخطيئة".

105- القلم، 44 مكية.

106- الأنعام ، 44 ءمكية.

107- سهل بن عبد الله (200-283/815-896) ابن يولس التستري من أئمة الصوفية وعلمائهم.را: الزركلي، الأعلام: 3:43.

108- سورة للقلم،44 مكية.

109- ابن عطاء الله (ت709هـ/1309م) أحمد بن محمد عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندري: متصوف شاذلي، من العلماء، كان من أشد خصوم لبن تيمية، له تصانيف منها: الحكم العطائية وغيرها. راجع: الشعراني، للطبقات الكبرى: 2: 20 .الزركلي، الأعلام:1: 221. الطبقات للسبكي: 176/5. ابن حجر، الدرر الكامنة: 273/1 وانظر ابرو كلمان، تاريخ الأدب العربي: 482 (القسم السادس10-11).

وفى الحكم أيضا[110]: "من جهل المريد أن يسئ الأدب فتئخر العقوبة عنه فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد، فقد يقطع الممد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد. وقد يقام ، مقام البعد من حيث لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يخليه وما يريد، قال ابن عباد: "[111]هذا نوع من الإستدراج وسوء أدب المريد، موجب لعقوبته ،ولكن العقوبات مختلفة، فمنها معجله ومنها مؤجلة، ومنها جلية ومنها خفية. فالعقوبة الجلية: العقوبة بالعذاب، والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب، فالعقوبة بالعذاب لأهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لأهل إساءة الأدب بين يدي علام الغيوب. وقد تكون العقوبة(الخفية)(أ) المؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية المعجلة. مثال العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه، وإقامته مقام البعد منه. وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب.

فإذا ابتلى به المريد ولم تدركه رحمة الله تعالى فى الحال المعتيد، كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الأنس بالوحشة وانتساخ الضياء بالظلمة. ولم تمكنه بعد ذلك معاودة الحال الأولى، لأنه إذ ذاك تنقطع عنه

---

[110]- ابن عطاء الله ، الحكم العطائية.(111م).

[111]- راجع الهامش رقم 105.

الأمداد المتصلة والواردات المتحصلة، فتكسف عنه حينئذ شمس العرفان وتستر عنه الكشوفات والبيان وهذه جنود الحق تعالى فى قلب العبد، فإذا فقد النصرة من الله فى ذلك وقع فى الخذلان واستحوذ عليه الشيطان، فأنساه الذكر فحاق به المكر ورجع إلى متابعة هوى نفسه الأمارة، وخرج عن دائرة الصفوة المختارة، نعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق إلى مراعاة أوائل الأمور.

وما يحتج به المغرور لنفسه مما أورده ابن عطاء الله فدليل واضح على رضاه بحالته واستحسانه لأعمالها له. هذا هو الموجب لعدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه، ولو كان المدد متواصلاعليه لازداد عندما يقطع منه سوء الأدب تواضعا لربه وافتقارا إليه، وخوفا من مكره، ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها، كما لايستحسن ذلك من غيره. بل الأحرى -وهو الذي أوجب له أيضا التخلية بينه وبين ما ما أراد الذي اقتضته إقامته مقام البعد، إذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن رؤية نفسه، وكان متهما لها فى إرادتها، وكان واقفا مع مراد الله به، فإن أقدم على أمر بإرادته وشهوته تداركه الله بالعصمة وعوق عليه ما أراده

وسد عليه مسالكه، ولم يخله وما أراد من ذلك فمن العصمة أن لا تقدر.

ويقال: علامة التوفيق ثلاثة: دخول أعمال البر عليك من غير قصد منك إليها، وصرف المعاصى عنك مع السعي فيها، وفتح باب الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى فى كل الأحوال. ثم إن النفس مجبولة على سوء الأدب والبعد مامور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها فى ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة. فمن أطلق عنانها فهو شريكها فى فسادها، فلابد للبعد من هذه الرياضة والمجاهدة. وهي تختلف باختلاف الأشخاص. ورب شخص زكي الفطرة، كريم السجية سهل المقادة مطبوع على الحياء لايحتاج فى ذلك إلى كبير معاناة ولاتعب. ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج إلى رياضة بزيادة تعب وقوة ممارسة، وشدة مجاهدة، لرداءة فطرته ونقصان غريزته. ولهذا كله يحتاج المزيد إلى صحبة المشائخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم، لأنه إن لم تجر أفعاله على مراد غيره لايصح له الانتقال عن الهوى، والتحقق بمقامات التقوى، ولو بلغ من الرياضة والمجاهدة كل مبلغ لكثافة حجاب نفسه.

فقد سئل الدقاق[112] – رضي الله عنه –بماذا يقوم الرجل اعوجاجه؟ فقال: بالتأدب بإمام، فإذا لم يتأدب بإمام بقي بطالا. وهذا عبد الله يتبرؤ من الإنتساب إلى المشايخ ويعد ذلك رفعة في مقامه وثباتا فى طريق القوم الأقدامه والحديث مصرح بأن من لاشيخ له، فالشيطان شيخه(أ)[113]. ويستهين بالأوراد ويستحقرها. وقد أصفق خواص العلماء أن علوق شيئ من الأعتراض على المشايخ بالقلب سبب الانقراض، كما أن معاملتهم بالنقد من أعظم أسباب الفقد. وكذلك سائر الأولياء فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم: "بجلوا المشايخ فإن إجلالهم من إجلال الله [114].

وقد قال الجنيد[115] –رحمه الله– من مقتضيات الحرمان والانتكاس: الإعتراض على المشايخ والأولياء، وترك تعظيمهم واحترامهم، وعدم قبول إشارتهم فيما يشيرون عليه به. فقد قالوا عقوق الأستاذين لاتوبة له. وأي عقوق أفحش من نكران النسبة بجحد الأخذ وهجران الأوراد واحتقارها. إذ المشايخ بمنزلة

---

[112]– الدقاق(ت450هـ) أبوا علي، الحسن ابن علي: لسان وقته، نيسا بوري الأصل. تعلم العربية، سلك طريق التصرف، وصحب أبا القاسم النصر باذي. راجع: إبن عساكر (علي بن الحسن): تبين كذب المفتري مما نسب إلى الإمام الأشعري.

[113]– (ط. القدس، دت) ص286.د

[114]– رواه لنس بن مالك (أنظر: إبن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، 4:1862.

[115]– الجنيد (ت910/298) الجنيد بن محمد الجنيد القواريري الخزاز أبوا للقاسم النهاوندي. الزاهد المشهور. كان شيخ وقته. من مؤسس للتصوف السني. راجع: إبن خلكان: وفيات الأعيان: 1: 208.د. الرسالة القشيرية: 110-111 (ن) ابروكلمان، تاريخ الأدب: 458 (القسم الثالث:3-4).

السفراء للمريدين ففى الخبر "الشيخ فى قومه كالنبي فى أمته".
ففي الحكم العطائية لايستحقر الورد إلا جهول وذلك من حيث أن الورد عبارة عما يكتسبه العبد من العمل والأذكار، خصوصا ماكان لأخذ عن شيخ ذي سند يرفعه إلى واسطة الوسائط-صلى الله عليه وسلم- فيستحقره جهول بحق نفسه وحق ربه-وهو أحق من الوارد بالإعتناء، لأن الورد يوجد فى دائرة الأخرة على حسب الورد فحظ العبد منه لايفوته والورد الذي به حصول الوارد يفوت بفوات هذه الدار، لانقطاعه بانقطاعها، إذ الآخرة لاعمل فيها فبفواته يفوت ثوابه، المعبر عنه بالوارد. فأول مايعتني به ويجهد فى تحصيله: ما يتخلف وجوده. ثم الورد مطلوب الحق منك، لأنه حق العبودية، فهو حقه عليك. والوارد أنت طالبه منه تعالى، فهو حظ نفسك منه، وإن ما هو طالبه منك وجوبا أو ندبا. فما هو مطلبك منه، من حظك الناقص وغرضك القالـــص. فقضاء الله أحق، وشرطه أوثق، وإنما الولاء لمن اعتق[116].

_116

فاحتقار الورد فضلا عن إهماله وإضاعته مكر واستدراج، أعاذنا الله وإياكم من سوء مكره واستدراجه. ويكون مبدأ ذلك أن تلوح للسالك خيالات، وتظهر له صور كرامات، توجب إستحسان حالته، واختيار بطالته. وفى ذلك رفض للعبودية، وإشارة للطرد والبعد. ومن لم يكن فى مزيد من الورد فهو فى نقص. ومن كان فى نقص فالموت خير له. ووجد فى يد الجنيد سبحة فقيل له أنت مع شرفك تمسك سبحة؟ فقال: طريق وصلنا به لا نتركه أبدا[117].
وقال التونسي[118]: من أحتقر الورد فهو جاهل، بقدر ما وفق له من العمل. لأن الوارد هدية الله إليك وسحابة رحمة امطارها عليك. وقد أخفى الله القبول فى قليل العمل، كما اخفى الطرد فى قليل الزلل. ولهذا قال ابو يزيد[119]: لو صفت لي تهليلة أو تسبيحة ما باليت والدوام على القليل، على مر الأيام كثير. ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

_117

118- التونسي: لعله التونسي الشاذلي، محمد ابن أحمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفائي إبي المواهب، حوالي 1461/866. له معارف المواهب (ديوان) وغيره. أنظر: ابرو كلمان، تاريخ الأدب العربي : 489 (القسم السابع-12-).

119- أبوزيد طيفور بن عيسى البسطامي. متصوف مشهور، نسبت إليه شطحات أثارت حفيظة بعض فقهاء عصره. راجع: الرسالة القشيرية:13، إبن خلكان ،وفيات الأعيان: ابروكلمان، تاريخ:3:487-4 (القسم الثاني).

(أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه) وفي رواية: (ما كان ديمة[120] وإن قل).

فالهبة من الله تعالى: تعلق الإرادة بالثواب أي أكثر الأعمال ثوابا، أدومها. وبدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله عز وجل، بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل الدائم، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافا كثيرة. وقال الشيخ الوالد –رضوان الله عليه– إنما أحب الدائم لمعنيين، أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، فهو متعرض للذم.

ثانيهما، أن مداوم الخير ملازم للخدمة. وليس من لازم الباب في كل يوم وقتاما كمن لازم يوما كاملا وأنقطع. فدوموا على السير إلى الله تعالى بذكره، سيما الورد المأثور المسند، فإن له بركة وخاصية، لاتكون لغيره من الأذكار المرتجلة التى أتخذها المريد لنفسه وردا عسى بعد المشي يكون الركوب، مع الجماعة، وبعده الجد فى السير، وبعد تكون سرعة المطار، وبعد الطيران السريان. فالباب مفتوح والجود ممنوح، وأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل. ومن خبط خبط عشواء، وسلك دوية عمياء وفارق الرفقة المامونة والأدلاء، لامحالة سلك غير سبيل

---

[120]– عن عائشة. لنظر: ابن عدي، الكامل: 2:827.

المومنين. فهلك -والعياذ بالله- مع الهالكين، فاعتبوا ياأولى البصائر والأبصار والعقول الراجحة والإستبصار "واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة"، فإن الله لايعذب الخاصة بذنوب العامة، ولكن يعذب الكل بذنوب الخاصة.

وبالجملة فإقامة الورد فى وقته عند إمكانه لازم لكل صادق، فإذا عارضه عارض، أو واجب لزم إنفاذه، وتعين تداركه بمثله، ليلا يعتاد البطالة، ولأن الليل والنهار خلفة. والأوقات كلها لله ولا وجه للإختصاص إلا من حيث خصص الشارع. وقيل لبعضهم وبيده سبحة: أتعد على الله ؟ قال :لا بل أعد له. وورود الأمداد من الكريم الجواد، بحسب استعداد العامل بالأوراد، فبحسب الاتصال يكون النوال. فمن كمل استعداده حصل مراده. ويالله العجب ممن يتظاهر برسم الولاية، ويدعى التمكن لنفسه مقاما، ويتطاول بما أستدرج به من مساعدة الأملاك في بعض الأحوال مع أنه لافرق بين عابد الوثن ومن عبد الله لغرض فاسد. فإن الأصنام المعنوية كالحسية، لأن كلا من العابدين أتخذ من دون الله مالم ياذن به. قال تعالى: "أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم[121]." وقال الرسول صلى الله

[121]- الأعراف/ 174، مكية.

عليه وسلم:[122] "لايتم إيمان العبد حتى يكون هواه تابعا لما جئت به". ثم الناس فى ذلك على طبقات، منهم من قصد بعلمه وما يفعله من الخير للمكانة فى قلوب الناس ودوام الصيت وإنتشاره والجاه والرفعة، ومنهم من قصد إعلاء الدرجات، ونيل الكرامات والتصرف فى الكون المشي على الماء والطيران فى الهواء وكشف الغيوب، ومنهم من قصد نعيم الجنان من الحور والقصور والولدان، ومنهم من قصد التقرب إلى الله والرضاء عنه ومنه والمحبة له، ومنهم من لاقصد له فى علمه وعمله إلا علمه باستحقاق مولاه العبادة لذاته والتذلل والحضوع والوقوف عند أمره ونهيه، متبرئا من حوله وقوته وعلمه وعمله وقصده وإرادته فأتى بعمله على وجه الإخلاص لايرى أنه أتى بذرة مما كلف به.

فهذا كل ذرة من عبادته عبادة ألف سنة ممن تقدمهم لعبادتهم لله تعالى على حرف، والأعمال بخواتمها، فعمل المستدرج، خاتمته، -العياذ بالله- الفتنة والخذلان والمحنة، كما وقع لإبليس الرجيم اللعين من الطرد والإبلاس. إذ ليس لبناء خاتمته المشؤومة من أساس. وكواقعة بلعام بن باعوراء[123] الذي أوتي الآيات والصيت المكين فانسلخ منها بالجرأة على حمي

---

[122]- النووي، الأربعون النووية: 363(شرح مصطفى البغا. د.ت. إبن كثير).

[123]- رجل علم وحكمة يتردد في العهد القديم خبره مع بني إسرائيل وأعدائهم.

الحق، "فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين"[124]. ونحوهما ممن مكر به الحق، وهو خير الماكرين.عصمنا الله وإياكم من غرور المغرورين واستدراج المستدرجين. فعليكم إخواننا وخلصائنا وأخصاءنا في الله ولله بتقوى الله وخوف الإستدراج بمكر الله، ومراعاة النسبة في الله ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، يقول الله عز وجل: "ياأيها الناس، إني قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم، قلت: إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم إلى فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون، فينصب للقوم لواء فيتبعون لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب[125]". واعلموا أنه لابد لكل أحد من معرفته بربه ومعرفته بنفسه ومعرفته بزمانه.

1- النظر في أوصافها الدنية من النقص والعجز والضعف والذل اللازم له حتى يتحقق فقره لمولاه، فيرجع في كل شئ إليه. ويستفيد ذلك من النظر فيما عجز عنه من امور الهمة، مع قوته وعزمه، فإنما يعرف الله بنقض العزائم ومن عرف نفسه عرف ربه.

124- الأية 174 من الأعراف.

125- راجع: السيوطي ، المعجم الصغير:230/1.

2- النظر في أوصافها العارضة من القبائح والرذائل والمعاصي والشهوات والغفلات، ولا يفيد ذلك ما لم يتتبع تفصيلا وإلا كان سبب الجرأة أزيد من اعتقد النقص في نفسه ولم يحققه عليها بالبرهان.

3- النظر في أعمالها الصالحات، وما يصحبها من الدواعي والمهاوي كالرياء والكبر والعجب ... ونحو ذلك.

- وأما معرفة الزمان فيعينكم عليها النظر فيه بميزان الشرع الذي كاد أن يتعرض لكم، فقد قال الفيضل بن عياض[126] -رضي الله عنه-: هذا زمان احفظ فيه لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر. وقال غيره هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والرضا باليسير من القوت. وأدهى الدواهي في هذه الأزمان الاغترار بقراء الوقت[127] والمتشبهين بالصوفية.

فقد قال صلى الله عليه وسلم: "من تعلم العلم ليماري به السفهاء وليباهي به النظراء أو ليصرف به وجوه الناس، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[128]. وقال عليه السلام: "أوحى

---

[126]- الفضيل بن عياض: (105-187/723-803) ابن مسعود التميمي اليربوعي: خراساني من ناحية مرو. زاهد معروف، كان قاطعا للطرق ثم تاب. راجع: القشيرية: 9-10.

[127]-

[128]- الدارمي، السنن:1:105.

الله إلى بعض أنبيائه، قل"للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس جلود الكباش من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الحنظل، إياي يخادعون أم علي يجترئون ، فبعزتي حلفت لأقيضن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران"[128].

وعنه صلى الله عليه وسلم: العالم والعلم والعمل فى الجنة، فإذا لم يعمل العالم بما يعلم كان العلم والعمل في الجنة وكان العالم فى النار[129]. وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها[130]". وفي الحديث آخر الحرب نار لعن الله واقدها فكل من دعى إلى الفتنة أو جر إليها فقد دخل تحت هذه اللعنة واستحق النكال والوبال، عالما كان أو غيره، لقطعنا بكون علمه غير نافع له بل ضار له، ولكل من اغتر به فانجر إلى الفتنة بسببه إذ العلم النافع هو الذي أورث صاحبه الخشية والهيبة والحياء من الله تعالى، وقاد الناس إلى ما أورثه علمه من الخشية لله والهيبة له والحياء منه، وصرف وجوههم عن دواعي

---

[128]- راجع: السيوطي، الجامع الصغير: 1: 269 -268. (رقم 1753) للترمذي عن ابن عمر، حديث حسن.

[129]- رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة، حديث ضعيف. راجع الجامع الصغير، ج2 ، 185 (رقم5659).

[130]- حديث ضعيف 2: 220.

الفتنة وأسباب المحنة فمن لم يكن كذلك فليس بعالم حقيقة، وليس علمه بنافع بل هو ما ضرب الله تعالى فيه وفي أشكاله المثل فقال: {وأتل عليكم نبأ الذي آتيناه آياتنا[131]}(أ).

بلعام بن باعوراء[132] أوأمية بن ابي الصلت[133] وأشكالهما ممن لم يتنفع بعلمه ، حيث كان أقصى مراده بالعلم طلب الرياسة والرفعة والعلو فى الأرض، وجمع الحطام، فانسلخ منها، أي أخرج من الآيات التى كان الله آتاه إياها كما تنسلخ الحية من جلدها. قال ابن عباس[134] : نزع منه العلم والإنتفاع به فأتبعه الشيطان أي قاده وجره إلى معصية الله ومخالفته، والخوض فى الفتن، فأطاع الهوى والشيطان قصرفاه عن التقرب به إلى مولاه واقتناء موجبات حبه ورضاه، فكان من الغاوين أي الضالين المهلكين، ولو شئنا لرفعناه بها أي رفعناه بالآيات التى أوتيها درجته ومنزلته ولكنه أخلد إلى الأرض لركونه إلى الدنيا وميله إليها ورضاه بغرورها وأرتكابه بفتنتها واتبع هواه بالإعراض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات، فخسر دنياه وآخرته، ووقع

---

[131]- الأعراف ، 135 ، مكبة.

[132]- راجع الهامش السابق.

[133]- أمية ابن أبي الصلت (ت5هـ/ 626م)، شاعر جاهلي حكيم، أدرك الإسلام ولم يؤمن. راجع: الأعلام، 2: 23.

[134]- ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد الله بن عبد المطلب (ت68هـ/) صحابي جليل تضلع في العلم حتى لقب حبر الأمة وترجمان القرآن. ترجم له :الإصابة:4:89، ابن عبد البر، الاستيعاب:3:933، ابن الأثير، أسد الغابة:3: 192.

فى مهاوي الفتن والارتباك بالمحن وهذه الآية من أشد الآي على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس، ويتبعون الهوى قاله ابن عباس وذلك لأن الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته.

وعلمه الإسم الأعظم وجعل دعاءه مستجابا، ثم إنه اتبع الهوى وركن إلى الدنيا ورضي بها عوضا عن الآخرة، فنزع الله منه ما كان أعطاه وأنسلخ من الدين فخسر الدنيا والآخرة. ومن يسلم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى إلا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم النافع، وبصره بعيوب نفسه، فقد قال رسول الله عليه وسلم:[135] "مانئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لهما من خرص المرء على المال والشرف لدينه"، ثم ضرب الله مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها وأتبعه الشيطان بطاعته هواه فى قوله تعالى:"فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث[136]" (فشبهه)(ب) بأخس الحيوانات وهو الكلب فى أخس أحواله وهو اللهث، أي إدلاع اللسان من العطش وشدة الحر والعياء والتعب من حيث أن من آتاه الله حكمته وآياته وتركها وعدل عنها واتبع هواه، وآثر دنياه وترك آخرته شبهه بالكلب فى أخس أحواله وهو

---

[135]– لم نجد له تخريجا .

[136]– الأعراف ، 176 ، مكية.

اللهث، لأن الكلب فى حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه، وكذلك العالم الذي اتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها فى الآخرة. إذ قد أغناه الله بما آتاه من الحكمة عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة في طلب الرياسة فيها، فكان حاله كحال الكلب اللهيث، يتوصل بعلمه إلى طلب الدنيا ومنازلها، فينشر علومه عند غير أهلها ويدلع لسانه فى تقرير تلك العلوم وبيانها،لآجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة التعطش إلى الفوز بمطلوبه من الدنيا، فشابهت حالته حالة الكلب الذي يلدع لسانه من اللهث، فى غير حاجة ولا ضرورة. إذ اللهث طبيعة فيه أصليه. وكذلك حال الحريص، إن وعظته فهو حريص وإن تركته كذلك إذ الحرص على طلب الدنيا وحب المنزلة فيها صار طبيعته، ثم قال كذلك "مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا[137]". سواء أكان التكذيب بقرائن الأحوال فى حق المسلم الناقص الإيمان أو المنافق لتشبهه بالمؤمن فى علمه الظاهر والرضا عن النفس أصل كل معصية وغفلة وشهوة، كما أن أصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضا عنها، أتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب. وذلك لأن الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا وخطؤها إصابة؛ وعم الرضا عن

[137]–الأعراف ، 176 ، مكية.

عكس ذلك؛ لأن العبد إذ ذلك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها، ولا يغتر بما تظهره من الطاعات والانقياد وباستحسان النفس يسكن العبد إليها فتستوي عليه الغفلة. وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره، فتثور، حنئذن دواعي الشهوة عليه. وليس عنده من المراقبة والتذكر ما يدفعها به ويقهرها، فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك. ومن غلبت عليه شهوته وقع فى المعاصي لا محالة. وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه.

ومن هنا أخذ عبد الله بن سيد محمود، إذ لم يرض نفسه فى بدايته، ولم يراقب أحوالها يوما من أيام عمره ولم يتأدب بآداب القوم في ساعات عمره، إذ لم يصحبهم متأدبا متربيا على يد شيخ تربي على يد مثله إلى منتهى السند، بل نشأ تحت حجاب نسبة والده إلى الولاية بين قوم لا يرون الولاية إلا إسما ولا التربية إلا إسما. فمن جرى على يده خارق ما ولو بالأعمال الشعذوية أو السحرية أو الحربية أو الخاصية والدعي الولاية حكموا بولايته الخاصة وتعلقوا به تعلق المريدين بالمرادين، باعتقادهم الفاسد وظنهم الكاسد أن الخارق دليل الولاية، ووصف صاحبها الخاص به، جهلا بأن الخارق يكون للساحر المتشعوذ ولمستعمل الحروف والأشكال والأوضاع، ثم يكون بعض السلكين فى البداية ترغيبا

لهم وتنشيطا للترقي فى مقامات السلوك، ودعاية تبعث غيرهم ممن أريد به الخير، والإقبال على طريق الاستقامة، وإلا حرمها من كملت استقامته زيادة في تمكينه قال ابن عطاء الله فى حكمه "ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة[138]" قال بعض المشائخ: الولي ولي وإن أتى أحدا وأقيم عليه ما لم يخرج لحد الإصرار والإدمان فحينذ ينتفي ظاهر الحكم بولايته، لكن لا نلغيه ولا نلعنه، فإنه يحب الله ورسوله.

والكرامة على الحقيقة حسن متابعة الأوامر في البواطن والظواهر قال الإمام الشعراني[139]: "من الأولياء من تكون كرامته ظاهرة ولا يشعر به أحد، ومنهم من تتوقف كرامته على إستقامته فإذا انحرف عن الشرع بطلت ومنهم من لا تتوقف على استقامته حالا لما سبق في علم الله من ولايته التي يموت عليها، ومن سبقت له العناية لم تضره الجناية، بل كل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فاستدراج وغرور. فقد بان أن ظهور الكرامة لا يدل على كما الاستقامة التي هي لازم الولاية فلا يغتر بها إلى مخدوع، ولا يهمل فضل الله فيها إلا مغرور، فيلزم أهل

138- الحكم العطائية.

139- الشعراني (ت1565/972) أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي الشعراني الأنصاري الشافعي الزغلي، من اكابر الصوفية في مصر، يعرف أتباعه بالشعرانية، له مصنفات كثيرة منها لطائف

الزمان الذين لا يرجعون فيها يأتون ويذرون إلى ميزان التحيق والتحقي والتثبت والتدقيق. وبالجملة فالولاية متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أحكامه إذ هي الطريقة الموصولة إلى الحق وقد قال أبو مدين الغوث[140] -رضى الله عنه إذا رأيتم الرجل تظهر عليه الكرامات وتنخرق له العادات، فلا تلتفتوا إليه، ولكن انظروا كيف هو عند امتثال الأمر والنهي. وقال من اكتفى بالكلام في العلم دون الإتصاف بحقيقته تزندق وتنطع.

ومن اكتفى بالتعبد دون فقه خرج وأبتدع، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام تخلص وأرتفع ومن لم يأخذ الأدب من المتأدبين أفسد من التبعه وقال[141]: العبادة تنجيك من طغيان العلم، والزهادة تنجيك من طغيان المال. وهذا عبد الله-عصمنا الله وإياكم من مطغيات الفتن- مع دعواه الولاية وتظاهره بنسبة العلم، صار بدأ لهذه الفتنة المطغية المضلة المصغية ومنتهى.

إذ مما من الله به على غالب قبائل الزوايا الوافرة، العصمة من الإجماع والاجتماع على فتنة العامة. بل الذي أستمر

المنن والأخلاق. وانظر، الكتاني: فهرس الفهارس، ابروكلمان، تاريخ ...، 255 – 257 (القسم الثامن 12-13).

[140]- أبو مدين: شعيب بن حسين الأنصاري، من اكابر الصوفية ببلاد المغرب، له ترجمة حافلة في التشوف للتادلي: 319-326. وأشفعها المحقق المقتدر أحمد التوفيق بإضافات قيمة، ص319 هامش3. وفيها مصادر ترجمة المعني.

[141]- الحكم العطائي.

عليه صنيع الله الجميل بهم، التناكل عنها والتخاذل والتحاجز حتى يجد غيرهم من الزوايا أو مع من تلكأ منهم وتبرأ من الفتنة، الطريق إلى إيقاع الصلح ببذل مال أو دية؛ فيقع الصلح وتسكن الفتنة قبل أن تبلغ مبلغا يتعذر معه وجه الصلح. وهذه الفتنة قصف عبد الله لسوء نظره وفساد نظم فكره فيها، المحجم على المقدم والمتبرئ على المتجرئ، رغبة منه في أن تعم الفتنة وتعظم المحنة، فوقع -والعياذ بالله - في البئر التي حفر وصلى من نار فتنته سعير ما سعر، عم من لم تصله عذبات سنانه بما يطير إليه شعاعا من نفثات لسانه.

وكل إناء بالذي فيه يرشح، من الهجو القبيح بالتلويح والتصريح، والتبجح بما وقع في فتكه بأولاد سيد الوافي من قتل ونهب وتجريد حرم وسلب، وتمويه مجلبة ذلك، والإغتباط بما هنالك. حتى أنه بلغنا على لسان من حضر قفول الغزو المشؤوم، وسمع مشافهة منه واعيان شيعته المحدقون به، من ظلوم وغشوم، وله أبن أخ حضر الوقعة، ثم أظهر من نفسه الندم على ما أتى والرجعة، فقال له عبد الله : ياجهول، يا من ليس له معقول، أعلى بلائك في القوم تندم وتعد ما قدمته من قربتك أي خطيئة ومأثم. لقد كنت قديما أرى على وجهك ظلمة زالت بما

أبليت، وهذا النور على وجهك الآن ميراث ما أتيت. فما تعدون- إخواننا-مثل هذا الغرور وتوريط المسلمين بورطة الخبال والثبور.

وأين هذا من الدجاجلة الموعود خروجهم بين يدي الدار الآخرة ؟ فمن حديث أبي هريرة[142] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي[143]" الحديث. فالدجال الكذاب هو من يخلط الحق بالباطل ويغطيه به ويقال دجل فلان الحق بالباطل أي غطاه، ومنه الدجال. ودجله: سحره، سمي بذلك لتخليطه وتمويهه على الناس، فيصح إطلاقه على جميع من كذب وموه، وخلط الحق بالباطل ودع الناس إلى باطله وغيرهم بمخرقته ودعواه. والفرق بين هؤلاء وبين الدجال الأكبر: أنهم يدعون الإطلاع على الغيب بطريق الوحي، وهو يدعي الألوهية؛ من اشتراك الكل في التموه

142- ابوهريرة: الصحابي المهاجر من اكثر الصحابة رواية للحديث الشريف، راجع عنه : ابن حجر، الإصابة:7: 199 ابن سعد، الطبقات: 4: 325، ابن الأثير، أسد الغابة:5: 315..

143- راجع: الحميدي، المسند: ج2 ص749 و1104، احمد عبد الرحمن البنا فتح الرباني: ج24 :21

والإدعاء والباطل. قال الأبي[144]: دعوى النبوءة لفظا أو معنا حتى يدخل فيه ما يقع لكثير أن يقول قيل لي أو أذن لي.[145]

وقد كان الشيخ الوالد - رضوان الله عليه- ينكر هذه المقالة. ويقول لو لم يكن فيها إلا ما يلوح من الإعجاب وإفشاء أسرار الربوبية، لكان كافيا فى ذمها والرغبة عنها. وهي من أشنع ما كنت أستشنع من عبد الله أيام حجه وأزمان بداية ارتباكه بربكة هذه الدعاوي السخيفة، بورطة هذه المهاوي العميقة. هذا وقد أختلف بما يعرف النبي أن الذي يخاطبه ملك فكيف يصح لغيره أن يأتي بكلام فيه تعمية، توهم أن الذي يقول له ذلك ملك يظهر ذلك بديهة من دخوله صلى الله عليه وسلم بفور نزول الملك عليه ترجف بوارده، فقال زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال ياخديجة[146] مالي وأخبرها الخبر.

وقال خشيت علي فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق[147] فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[144]- الأبي: (ت827هـ/1424م)، محمد بن خلف الوشتاتي المالكي، عالم بالحديث من أهل تونس، نسبته إلى أبة من قراها. له إكمال المعلم لفوايد كتاب مسلم. راجع: الأعلام:6: 115

[145]_

[146]- خديجة بنت خويلد: (68-3ق هـ/ 556-620م): أم المؤمنين من قريش، كانت أول من أسلم من الرجال والنساء.

[147]- راجع: البيهقي: دلائل النبوة: 1: 296

مع عظم خصوصية اتهم مجئ الملك وخشي على نفسه حتى استعان على زوال الحيرة بسؤال خديجة لعلمه بوفور عقلها وتنوير بصيرتها، فأجابته بالبشرى بعناية الله به، وتوصلت إلى ذلك بما جمع الله فيه من الكمالات، فكأنها قالت والله لا يصيبك مكروه، وقد جمع الله فيك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل ما ذكرت أمهاتها، مستدلة على أن ذلك سبب السلامة من مصارع السوء - وهو دليل جلالة خديجة وجزالة رأيها، وكمال فهمها. فقد جمعت كل أنواع المحاسن وأمهاتها فيه عليه الصلاة والسلام، لأن الإحسان إما إلى الأقارب وإما إلى الأجانب وإما بالمال أو بالبدن، وإما بمن يستقل بأمره أو غيره. وأجابته بجواب فيه قسم وتأكيد، بأن - واللام لتذهب حيرته ووحشته. ولا يعكر على هذا من لم تقدم له شوكة، ممن ادعى من جنون أو سوداء ولا قول من قال ممن ثبتت ولايته وصحت استقامته من الأولياء، قيل لي أو إذن، فإنه ليس من دعوى النبوة في شيء حديث استقام صاحبه وصلحت حالته، وإنما هو من باب الإلهام والإلقاء في القلب المشار إليه بحديث: "اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله[148]، ثم قرأ: "إن في ذلك لآيات للمتوسمين"[149]، قال أهل

148- للطبراني في الكبير ولابن عدي في الكامل عن جابر، راجع: السيوطي، الجامع الصغير (حديث رقم151).

التفسير أي المتفرسين. وقد صح عن عثمان - رضي الله عنه- أنه دخل عليه إنسان وقد نظر إلى امرأة في السوق، فقال عثمان: يدخل علي أحدكم وأثر الزنا في عينيه فقال: أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال لا، ولكن فراسة صادقة وميز مصيب. فلا ينكر ذلك إلا طاعن على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى المحققين المكاشفين من الصحابة والتابعين ومشايخ الأمة العلماء العاملين. إذ الولي عبارة عن عبد كاشفه الله بما شاء من غيبه، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم عبد أخصه الله وأطلعه على غيبه، وكاشفه بحقائق الأشياء. "ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"[150] أختص النبي به من ذلك يدعى معجزة وما أوتي للولي يدعى كرامة ثم هي ملحقة بمعجزات نبيه منسوبة إليه إذ لا تظهر إلا على يدي من صدق في إيمانه وإسلامه، واستفاد من ذلك النبي؛ وفرق ما بين المعجزة والكرامة أن المعجزة يدعيها النبي لنفسه، ويستدعيها متى شاء، بل تارة تظهر عليه اختيارا، وتارة تظهر عليه اضطرارا، وتارة لا تظهر عليه. وليس من شرط الولي أن تكون له كرامة ولا يؤثر ذلك في ولايته، ولا كذلك

[149]- سورة الحجر، 75 مكية.
[150]- سورة الحديد، 21 مدنية.

النبي، فانه يجب أن تكون له معجزة، لأنهم بعثوا حجة على الناس يدعونهم إلى الله تعالى فلا بد لهم من المعجزة لإقامة البرهان ليصدقوه وأما الولي فلا يفتقر إلى ذلك ولا يبالي صدقوه أم كذبوه، بل أختلف أهل العلم في الولي، هل من شرطه أن يكون يعلم أنه ولي؟ أم لا؟ فقيل : لا يجوز أن يعلم أنه ولي لأن ذلك يسلبه الخوف، ويوجب له الأمن. والذي يؤثره أهل الحق والتحقيق أنه يجوز وليس بمتعين كون الولي لا يعلم نفسه، بل يجوز أن يعلم بعضهم ولا يعلم بعضهم. فمن علم أنه ولي كانت له كرامة، إذ أطلعه الله على ما وهب له وكشف له ما حجبه، وعصمه من فتنة المكر. ومن قال: إن ذلك يلبسه الخوف، فهذا ضعيف.

إذ من كان بالله أعرف كان من الله أخشى وأخوف، فمن عرفه الله تعالى نفسه اشتدت مهابته وتعظيمه لله تعالى. وتلك الهيبة تزيد على أضعاف مخافة الخائفين فمن شرط الولي وإن علم نفسه أنه ولي، أن يستصحب الخوف ولا يفارقه ولا يسكن إلى تلك الكرامات ولا يلاحظها ولا يساكنها بقلبه، مخافة أن يكون ذلك استدراجا، فهو في جميع حالاته خائف راج قال سري

السقطي[151] - رضي الله تعالى عنه- لو أن رجلا دخل بستانا فيه أشجار كبيرة على كل شجرة طائر يقول بلسان فصيح: السلام عليك أيا ولي الله، ولم يخف أنه مكر، فهو ممكور به. ومن هنا قالوا أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي والمخالفات، ويا سبحان الله والعصمة بالله، هل يدلي في اقتراع هذه الفتنة المطغية بحجة تغنيه أو شبهة موهمة تعنيه حتى سرح بمسارح طغيانها. هذه المسارح، وطرح بمطارح عدوانها هذه المطارح، فتنة حاد فيها الله ورسوله والمؤمنين وواد فيها الشيطان وحزبه المجرمين افتتاحها بتعصبات باردة، وتأويلات عن الحق والحقيقة شاردة، منها تعصبه لدعوى سحر جماعة إدوعلي[152] لابن أخيهم.

العالم العلامة سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم[153] وابن بنت سيدي محمود، فصال عليهم بأولاد امحمد شين، فأخرجهم من

151- سري السقطي:(ت253ه/867م)، من كبار للمتصوفة، أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأخوال الصوفية.راجع : الأعلام : 3:173.

152- إدوعلي: من أمهات القبائل الموريتانية. ينتسبون إلى محمد بن الحنفية ، من اول من عمر مدينة شنقيط، وكانت لهم فيها الرئاسة الزمنية وما إليها من شؤون (الكصر) . ثم وقعت حرب بينهم في شنقيط وانتهت بانتقال جمهور منهم (=إدوعلى البيض) إلى تجكجه في بداية الثلث الأخير من القرن الثالث عشر. وفي تكانت أسسوا كصر تجكجه سنة (1660/1070) وبقيت فروع إدوعلي الأخرى في شنقيط والركيز ((في الجنوب الغربي). والمؤلف هنا يقصد تحديدا جما عات من إدوعلي تجكجه كانوا خصوما للعالم عبد الله بن ابراهيم الآتي ذكره. راجع: ابن الحاج ابراهيم، صحيحة النقل، لبن حامد ((إدوعلي)) والجغرافيا: 83-84.

153- عبد الله بن ابراهيم بن الإمام عبد الرحمن العلوي (1153-1233/1740-1818) فقيه ضليع وأصولي متمكن من أكابر علماء البلاد. درس على للجله: للمختار بن بونه الجكني وعبد الله بن الفاضل وغيرهم. أعمل الرحلة للحج في حدود 1768، وفي رجوعه ألقى عصى التسيار في فاس يفيد علمائها

جوار أبناء سيدي الوافي بعيالاتهم إلى جوار محمد بن محمد شين، وكان يحدب عليهم بعض الحدب، وفيهم إخوة الهالك من أبيه.[154]

فلما مات امحمد بن محمد شين طالت يد عبد الله عليهم، فاستلبهم وأجلاهم حاملين ما بقي لهم من تافة القماش على أعناقهم وحلف أن لا يقروا بدار دون دار بني عمهم الذين هم بشاطئ البحر المالح[155]. فلما مروا بأحمد بن محمد بن الطالب

ويستفيد، وعاد إلى للصحراء سنة 1776 يحمل التقليد العلمي الفاسي وإليه نسب وعنه انتشر. أقبل عليه الناس عند عودته إلى مسقط رأسه ونال الحظوة عند رؤساء عصره ولاسيما إمارة إدوعيش حيث كان المستشار المطاع لأميرها المشهور محمد بن امحمد شين،

وحول خلافه مع بني عمومته يقول صاحب الوسيط: 40 إن المترجم ((لما أبرزه الله جوهرة لأهل زمانه ، حسده أبناء عمه الأدنون، وهم اهل لطويلب فهموا بقتله ونقبوا داره، فلم يجدوه فيها، وكان أخبر، فخرج مختفيا يصحبه تلميذه الطالب بن حنكوش...). غير أننا نعتقد أنه كانت هناك أسباب أعمق لهذا الصراع لم يذكرها إبن الأمين. والراجح أن منها ما أشار إليه مترجم ابن الحاج ابراهيم وابنه خليفته محمد محمود في كتابه الدر الخالد:37. في سياق الحديث عن ورع والده، حيث دكرأنه لم يخرج من مدينته ومدينة أبائه إلا(.. بعد ما قتل السالك بن عمار العلوي إبن جعفر العلوي، وقال لايسكن في بلد يسفك فيه دم مسلم بغير حق شرعي,..).والرجل المقتول هو جد ابن جعفر العلوي قتله السالك بن عمار وعبد الله بن ابراهيم بمسجد تجكجه غدرا. وإشارة الرسالة الغلاوية بكلمة: ابن بنت سيد محمود، نعتقد أنها سبق قلم من المؤلف أو الناسخ الأول، صوابه: زوج بنت سيد محمود، وهي رقية بنت لمرابط سيد محمود التي تزوجها سيد عبد الله وهي أم ولديه: محمد محمود وسيد عبد الله.

راجع بهذا الخصوص: تاريخ ابن اطوير للجنه: 83وابن ابوجه، فتح الدهورحيث ذكر صاحب الدر الخالد:22-23 مسألة العقوبة بالمال ((في بلادنا هذه السائبة كما قال الوالد غمده الله برحمته وقد نازعه في ذلك للطالب بن الحاج الرقيق بالتصغير العلوشي لما عاقب الوالد رحمه الله أهل تجكجه بالمال, فاختلفت آراء أكابر أهل الحجر في هذا للمنازع فمنهم من قال يقتل ومنهم من قال يعاقب بالمال ومنهم من قال يطرد من البلد فبلغه ذلك ففر إلى الحوض...)) ولعل للبعدين معا (الصراع العلوي- العلوي ومسألة العقوبة بالمال) دورا في صراع المترجم مع خصومه العلويين ومع غيرهم. راجع :محمد محمود بن عبد الله بن الحاج ابراهيم، الدار الخالد في مناقب الوالد (مخطوط) ، البرتلي، فتح الشكور ص173، وفيه ترجمة لسيد عبد الله يعتقد أنها ليست من عمل المؤلف. م ابن الأمين، الوسيط: 37-38-39، المحجوبي، فتح الرب الغفور: (مرقون) ولد الحسن، الشعر الشنقيطي9: ولد عبد الله ، الحركة الفكرية: 205 (ملحق). النحوى: بلاد شنقيط: 513.
154

[155]- يقصد مجموعات من (إدوعل الكحل) القاطنين في أقصى الجنوب الغربي (الركيز وما والاه) ومنهم أهل أحمد خليفه واهل مايمرمد، أهل معد ، أهل عبد الرحمن، اهل القاضي، وبعض آمكاريج

سيد امحمد بن باجد[156]، وهم على ما هم عليه شظف الحال وفساد البال، رق لهم وحدب عليهم.

حمية للدين وغيرة على حمى الإسلام والمسلمين، فتلقاهم بالبشرى والترحب واقامهم من نفسه مقام الجار المكرم القريب؛ فرض لهم على كل مسحاة خمسة آصاع زرع، وأحل بيوتهم خلال حلته، ومنحهم منائح البقر حتى أضحوا أسوة غالب أهل

كاهل الشيخ محمد الحافظ .وأول من وصل من إدوعل شنقيط إلى الكبله الفقيه المشهور عبد الله بن محمد العلــوي (ت 1043هــ)الملقب قاضي شنجيــط قبل لن يلقب قاضي ا لبراكنه وقد حضر حرب شربه (1082-1088/1671-1677) وكان ابنه سيد الحسن من اول شهدائها المعروفين .ويقول ابن الأمين ، الوسيط : 502-503، متحدثا عن سبب هجرة القاضي ((أنه لما اشتدت الحرب بين إدوعل في شنقيط كان القاضي ، أي القاضي بن الطالب المتقدم ، هواعلم من فيهم، وكان يسعى في الصلح بينهم ، فلما اتسع الخرق بينهم ، خرج عنهم إلى أرض الكبله ، وبقي بعض إخوته مع قومه. فلما وصل إلى الكبله، وجدوه بحرا لاساحل له، وكان من أولهم إقبالا عليه ، إدابلحسن وتاشمشه (...) ثم التحق به بعض قومه وكانوا مجاورين لإدابلحسن...)

وإشارة المؤلف هنا إلى دور محمد بن امحمد شين في انصاف المظلومين من المعنيين، تشهد عليها، وعلى غيرها من الأدوار الهامة سياسيا واجتماعيا ودينيا، جل الشواهد المتوافرة ومن أبرزها ما نقله من مصادره، الشيخ سيديا بابا. مما نصه:(ان الزوايا من أهل الآبارلم يعطوا ذراعا من اللخنط لأهل تكانت إلا بعد يوم أنودر وهو أول أيام الحرب بين اهل تكانت بعد موت محمد بن امحمد شين وهذا امر لايستغربه إلا من عرف الأحوال بعد ذلك ولما مات محمد شين انفتح على إدوعل بل وعلى غيرهم من اهل تكانت باب الفتن الذي كان قفله...))

ويقول سيد بن الزين، كتاب النسب: 85-86، مانصه: (وساد محمد بن امحمد شين جميع إدوعيش وانتفى من كان يخالفه. فلما وقع ذلك استقامت الأرض وانتقل منها من كان من غير أهل الاستقامة وامتلأت عدلا .قد حكم سيد (عبد الله) بن الحاج ابراهيم في اموره حتى صار لا يقطع أمرا إلا بإذنه حتى أنه قال له يوما ابسط يدك أبايعك ,,,)ويدل استحضار لصحاب الحوليات للأحداث بعد وفاة محمد بن امحمد شين على مدى التحول العميق الذي عرفته منطقة تكانت: ومن ذلك قول ابن انبوجة :((و)في السادس والثلاثين ومائة وألف وفاة محمد بن امحمد شين عشية الثلاثاء بعد خروج آل الإمام من تجكجه وفيه وقعة اندور بين سيداحمد بن محمد شين وأعمامه أبناء امحمد شين (...) وفي السابع والثلاثين وقعة جوك بص)).

[156]– احمد بن محمد الطالب سيد احمد بن باجد رئيس أهل سيد ألمين بن حيبل ((بتفخيم الام أي حبيب الله) جمع بين القيادتين الزمنية والروحية .من كلته (كصر البركة)، لعب أدوارا استثنائية في الصراع الذي نشب بين قومه كلته وأهل سيد محمود، والده أحمد مدفون في بوراكه المعروف بأوقات ((يبعد 91كلم تقريبا جنوب كصر البركه)) (من مقابله مع السيد محمد فال بن محمد آبه، مدرس في المدرسة العليا للمعلمين، انواكشوط 92/1/03).

الحي. فوفد عليه وفد فيهم عبد الله والمختار بن امحمد شين[157].
وقالوا لأحمد بن محمد: هؤلاء أولو ثاراتنا، وقد أجليناهم عن أرضنا وجوارنا ولا نرضى لأحد بإيطانهم بهذه الأوطان. فقال: أما ما تدعون عليهم من الديات فهاهو لكم ناجز، وأما خروجهم من كنفي مظلومين ومهضومين ما بين عالم وصالح وامرأة وصبي فما لا يكون وبي من الميز ما أفرق به بين الذرة والفيل.

فامتنعوا مما عرض عليهم فخرجوا من عنده مجمعين على حربه ومنا جزته فتدافع الأمر إلى أن غدر أولاد محمد شين بابن أخيهم سيد أحمد بن محمد بن محمد [شين][158] ففر إلى كنته دخيلا

ومن اولاد سيد حبيب الله : أهل سيد ألمين بن حبيب الله، أولاد التاكه وأولاد البح، لهذه البطون فروع أخرى، مجموع أولاد سيد حبيب الله في تكانت (تجكجه وما ولاها). راجع : ابن حامد، الجغرافيا:57.

157– المختار بن أمحمد شين : ترأس ما بين (1236–1242/1821–1826) استفحلت في أول عهده ظاهرة الصراع على السلطة، حيث خرج عليه ابن أخيه اسويد احمد بن محمد بن امحمد شين وشيعته المدعوون أبكاك، وحلفاؤهم من كنته، فكان أن قاد المختار تحالفا مضادا ضم شيعته من ادوعيش وفيهم أخواه (اعلي و بوسيف) وعرفوا (باشراتيت) وتحالف معهم المختار وصديقه عبد الله بن سيد محمود وقومه، واقتتل الحلفان في معارك شرسه منها: انودر(=أنودن): 1236، شكار1237، بوعنز:1239. وبوفاة امحمد شين سنة 1242/1826 دانت إدوعيش لأسويد احمد باستثناء أهل اعلي بن امحمد شين حلفاء الأمير الهالك الذين انتقلوا إلى نظام جديد من التحالفات المتغيرة دوريا.
راجع : ابن حامد ، التاريخ السياسي:1:179. تاريخ ابن اطوير الجنة:93 .ابن الزين،كتاب النسب:84–85. الشيخ موسى كمرا:42– 45.

158– سيد أحمد بن محمد بن امحمد شين: تأمر إمارة ناجزة في الفترة ما بين (1236–1245/1821–1829) خرج بشيعته المدعوين (أبكاك) وحلفائهم السياسيين من كنته ، على أعمامه في السياق المشار إليه أنفا. وما تذكره الغلاوية هنا من حادثة الغدر باسويد احمد هو حربه مع أعمامه، وقد سرده بنوع من التفصيل والتدقيق ابن الزين في كتاب النسب:84– 85 وفيه أن ابن امحمد شين (...حين دخل الموت في أعضائه نادى لابنه أسويداحمد فأتاه فقال له: حسك عدت آماش (=صرت كآماش) فقال له الإبن موت لو شوف (مت وسترى) وآماش رجل من أولاد امبارك مات عنده أبوه وتركه وله أعمام فتحارب مع أعمامه وغلبهم، وإنما قال ذلك ابن امحمدشين لأسويد أحمد إلا (ذلك) لأمره بإبنه بأن يفعل ما فعل آماش (,,,) ثم قال يامره بعده ابنه اسويد احمد لكن خالفه عمه المختار بن امحمد شين فتفرقا فريقين فصارت فرقة المختار تسمى باشراتيت وفرقة اسويد احمد تسمى بأبكاك (...) فلما حصلت الفرقة بينهم همت اشراتيت بقتل اسويد احمد وشرعوا في ذلك يتقاولون: بعضهم يقول : نقتله وبعضهم يقول :لا. فبينما هم

بعدما نهبوا ماله وسبوا عياله، وخرج طريدا شريدا، فورد عماه على كنته، مستخلصين له من حرم كنته. فقال لهم أحمد بن امحمد إنكما وابن أخيكما لأبغض الناس إلي، إلا أنه ورد علي دخيلا، والحر لا يسلم دخيله حتى يذوق الموت أو يرى سبيله. فارجعا عني حتى أعمل في حيلة أخرجه بها من كنفي، وادفعه إليكم من غير عار أخلفه بعدي؛ فخرجا من عنده مغضبين، فلم ينشبا أن صبحا كنته بغزو؛ هزمه الله على أيدي كنته. قتلوا منه عدة رجال واستلبوا غالب ظهرهم من خيل وإبل.

ومات: سيد أحمد بن المختار بن سيد ألمين[159]. واشتعلت نار الحرب بعده واستعرت، وطارت الفتنة في الآفاق شعاعا

في القول أتاه آت فأخبره بالحال فقام من حينه وركب على حصانه هاربا ومعه عدد قليل وركبوا في إثره فلم يقدروا عليه فأتى في ليلته لأبناء سيد حيبلي (= حبيب الله) فوجدهم بانودر وهو موضع قريب من تامورت انعاج على جهة المشرق فطلب منهم المنعة فقبلوا فبات عندهم فما مضى نصف الغد إلا واشراتيت فوقهم فوقعت وقعة انودر ذلك الوقت وانهزمت اشراتيت على اثرها (...) فبسبب ذلك بلغ اسويد احمد مناه (...) ولم يزالوا في الحروب إلى أن مات المختار بن امحمد شين في عام 1242(=1226) (...) ثم(....) مات اسويد احمد (....) ليلا أغتاله مولى لعمه اعلى ، دسه عليه سيده، وذلك لثمان من جماد الأولى عام (1829/1245)...).وقد مر التحالف بين اسويد وكنته، ببعض التوتر بداية من سنة1826/1241 عندما انحازت شيعة اعلى بن امحمد شين وهم من حلفاء الأمير الهالك، إلى جانب كنته، ومعاضديهم من أولاد الناصر، وذلك قبل أن تعود للمياه إلى مجاريها بين حلفاء الأمس ... راجع: إبن حامد، (إدوعيش): 14.

[159]– سيد احمد بن المختار بن سيد للمين: من قتلى انودر (1821/1236) بين لبكاك واشراتيت، بمعاضدة من كنته، وأهل سيد محمود كل لأحد الطرفين على التوالي، ولاشك أن المؤلف يقصد معركة انودر كما هو واضح من السياق، لأنها أول معركة تحدث بعد حادثة الإيواء المشار إليها .وسبق أن رأينا رواية ابن الزين وفيها ما مفاده أنه بالرغم من الانتصار على اشراتيت ((لكن كنته قد مات منها عدد كثير منه سيد محمود بن المختار رئيس أولاد البخ... فلعله المعني.

وانتشرت[160]، فلا ترى إلا مكروبا مغلوبا أو محروما مسلوبا، ميراث علماء الفتنة، ومحروث رؤساء المحنة:

لا يبلغ الأعداء من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه[161]

ثم أولاد أمحمد شين، على ما طبعوا عليه من الفجور والشين، أقرب إلى الحسنى وأهرب من البائحة الداهية الخشنى، من عبد الله علا تداينه وتلبسه بمخايل الصيانة، وتماينه، غفلة منه أو تغافلا، أو جهلا منه أو تجاهلا، أن المنازل السنية والمشارب الهنية، لا تكون إلا لمن شرف انجاله وصفت أحواله وخلصت أعماله، وصدقت أقواله، وقصرت آماله، وقام بما عليه، وترك ماله، لا يتشوف إلى ما تشوف إليه ولا يستدعيه، ولا يتعاطا أدنى ما تعاطاه، ولا يدعيه، ولا يظهر من الخير ما ليس فيه، ولا يكتم من حاله ما الله مبديه إذ المعاني لا تثبت بالدعاوي، والأماني لا تنال بالتواني، وإنما تحصل المعاني بالتقوى والصبر على الطاعات والتوكل على الله في السير والنجوى فمن ارتقى بالتقى، وإلا هبط في مهاوي الشقا أيحسب المغترون بكل ناعق، المصغون لكل زاعق؛ أن الذائق كالتائق والصادق كالماذق، كلا ومن جلا الحق وأزال الإلباس، لا يكون التكل كالكحل الصوري

---

[160]– كان أولاد سيد حبيل قبل هذه الحادثة، بمنأى عن الحرب الناشبة بين الأطراف الأخرى.

[161]– لم نعرف قائله.

في القياس، والا من أسس بنيانه على التقوى من الله ورضوانه، كمن بنا بلا أساس. تبا لقوم صرفتهم أماني النفوس وقلبهم رئيسهم براية المعكوس إلى آخر الدنيا الدنية من الدين وردهم بعد العروج بمعارج المتقين، إلى التدرج بالمدارج المورطة بورطات دركات سجين. أولائك هم الأسؤون حالا، الأخسرون أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا [162] فيا سبحان الله.

بسط عليهم في دنياهم بما بهرجوا، ومكر بهم -وهو خير الماكرين- بما مرجوا. فقد قالوا: من صفى صفي له، ومن خلط خلط عليه، سبحوا ليحمدوا، ونكروا جهرا ليذكروا، وصلو ليوصلوا، واجتمعوا للبدعة واستمعوا للسمعة، وخشعوا للرفعة، فتواضعهم أزمان تواضعهم للطمع لا للورع، وتخشعهم أحيانا تخشعهم للرياسة لا للسياسية، إن أخذوا المال من حقه، قالوا أخذناه تمتعا برزقه، وإن صالوا على أحد من خلقه، قالوا صولة بحقه، إن جادلوا بغير علم، قالوا فتحا، وإن خرجوا عن الشريعة قالوا شطحا.

فوالذي أذل الملوك وأعز العبد المملوك وأرشد السالك إلى السلوك لا يقبل فقر فقير لم يكن إليه ولايرفع قدر من لم يتضع

---

[162]- سورة الكهف، الآية 104، مكية.

لديه ولا تقرب التقوى من لم يستعمل التقوى. إذ المطلوب من العبد صدق الطلب وحسن الأدب، والقيام بالأوامر، ولو أنه أمير آمر، والشروع في الشريعة قبل الشروع مع الشيعة، إذ لايثبت المقام إلا لمن استقام، ولايصح الحال لمدعي المحال، ولاتصح الإدارة إلا بترك العادة، ولاتظهر الكشوف لمن أعماله زيوف، ولا تصدق الفراسة لمن ملكته الرياسة. كيف بفتح الباب لمن هو إلى الآن ماتاب، كيف تقبل توبة الكذاب وهو من خوف العذاب ما ذاب، كيف يفتح الباب لمن هو غائب، ماآب، كيف يسمح الخطاب من هو من الخبث ما طاب؟ بل ما يرى على بعض المتشبهين المبتدعين، من ذياب الزمن الفاسد المتشبعين، من التعلق بعلوم الأحوال والمقامات ووقائع النفوس وموارد الحقائق، ورأيتهم ذلك كافيا في المراد، ودعوه حالا لأنفسهم فما شموا من ذلك أو ذاقوه لحظة أو نفسا، ثم زال وحاد، غرور في غرور، يؤول إلى خسران وثبور، فقد كان الشيخ –رضوان الله عليه– يقول: أسوء الناس حالا وأفسدهم طريقة وأبعدهم عن مناهج الصادقين: من حكى حكايات السلف واتخذها لنفسه حالا– وهو خال منها– ففرح بقبول الناس له على ذلك، وإقبالهم عليه، ثم قال: عجبت لمن

يخرج بما لغيره؛ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: المتشبع بما لم يعطه كلابس ثوبي زور[163].

والله تعالى يقول: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا}[164]. لأنهم زينوا بأحوال هم عنها خوال، وعملوا اعمالا بعيدة عن الإخلاص، ولايطؤ بساط الحق إلا الصادقون في أحوالهم وأفعالهم وأقوالـــهم. ومع عبد الله من علم الرسوم ما دفع به عن دعواه من تشوف إلى معارضته من قراء الوقت مع فرحه بما عنده من الظاهر وتطاوله على أهله بما فهم من علم الباطن وما ادعى من الكشوف ودعا إليه، وجعل العلم حجة له في كل ما يحتوى عليه ؛ مع بلوغه بحسن الظن بنفسه مبلغا أوقعه في مهاو من الضلال منها: إباحته للتشفي في كل من نازله بمكروه بالوجه الفائق المعتاد فيه للناس، والحد المألوف بين العام والخاص، حتى سرى ذلك إلى كل من انضاف إليه من الأجلاف، أو انتسب إليه نسبة ما من سائر الأحلاف، يعلم ذلك الخاص من الناس والعام، يتزايد ذلك ويشيع من شيعته، اليوم بعد اليوم، والعام بعد العام، فلما رأى ماهو فيه بعين الاغترار وأشربت نفسه ما أشربت من الأبهة والاستكبار، خيل لمن قلده من الأتباع

---

[163]- متفق عليه، أخرجه البخاري في "النكاح" ، ومسلم في " اللباس".

[164]- الفرقان ، 23، مكية.

وائتسى به من الرعاع، وأن وضيعهم يسموا قدرا على كل رفيع، وخليعهم يفوت بخلاعته شأو كل وسيع الباع بريع، فركبوا سابق الخيال، فعار بهم في مجال الخبال، وتشبث هو بأذيال الفجار، هاويا بمهاوي البوار والخسران، {يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا[165]} ويخلف لهم ويقري، وبعض القوم يخلف ثم لايقري، فمن أول ما وشى به طراز حلة عدوانه المشؤومة ووشر به لون دردبيس فتنته العمياء الشوهاء، قطعة قطع بها سلك عهده، وقصم بها ظهر صلته ووده، تقدمة بين يدي نجوى عقوقه، وعنوانا على ظهر منشور الإخلال بما يجب من بر الإسلام وحقوقه. ففي الحديث: عن نبي الأنبياء عليه أفضل الصلاة وأزكى الثناء : ((خير الخير خيار العلماء، وشر الشر شرار العلماء[166])). يفوق في قطعته إلينا سهام الأذى، ويرمي في عين من يلتفت إلى ما هذى به القذى، سعيا منه في مكافأة إحساننا إليه بالإساءة، وقبله غاظ الإحسان دني الغرائز وساءه. ثم تعدى بعدوانه إغراءا لغاشيته، وأعوانه إلى الدعاء المردود المحجوب إلى نحورهم، الشقية والجيوب، ألم يبلغكم معشر

165- النساء،120، مدنية.

166- راجع : السيوطي ، الجامع الصغير.

الإخوان فيما ثبت وصح عن الحجة البرهان[167] ما.انعم رجل على رجل نعمة وكفرها فدعا عليه إلا استجيب له فيه. ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم: ((يستجاب لنا فيهم ولايستجاب لهم فينا[168])) أي لكفرهم نعمة ما دعوناهم إلى الدين القويم، فنصحناهم بالهداية والظلف إلى الصراط المستقيم، فأبوا وكفروا وجحدوا الدين واستكبروا. وعبد الله هذا قد أنعم الله عليه على أيدينا، ولولا مجاوزته لحد كفران النعم إلى الرسوب في أعماق بحر الطغيان الأطم، لشرحنا منها ما يقضي المرء منه العجب.

لو كل كلب عوى ألقمته حجر لأصبح الصخر مثقالا بدينار[169]

لكني أنشد قول القائل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود[170]

لولا أشتعال النار فيماجاورت ماكان يعرف طيب عرف العود

وأنشد عبد الله قومه:

ماكان ضركم الإخلاص لوطبعت تلك النفوس على علياء أو أدب

أشبهتم الدهر لما كان والدكم فأنتم شر أبناء لشر أب

167– أخرجه البخاري برواية أخرى، ج4، ص55.

168– راجع للبخاري، الصحيح، 4:55.

169– لم نعرف قائله

170– لأبي تمام. وهما في ديوانه.[ط.دار صادر. بيروت].

ويا أيها الناس أصخوا إلي أنبؤكم بتاويل شعره، وأحدثكم بدخيل أمره، اعتدى علينا وعاد، وظلمنا ظلم عاد. وأكثر من الأذى والسفه، وملأ بالشتم فاه والشفه، ومد لسانه إلينا وهو قصير، ونظر إلينا بعين النقص، فانقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولاكلابا[171]

حيلة منه أن نجاريه بميدانه أو ندندن حول ما هو مألوف من ديدانه ويابى الله إلا أن يتم نوره ويديم عصمة عبده وحبوره.

.... من ذا يعض الكلب إن عضا[172]

بل أنا في الكلام في حق من لا يكافئ أدنى تلامذتنا ضنين، إذ هو عندي في حكم الجنين، وإن كان له عند رغاء الإبل حنين، وكنت اتقيه رعاية لما توهم الناس من اتقائه، فلا أمشي في عرض أرضه ولا أستظل بسمائه، فلما زاد طغيانه وشاع بغيه وعدوانه، وتجاوز الحد واغتر بما له في الدنيا من الجد، والذي لم يرثه عن أب ولاجد، وأغفل ولاينفع ذا الجد منك الجد:

---

[171]- البيت لجرير، ويقال هو أهجى بيت قالته العرب.

[172]- لم نعرف قائله.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى

مضر كوضع السيف في موضع الندى[173]

تعين لا محالة بيان فساد حاله. وغلوه في عدوانه الشائن، ومجاله فقد قيل خصال العلم ألف، من جمعها ساد، ومن تعداها جمع الفساد:

يقال خصال هذا العلم ألـــف   فمن جمع الخصال الألف سادا[174]

ويجمعها الصلاح فمن تعدى   مذاهبه فقد جمع الف،،ـــسادا

وهذا المسكين قد جمع الفساد فيما تعدى من طوره وأتى من العناد، ثم لاعبرة بما أدعى من العلم بالرسم، واكتفى عن المعنى النافع منه بالإسم فرحم الله القائل:

إعمل بعملك توت حكمة إنما   جدوى علوم المرء نهج الأقوم

وإذا الفتى قد نال علما ثم لم   يعـــمل به فكأنه لم يعلــــم[175]

وأغرب ما ابتلى به والعياذ بالله عدم تصدره لإفادة المتعلمين للعلم الظاهر، كغالب علماء الظاهر، فيفوز معهم بذخر الوعد على لسان العلم الفرد، عليه أزكى الصلاة واتم الحمد ((خيركم من تعلم العلم وعلمه[176])) شغلا بما توسطه من ثبج

173- للمتنبي، الديوان [ط. دار صادر ، د،ت].

174- لم نعرف قائلهما .

175- لم نعرف قائله.

176- لابن ماجة عن سعد. السيوطي، للجامع الصغير، د1، ص615.

الرياسة وتكلفه من أعباء السياسة، لوسائط الفتن والوجوه، الدافعة إلى وسائل المحن، ثم صرف والعياذ بالله عن ما كان يدعو إليه والده من الزهد في الدنيا والتقشف، والذكر والتظاهر بالفقر، والتشبه بطريق الفقراء، بما حجبه من زهرة الدنيا وبسطة المال وحب الرياسة، والاستظهار بالخصائص، وادعاء المنازل استدراجا من الله تعالى، ومكرا والعياذ بالله، جهلا منه أن أول واجب في طريق السير عند أرباب السلوك دفن النفس في أرض الخمول وإيثار الأذى من كل شيء حتى يأتيه من الحق في ذلك ما يغلبه، بأن لايقدر على دفعه، فليقم بواجب وقته، وحين إذ يقال له من أراد الظهور فهو عبد الظهور، ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء. وعبد الله سواء علي أظهره أو أخفاه وعسى أن يقول هذا البدعي أنا ذلك العبد. فيقال له: إن الميزان القسط: رعاية الحق سبحانه للعبد المغلوب عليه المستخلف في خلافته من الوقوع في فتنة مطغية، أو فاحشة موقعة وذلك معنى العصمة في حق الولي، وهو المراد بالحفظ. ثم أنت أيها المغرور بنفسه ومناه، المرتبك بما قضاه الحق من خذلانه ومناه، نار على علم الدعوى، وإمام مقلد في ترهات الغي والهوى، تتبرء من نسبة الأولياء وترغب عن مثاقفة فحول العلماء وتمحض نصوحتك لرعساء الفجار

وتربي بما مد لك من الجاه احلاغ أجلاف لحمة الأشرار وأصناف اجراء كلاب حمر المحاربين الكفار والطبع يسرق من الطبع والمفرد في الغالب يغلب بالجمع وكان المعمول به في الناس والجار فيما بين الأفاضل الأنداس أعتقاد أن الولي باب من أبواب الله يقف به المعتقد لياتيه من ذلك الباب نفحة رحمة الله على حسب مراده فيكون قصده الله دون ما سواه ويعظمه تعظيما يرى فيه مفاتيح الغيوب وفتوح الأسرار الواردة على القلوب.

ثم جزاء المستند المحب أن يحب فيوضع له القبول في الخلق؛ وجزاء المستند المحترم: أن يحترم، فتوضع له الحرمة في القلوب، فلا يراه أحد إلى احترمه وعظمه.

وجزاء المستند الطالب أن ينصح ويفاد، فتيسر له الخيرات وتصرف عنه الشرور الدينية على قدر الفيض والقصد والهمة في جميع ذلك:....

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم[177]

وأما المستند إلى الظلمة الفساق، المخالط للحمة، مزارع الغفلة والمعصية والنفاق، فهيهات يربح من سوقهم الكاسد، زائدا على عملهم الخبيث ومعتقدهم الفاسد، فالحق سبحانه يقول:

---

[177]– من قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة.

{ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون}[178]

وفي حديث الطبراني[179] عن علي[180] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة هن حق، لايجعل الله من له سهم في الإسلام كمن له سهم، ولايتولى الله عبدا فيوليه غيره، ولا يحب الرجــل قوما إلا حشر معهم[181])). وأخرج الحاكم[181م] عنه صلى الله عليه وسلم ((الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا وأدناه أن يحب على شيئ من الجور أو يبغض على شيء من العدل[182])). وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله. وفي الحــديث ((الــمرء مع من أحب وإن لم يعمل بعمله[183])). قال ابن حجر[184]: وظاهره أن محبة الفاسق كبيرة، كما أن بغض الصالحين كبيرة، وصحبة الفسقة والظلمة تدل على انفكاك ربقة الإسلام من عنوق محبهم، وبغض الإسلام كفر، فلا

---

[178]- سورة هود ، 113، مكية.

[179]- الطبراني: (260-360هـ/873-971م)سليمان بن أحمد بن مطير اللخمي الشامي من كبار المحدثين . وأصله من طبرية, له المعاجم في الحديث . الأعلام :3:221.

[180]_

[181]- راجع : الجامع الصغير :1:129-130.

[181]- الحاكم: (321-405هـ)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي الطهماني، من مؤلفاته المستدرك على الصحيحين، من أجل علماء الحديث في عصره. راجع: الذهبي، تذكرة الحفاظ 3: 1093 .

[182]- راجع : الجامع الصغير : 2:666.

[183]_ م.س

[184]- ابن حجر (773-852/1372-1449)، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ. له "فتح الباري"، وهو أجل تصانيفه. راجع : الأعلام،1: 178.

محالة يكون كبيرة[185]. أو لم يتدبر عبد الله قوله تعالى: { رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين[186]} .

وقوله تعالى: {احشروا الذين ظلموا وازواجهم[187]} أي أشباههم وأعوانهم. وقوله صلى الله عليه وسلم[188]: اللهم لاتجعل لكافر ولافاسق عندي يدا ولانعمة، فإني أجد فيما أوحي إلي {لاتجد قوما يومنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله[189]...} وأخرج أبو الشيخ[190] عن عكرمة[191] في قوله (ولاتركنوا إلى الذين ظلموا أي تطيعوهم وتوادوهم، وتصغوا إليهم. وعن الحسن[192] -رضي الله عنه- قال خصلتان إذا صلحتا صلح للعبد ما سواهما من أمره: الطغيان في النعمة والركون إلى الظلمة ثم تلا {ولاتطغوا فيه ولاتركنوا إلى الذين ظلموا[193]} وأخرج ابن أبي حاتم[194]عن عكرمة[195] في قوله تعالى: {تلك الدار الآخــرة نجعلها للذين لايريدون علوا في

185_

186 - القصص، 17، مكية.

187- الصافات، 22، مكية.

188- لم نعثر له على تخريج .

189- المجادلة، 22.

190- ذكره الطبراني في سلسلة شيوخه، راجع: المعجم الصغير: 4، المقدمة.

191- لم نعرفه.

192- هود، 113، مكية.

193- هود، 113، مكية.

194- ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن إدريس بن أبي حاتم الرازي، ولد سنة 240هـ كان بحرا في العلوم ومعرفة الحديث راجع له: الرازي (ابن أبي حاتم): الجرح والتعديل: المقدمة.

الأرض[196]} قال العلو في الأرض التكبر والشرف والمنزلة عند وجوه الناس وسلاطينها، ولا فسادا: قال يعلمون بمعاصي الله، ويأخذون المال بغير حقه، ويقطعون الطرق. والعاقبة للمتقين، أي الجنة. وقد قيل: تقرب الأشرار إلى الأخيار صلاح الطائفتين؛ وتقرب الأخيار إلى الأشرار: فتنة الطائفتين. فقد قال بعض المشايخ: من شارك الرؤساء والملوك في عز الدنيا شاركهم في ذل الآخرة.

هذا والذي عليه القوم الذين ينتمي إليهم عبد الله الامتناع من صحبة في الدنيا أكبر همه، والرغبة عن مجالسته ومعاشرته، إلا على شرط وآداب، لو استعملها -هدانا الله وإياه- لم يشق بصحبتهم شقوته بها. قال تعالى: {فاعرض عن من تولى عن ذكرنا واتبع هواه ولم يرد إلا الحياة الدنيا[197]} وقال: { ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه[198]} .

حتى أنهم قالوا الجلساء ثلاثة: جليس تستفيد منه فلازمه، وجليس تفيده فلازمه، وجليس لاتفيده ولاتستفيد منه فاهرب عنه. وأيضا من آدابها الشريفة وأخلاقهم العريقة: ترك التيه والصولة،

---

[195]- راجع الهامش: 144.

[196]- القصص، 83، مكية.

[197]- النجم، 29، مكية.

[198]- الكهف، 21، مدنية.

فقد قالوا: الصولة على من فوقك قحة وعلى مثلك سوء أدب وعلى من دونك عز، وقالوا: من ولي ولاية فتاه بها أخبر أن قدره دونها، ومن تواضع فيها أخبر أن قدره فوقها. وقيل عجب المرء بنفسه سفه من عقله. قال الله تعالى: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولافسادا[199]}.

وهذا عبد الله المسكين ابن الطالب محمود المسكين أنهى إلي أخونا السيد باب أحمد[200] أبياتا بعث بها إليه يوري فيها عن ترزيته بمن أوقع بهم ب(دوك بص[201]) واستطالته عليه، بما خيل له شيطانه ومنته نفسه من كسر شوكة كنته وغلبته عليهم، بما اتفق من غدره بهم في سبع مائة فاتك من الأوباش والرعاع وهم زهاء سبعين رجلا بين شيخ فان ومتصوف لاعصا له فضلا عن ما فوقها، ومسافر غريب، فصبحوهم وأحاطوا بهم فقاتلوهم أشد القتال وأبلوا فيهم بلاء قل ما يبليه مثلهم في مثل من دهمهم، فقتلوا من مقاتلهم من حضر أجله، وجرح من جرح. وأدركني لذلك مع تبجحه واستطالته به، من غيرة الإسلام والمسلمين

199– القصص، 833، مكية.

200– سيدي باب أحمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير: الأخ الأكبر للشيخ سيدي محمد الخليفة مؤلف الغلاوية. عرف بشخصيته الصلبة، لم يرض بخلافة أخيه سيد محمد الخليفة فخرج بشيعته من لزواد، (قر الزاوية) ولاية تكالت، اجتمع له فيها عدد وافر من الأتباع والتلاميذ، كانت علاقاته وطيدة بإدوعيش، خصوصا مع المختار بن بكار بن أعمر (من مقابلة مع السيد محمد فال ولد محمد آبه أستاذ التاريخ بالمدرسة العليا للمعلمين).

201– دوك بص وقعة سبق ذكرها .

والشفقة على أولي الرحم المظلومين، الأقربين ما حملني باعثه على إنشاء بيتين، جوابا عن سيدي باب احمد للقطيعة القاطعة لنياط دينه، القالعة لصمغة عزه وتمكينه ، منشؤها:

إليكم شكونا كنته ياباب إذ كنتا   أبا كل مظـــلـــوم وإن لم يكن كنتا
فكنته وإن كنا علونا عليـــهـــم   فلا نطلب الإنصاف منهم وإن أنتا. إلخ

فانظروا كحل الله بصائركم بأثمد الاستبصار، واعتبروا ياأولي الفطر السليمة والبصائر والأبصار، إلى هذه الشكية المتضمنة لفص الترزية ، فقد شكا إليه حال كنته وما بلغه من الفجيعة بهم، ونبهه بطول غفلته عن السعي في إزالة ظلامتهم، مع كونه أبا لكل مظلوم، مهضوم، فكيف بكنته الذين هم قبيلته وشعبه، وفصيلته ثم أخبر بما هو مجمع عليه في المستقبل، بعد العلو على كنته والإستيلاء، من الإصرار على عدم إعطاء الإنصاف من أنفسهم لكنته. إذ لايتصور إلا ذلك، إذ لامال لهم إذ ذاك بأيدي كنته، ولاثأر لهم قبلهم، بل هم الأولى قتلوا كنته ونهبوا لهم الأموال العريضة، فهل مثل هذا شكية أو تعزية أو تبكية. فطير إليه ببيتي الجواب، ولم يحتويا على هجر من القول ولاعاب، بل صادف بحرا أجاجا فائضا فجاش، وحرك من طبعه الخبيث، وكان أي بذاء فحاش. فوجه إلى الناحية بمنظومة شعر،

شاهدة عليه بكل طيش وزور، وسحق وشر، صدرها بقوله، سلب من قوته وحوله:

علونا بحمد الله بالله لاكنتا   فمن كنت لاكانوا ومن أنت لاكنتا

وكان يعجبني وأعده فالا، نسبة العلو إليه الأبيات المتقدمة. وفي هذه ، وأرى الحق سبحانه في كتابه، لم يأت بالعلو، فعلا كان أو مصدرا، أو صفة إلى بمعرض مرغوب عنه، حيث يقول في مدحه أهل الخصوص ونعت الحزب المفلح المخصوص : "الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا"، فل امحالة يخيب ويخسر ويخذل ولا ينصر مريد العلو والفساد، والاستطالة بالبغي والعناد، ثم تكون العاقبة للمتقين. [...] (أ) فمن فر بدمه ودينه وماله، ففتك به حزب الفجرة المشاقين. وقال تعالى: {إن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين}[202]. فئال به علوه إلى الاغراق في العاجلة وعنايته ما توسمت، وجرى الفال بنحو ما فكرت وألهمت. فرب فرج خرج من شدة وبلى أفضى إلى جدة[203]. وإني لأنشده بما هجا وهذى وسدده سهم نكاية وأذى بيتي الشاعر:

---

[202]- يونس 83، مكية.

[203]- الجدة: للفرج والراحة.

إن الخنيس ليهجوني لأرفعـــه   إخسأخنيس فإني لست اهجوكا[204]

لم تبق مثلبة تحصى إذا جمعـت   من المـثـالب إلا كلــها فيكا

ثم هنا من هو أشعر منه وأطبع، وشعره أصنع من شعره وأمتع:

أحجاج لاتعطي العصاة مناهم   فلا الله يعطي للعصاة منــها[205]

وفيه أنشد ما أنشد الفرزدق[206] في مثله:

لو كان عبد الله مولى هجوته   ولكن عبد الله مولا مواليا[207]

ويا شؤمه من دهر يسوغ إسم إدوبج[208] في حلق عبد الله وتصغي إليه أذنه، ويذكر بناديه أضعف صبيان لتيدات[209]، بعد

---

[204]- لم نجد لهما نسبة.

[205]- من شعر ليلى الأخيلية.

[206]- الشاعر المعروف صاحب النقائض مع جرير.

[207]- لم نعرف قائله.

[208]- إدوبج: بنوابج بن الحاج اعلى. ينتهي نسبه، حسب للرواية المحلية ، إلى الأمير المرابطي يحي بن أبي بكر اللمتوني . وجاء في نقلة سيد عبد الله بن الحاج لبراهيم الوارد ذكرها في رسالة عبدالله السابقة ، مانصه :"ولا خلاف فيه بين النسابين" .منهم أهل بابا هندي وأهل ابا لصبارة. فمن باب هندي، وهوا بن حبيب الله بن النجيب بن محمد المختار بن محمد بن النجيب بن ابجه ثلاث فروع: أهل عبد الله بن باب هندي وأهل أمانه ين اعمر وأهل الإمام بن محمد الهادي، ومن عبد الله بن باب هندي : المختار ومحمد أبناء عبد الله بن ابلب هندي فمن المختار، منها بنوه: سيد محمود الذي سميت به قبيلة أهل سيد محمود (إدو الحاج الركيبه وحلفائهم). راجع: ابن حامد، إدو الحاج):50-51. راجع أيضا: ابن حامد، الجغرافيا: 48-49. المختار ابن ابلول، نسب إدو الحاج 52-56.

[209]- لتيدات: أبناء أحمد بن الحاج اعلى لقب ((بوتيد العلم، لأنه كان عندما يفتي يقول: ذلك مضروب عليه وتد)) فعرف ابناؤه بلتيدات...

فروع الوتيدات: [ابن حامد، الجغرافيا:48]أهل عابدين سيد، أهل حم ميلود واهل احمد هندي (في كيفه - حاليا).

راجع: ابن اطوير الجنة، التاريخ:85-86، ابن انبوجه: فتح الدهور: مخطوط) المختار بن ابلول، رسالة حول إدو الحاج:52-56 (تحقيق فاطمة بنت أو).

أولاد الحاج[210]. فقد أصبح اليوم ينتسب حاجيا، ويجلس صدرا لدستهم ودستا لصدرهم. وما عليه في ذهاب ريح دولة لم يفز منها بنسمة، وتشتيت شمل، لم يحظ من صولة جموعه بقسمة. بل انتشأ لصيقا، ونشأ لفيقا، فدارت الدوائر، وغادرت النجوم الغوائر، فأضحى يرخي ويشبح، ويذم ويمدح، وينشد:

ونحن بنوا الحاج الكرام أئمة   هداة كماة .... إلخ.

[210]– أولاد الحاج: يقصد البطن الذي ينتسب إلى الحاج عثمان بن يحي الأغماتي، وهم قسمان: أولاد محمد بن الحاج وجمهورهم في القبلة (ولاية للترارزة)، وأولاد ابراهيم بن الحاج في لعصابة (للوسط من شرق موريتانيا، راجع: ابن حامد، 4:2.

الباب الثاني: تاريخ إدولحاج وكنته

نعم إدولحاج[211] قبيلة من قبائل المرابطين[212]. كسائر القبائل منهم الصميم واللصيق، والإشابة والعريق. والذي صح

---

[211]- سبق ذكرهم.

[212]- المرابطون: علم على القبائل الصنهاجية التي قامت بدعوة الحق بالمغرب والصحراء في خامس القرون الهجرية. وقد استقر رأي الباحثين المعاصرين على اعتبار مصطلح المرابطين تعبيرا عن مجموع تعاليم ((دعوة الحق)) بوصفها شعارا للمنضوين تحت لواء الحركة ، دون أن تعني رباطا ، أو" رابطة" في بناء محصن . ونحن نميل إلى هذا الرأي لكونه الأقرب إلى تاريخية المفهوم والأكثر انسجاما مع النظر "الحفري" الذي أضحى يشكك في اجرائية مباحث البدايات والأصول وما إليها.
واجتهادنا أن اللفظ قد فشى في المصادر القديمة "الوسيطة" وفي الروايات المحلية في موريتانيا على القبائل التي قامت بأمر "الدعوة" تمييزا لها على القبائل "المغضوب عليها" والتي ناوأت الحركة في عهد الانطلاقة أو في الشمال. هذا بالرغم من أننا واجدون التسمية دالة على لمتونة وحدهم، أحيانا ، دون غيرهم من قبائل الدعوة كمسوفة مثلا. وربما كان ذلك بفعل المكانة التي كانت للمتونة في قيادة جيوش الحركة ثم في تولي السلطة المرابطية بعد ذلك، أو بحكم ما كان للمتونة من السبق في الإسلام المرابطي.
وبالرغم من ذلك فإن لفظ مرابطي الصحراء ظل يتردد في المصادر الفقهية والجغرافية علما على قبائل صنهاجة التي ظلت تعمر المجال الموريتاني الحالي منذ قرون. والأرجح أن ذلك هو ما يقصده المؤلف في الكلام أعلاه، بحكم انتماء جل إدو الحاج إلى حجاج قدموا من أعماق المغرب في نزوح أعتبره الأخباريون المحليون نتيجة لضغط الحركة الموحدية التي كانت جيوشها تنهي آخر المعاقل الكبرى للمرابطين بالمغرب. أما أولاد الحاج أعل الذين ينتمي إليهم عبد الله بن سيد محمود، فيعتزون بمحتدهم اللمتوني ويعلنون نسبهم إلى أمير الحق يحي بن عمر اللمتوني.وبذلك يصرح عبد الله بن سيد محمود في ترجمته لوالده سيد محمود نقلا عن عبد الله ابن ابراهيم العلوي، مانصه: ((... ولي الله تعالى سيد محمود الحاجي بتشديد الجيم نسبة إلى جده حاج بيت الله ينتسب إلى يحي بن عمر بفتح العين وسكون الميم اللمتوني وهو الذي يقال له ملك الحق بكسر لام ملك، أخو أبي بكر بن عمر نزيل أم لعويتكات من أرض تكانت)) .
ويقول الشيخ موسى كمرا ، نقلا عن الشيخ سيديا بابه ، مانصه: ((ومن صنهاجة كثير ممن في هذه البلاد من الزوايا(...) فمنهم من يصرح بتلك النسبة خلفا عن سلف مثل تجكانت وتندغ وإيديجبة (...) وحدثني الثقةعن جماعة من أكابر إدوالحاج الشرقيين أنهم من لمتونة (..) والمرابط الذي يلقب به كل زواي، ولاسيما إن كان ذا نسب وعلم أو فضل، قد يكون دليلا على أنه أصل الزوايا من صنهاجة لأنهم يسمون بالمرابطين سماهم به مهديهم عبد الله بن ياسين لأصحابه الأولين للزومهم رابطته ثم صارت اسما لعامة صنهاجة ...)) وهذا الرأي ساقه الشيخ كمرا تعليقا على الكلام الوارد في الرسالة الغلاوية اعلاه فتأمل

راجع تفسيرا شاملا لتاريخ المرابطين ونقدا للطروحات الغربية في: ولد السالم(حماه الله): الأصول الفكرية لحركة المرابطين، ضمن كتاب تاريخ موريتانيا . منشورات مخبر الدراسات التاريخية بجامعة انواكشوط. 1999 . وانظر كذلك: ابن خلدون، العبر :6 : 181-189. (طبيروت- دار الفكر،1979) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب: الجزء الرابع .البكري(ابوعبيد) كتاب المغرب... (ط باريس. 1965) 164-170. الونشريسي، المعيار المغرب: ج10:-450.449 الشيخ موسى كمرا ،المجموع النفيس (مخطوط) وعبد الله بن سيد محمود الحاجي، النبذة (سبق ذكرها).

ووقفنا عليه في التواريخ، وثبت بالنقل لدينا عن من قبلت روايته وكملت درايته.

أن بني الحاج[213] والوتيدات[214] من صنهاجة[215]. وإد يعقوب[216]، ينتمون إلى يعقوب[217] بن العاقب[218] بن عقبة المستجاب[219]. وإدوبج[230] ينتمون إلى إيديشل[231] وأمهم من

---

[213]- راجع الهامش السابق.

[214]- راجع الهامش السابق.

[215]- صنهاجة : هم إزناكن(في النطق الأمازيغي)، وهم مع مصمودة (إمصمودن) وزناتة يكونون المجموعات القبلية الكبري في المغرب الكبير. ومواطنهم متفرقة . والمقصودون هنا هم صنهاجة الصحراء الذين قامت على أكتافهم دولة المرابطين في صحراء الملثمين -موريتانيا اليوم-والمغرب والأندلس .ومن أبرز قبائلهم كدالة ومسوفة ولمتونة ، وهؤلاء ينتسب إليهم أولاد للحاج اعل :إدوبج، لوتيدات وهو مايقصده المؤلف هنا.راجع :أحمد التوفيق ، التعليق رقم(81) على متن التشوف ، للتادلي. عبد الله بن سيدي محمود ، التقييد في نسب أولاد الحاج اعل"أسميناه رسالة في نسب لدولحاج الشرقيين"،(مخطوط)،إبن خلدون، العبر : 6:181-183(ط.بيروت، 1979). إبن عذاري ، البيان المغرب :4: 1-8 ، الإدريسي ، نزهة المشتاق (قطعة حول القارة الإفريقية والأندلس)، تحقيق إسماعيل العربي :125-128، الأنصاري للدمشقي ، نخبة الدهر :315-316، البكري ، المغرب : " ذكر الطرق إلى بلاد السودان".
لفسكي ، دور الصحراء الكبري ... ضمن :تاريخ إفريقيا العام ج3 ص ص309-348 .

[216]- إد يعقوب: أي : أبناء يعقوب ، ويعرفون أيضا في النطق المحلي الدارج بـــــــ"إدياقب". جمهورهم في منطقة العصابة وبعضهم في آدرار حاليا.حول تفرعاتهم الأساسية راجع : إبن حامد ، (إدولحاج) :4 :، الجغرافيا : 49.

[217]- يعقوب: أحد الحجاج الأربعة الذين هاجروا من أغمات إلى الصحراء أوائل القرن السادس الهجري (م) تحت ضغط الزحف الموحدي ضد المرابطين وشيعتهم . راجع : إبن حامد ، (إيدولحاج) : 4: 1-6 ، إبن بلول ، رسالة في نسب إدولحاج.

[218]- العاقب :هو خا مس أبناء عقبة (عياض ، موسي ، عثمان ، أبو عبيدة) حسب رواية بوي أحمد بن الشريف المختار بن بوعسري في مصنفه ، ساطع الإنارة : (مخطوط) ، وجاء في رواية البرتلي (فتح الشكور : 136) أثناء ترجمة سيدي محمد العاقب بن سيدي الهادي الولداني ذكر نسب جده يعقوب على غير ماجاء في الغلاوية ، حيث قال :«يعقوب بن محمد بن الفقيه محمد بن الفقيه محمد هنضلفغ بن الحاج ...» ولم يرفعه إلى عقبة ولعله اقتصر على الطبقة التالية من النسب الذي يجمعه مع كنتة.

[219]- عقبة بن نافع: [-1ق هـــ - 63 هـــ / 621-683 م] ، عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي الفهري، فاتح عظيم، مؤسس مدينة القيروان سنة 50. ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولاصحبة له. يتصل نسبه بعمرو بن العاص من ناحية أمه، وإلى هذه القرابة يرجع الفضل في قيادته لجيوش للفتح بالمغرب، إذ كان عمرو يقدره ويثق فيه. قاد حملة كبرى أثخن خلالها في البربر حتى بلغ المحيط غربا. أستشهد في تهودة (الزاب) بعد أن تقدمته العساكر إلى القيروان، وبقي في عدد قليل ، فطمع به البربر والفرنج، فاطبقوا عليه، فقتلوه ومن معه ،ودفن بالزاب. رلجع :إبن حزم، الجمهرة :163 و178، إبن

الوتيدات. أما ما نعت به إيدوالحاج ــ الذين هم إيدوالحاج[232] ــ فحق، ولكنه فيه متشبع بما ليس له. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:" المتشبع بما ليس فيه كلابس ثوبي زور"[233]. ثم هم وإن تمدحوا بالكرم والعلم، فليس لهم فى التمدح بالشجاعة والنجدة والبأس سلف، ولم يقم بتجديده فى الأحداث خلف. بل وقع الحرب فى القديم بينهم وبين ماسنة[234] بتيشيت[235] أزمان كانوا تحت كنفهم حلفاء لقبيلة ما ماسنة، وكانوا أهل طيش، فأوقعوا الحرب

الأثير أسد الغابة : ، إبن حجر ، الإصابة : ، إبن عبد البر ، الإستيعــاب : 1830، إبن عذاري ، المغرب :1 :20-22 ، إبن عبد الحكم ، فتوح مصر وإفريقية:198و218 .الزركلي ، الأعلام :4 :241 .أبو العرب ، طبقات علماء إفريقية ص158.

[230]– راجع الهامش السابق.

[231]– إديشلي : من قبائل الشوكة فى آدرار ، وقد شكلوا عنصر المعارضة الرئيس –تقريبا –فى إمارة آدرار, كما كانوا فى طليعة قبائل الصحراء التى ناهضت الزحف العربي الحساني عندما بلغ مشارف منطقة آدرار من الشمال الموريتاني الحالي .ويفهم من الرواية المحلية أنهم كانوا فى مقدمة التشكيلات ذات الصولة فى المنطقة بعد المرابطين. ولعل المؤلف هنا يشير إلى الصلة القديمة بين إدولحاج وادان وإيديشلي آدرار بحكم المجاورة وغيرها من العوامل : راجــع: إبن حامد ، 3 /25 ، الجغرافيا :36 – 38.

[232]ــ يقصد المؤلف هنا إدوالحاج الأصليين حسب رأيه .

[233]– راجع الإصبهاني أبو الشيخ ، كتاب الأمثال: 39 /ط.الهند .ط1 / 1982، متفق عليه. راجع: البخاري، كتاب النكاح، باب: "المتشبع بما لم ينل".

[234]– ماسنة : هم ماسنه الموجــودون فى تيشيت ولعهم أول من عمرها. (السعدي ، تاريخ السودان : 22) واغلبهم من أصول مرابطية : كدالية ومسوفية مع تسرب للدماء الماندانغية إلى بعضهم. وقد سبق للشيخ سيدي محمد الخليفة ، فى رسالة منه إلى أهل تيشيت بشأن تقسيم المداراة، أن صرح : «بأنه قد تحصل عنده أن ماسنة هم أهل الدار والجدار وأن من سواهم من أهل تيشيت اليوم هم الطارؤون عليهم وأن ماسنة هم أهل الدفع والجلب...». ويميز إبن حامد (الجغرافيا :50) بين نواة ماسنه :أهل الأمين بن الحاج ، وأولاد كابيه ، وأولاد أنيايري ،إيقارن ، أهل أنبتني ، أهل لبيو , والحلفاء وهم :لحنوشة من الاغلال ، وأهل أمبوجه من إدوعلي وأهل محمد بن سيدي الشريف المعروفون بشرفاء ماسنه. والراجح أن ماسنة تيشيت من أرومة صنهاجية أختلطت بالسودان ، ثم تعربت جملة ، ولعل ذلك هو مادفع الإداري الإستعماري بول مارتي ، كنتة الشرقيون : 30 ، إلى الجزم بأنهم مجموعات مهجنة بين البيضان والزنوج حسب تعبيره الذي لايخلو من نفس طروحات السيسيولوجيا الاستعمارية.
راجع أيضا هارون بن باب ، كتاب الأخبار :168 . بوي أحمد ، ساطع الإنارة (مخطوط)، حسن الوزان، وصف إفريقيا : 2 :115ـ116 ، Minie(j),Vills Ancienn;P57

[235]– تيشيت :أنظر الهامش السابق.

في ما بين تلك القبيلة وبين سائر ماسنة، فانهزموا وقتلت من إدولحاج مقتلة عظيمة يزعم أهل تيشيت أنهم طموا على أشلاء جماعة وافرة منهم بيرا بصفات عظيمة[236].

وخرج باقيهم إلى وادان[237] واسمه إذ ذاك" أنولان" معناه بالبربرية ذو الملاحس : أي التي ياوي إليها الوحش من سباخ اليطرون.

---

[236]- لم نستطع تحديد تاريخ هذه الصراعات، إذ لم تذكرها أي من المصادر المتوافرة. غير أنه من الثابت أن الحاج عثمان قد دفن بإزاء مسجد تيشيت وترك بعض ذريته هناك. وهم أهل بوزو بن بواطبول وجدهم هو الذي ذكره السعدي (تاريخ السودان :169 ـــ 170 باسم)«بوز ابن أحمد اد عثمان» وأورد قصة مقتله في تنبكتو مع جماعة من الفقهاء والأعيان على يدي الباشا محمود بن زرقون وذلك يوم الأربعاء 24 محرم سنة 1002هـــ بعد أن تلكأ المعنيون عن بيعة المنصور السعدي.
وذكر البرتلي(فتح الشكور :74) في سياق ترجمة لبي بكر بن أحمد بن للشق المسلمي من أنه «ماقصر الصلاة قط إلا مرة واحدة لأجل الإتيان بإدولحاج من للنودلش [الاسم المحلي لمدينة آوداغست الشهيرة الموجودة في ولاية للحوض الغربي] لما أخرجهم ابن أخيار أنتاجو للماسني من تيشيت ... ».
ويمكن أن يكون هذا الخروج إلى النوداش هو الذي يقصده مؤلف الغلاوية . كما أن المصادر تذكر في سياق الحرب بين أهل وادان وأهل شنقيط في القرن(12م) أن بعض هؤلاء صالوا على قافلة عظيمة من إدوالحاج ((كانت خارجة من تيشيت)) الأمر الذي يؤكد على لن إدوالحاج كان لايزال لهم حضور يذكر في تلك المدينة.

[237]- ودان: حاضرة عتيقة تقع على بعد 100كلم تقريبا، إلى الشمال الشرقي من شنقيط ضمن منطقة آدرار من الشمال الموريتاني الحالي. دار علم عريقة، تعتبر مدرستها الفقهية من أمهات المدارس العلمية في البلاد بعد مدرستي ولاتة وتيشيت في الشرق الموريتاني. كما كانت مركزا تجاريا ناشطا على الطريق الرابط بين المغرب والسودان، حيث كانت مستودعا للملح المستخرج من كدية لجل، وقريبا من السياق الوارد في النص وصف الرحالة الأجانب حيويتها التجارية وإطارها للبشري للعام، مثل: كادا موستو، وفرنالدس، وزراة وغيرهم. ولم يرد أي ذكر لهذه التسمية التي أوردها المؤلف، ضمن أي من المصادر المتوافرة، بينما وردت التسمية العربية ودان بتحريف بسيط في رسائل البرتغالي زراره (**Zorara**) إلى الملك اخوان الثاني (1453) بصيغة أودام (Odame) إبان تأسيس المركز التجاري البرتغالي قرب المدينة قبل أن تتم تصفيته بفعل مقاومة السكان. والتسمية نفسها وردت في تاريخ السودان، 170/169 للسعدي ووصف افريقيا: 2:116، للحسن الوزان، أما للرحالة مارمول كاربخال، (افريقيا)(ق16م) فيذكر أن سكان ودان لعهده هم من الازير [-قبيلة أجر عند للسعدي: 32] وأنهم يخضعون للمجموعات العربية [الحسانية] المصاقبة لهم. وحسب رواية إدو الحاج –المحلية – فإن ((أولية)) عمارتهم لوادان ((أنه قدم عليه ثلاثة رجال فوجدوه لاعمارة فيه فشرعوا في تدريس العلم والغراسة للنخيل والبناء للدور حتى حصلت فيه قريته الموجودة حينئذ..)) ، والرجال المذكورون هم الحجاج الأربعة الذين هم أجداد إدوللحاج. راجع: ابن كتاب (المنهاج: 1) . وفي رواية للمختار بن بلول، (رسالة في نسب إدو الحاج) ص34. أن للحجاج المعنيين قدموا على قبيلتي تفرله وتامكونه وهما من

وهو يومئذ دويرات وأخصاص، تعمره تيزكه[238]، فاستوطنوه تحت كنف ابدوكل[239] أزمان دولتهم؛ فكانوا يدفعون إليهم زكواتهم ويعتقدون فيهم البركة، ويتوب من يتوب منهم على أيديهم، وهم فى غاية المسكنة وانكسار الشوكة والأشتغال بتعلم

مسوفة. وراجع : تحقيق فاطمة بنت أو لرسالة ابن ابلول المذكورة ، رسالة تخرج ، قسم التاريخ ، كلية الأداب ، انوكشوط ، 1997.

[238]- تيزكه: عدهم ابن حامد (الجغرافيا: 38) من بقايا البافور اللذين كانوا يعمرون آدرار حتى استأصلهم منه الفتح المرابـطي، وبقيت منهم فئات خاضعة .ومن بقايا تيزكه: أهل ابوصو واولاد أبيني، والأخشام، الكرافوه. وفيهم جميعا قلة. ومنهم من ينتسب في البراكنة ، والمفهوم أن اسم تيزكه تفصيح للفظ صنهاجي الأصل جذره : أزك، أزاك: بمعنى للخالص أو الصافي ومنه الأزكى (أزوكى) فلعلهم سكانها في القديم قبل لمتونة. وجاء في (البيان والاعراب: 57) للمقريزي ذكر قبيلة تيزكيك في عداد قبائل المرابطين، ولعل لذلك علاقة بما يذكره النسابة البربر من أن تيزكي أو تزكاي العرجاء هي الجدة الأولى لقبائل صنهاجة. ويؤكد للبحاثة محمد مولود بن داداه الشنافي رواية الغلاوية هنا، ويؤكد أن تيزكه في وقت مضى، كانوا قد استقروا في وادان قبل أن يطردهم إدوالحاج منه إلى أطار .راجع: التادلي، التشوف: تعاليق المحقق أحمد للتوفيق: ص106 (هامش 74)، ص185 (هامش379).
Channafi;Tegdawest p104

[239]-ابدوكل: يعتقد ابن حامد (التاريخ السياسي) أن ابدوكل فصيلة لمتونية وأنهم اسسوا أكبر الإمارات الصنهاجية التي ملكت الصحراء بعد المرابطين.

فكانوا يسيطرون على الشمال الشرقي من المجال الموريتاني الحالي قبل أن يدخلوا في حرب ضروس ضد قبائل بني حسان العربية الزاحفة من الشمال، والتي استطاع أولاد الناصر خلالها إنهاء سيطرة ابدوكل على المنطقة. ويذكر ان نهر السنغال الحالي كان في القديم يسمى بحر ابجك [ترخيم أبجكال حسب رأي المختصين في لسان الامازيغ] فلعلهم كانوا هناك، أو لعل التسمية ارتبطت بالفروع اللمتونية التي كانت تعمر المنطقة قديما قبل أن تهاجر إلى الشمال نتيجة لتفا علات حركة المرابطين. والتي أفضت إلى سيطرة الكتلة اللمتونية على آدرار، الذي أضحى يعرف منذ ذلك الوقت بجبل لمتونة.

ويرى الباحث وايتكنب **Wihit Comb;New evdences** و115 **P** ، أن بقاء تجمع بشري يصدق عليه اسم ابدوكل يمثل لمتونة أو المرابطين الخلص خلال القرن 9هـ/15م ، غير مؤكد . لكن من المفهوم أن يكون ابدوكل قد كونوا قبيلة أو اتحادية ليست بالضرورة متقاربة في الانساب. وهو ما يشهد عليه أصل تسمية المعنيين بوضوح، إذ يشتق اسم ابدوكل من أصل الفعل الصنهاجي[د ك ل] أي جمع، فابدوكل تعني إذن أولائك الذين اجتمعوا معا.

ولا شك أن هناك تفسيرات لغوية أخرى لهذا المصطلح. واجتهادنا أن التفسيرالأول يزكيه أن جل التشكيلات الصنهاجية في ذلك العهد كانت تقوم على أكتاف قبائل ليست بالضرورة من نفس الأرومة، وهو ما تشهد عليه أسماء لقبائل صنهاجية أخرى: إدوعيش (ادو يدر): أصحاب نحلة العيش الواحدة، والأمر نفسه يصدق على معنى اسم قبيلة إدغ شاتجي في آدرار. ومع أنه من الراجح أن ابدوكل كانوا فصيلة من لمتونة، إلا أنه من الواضح أنهم لم يكونوا يحوون جميع المنحدرين من المحتد اللمتوني، مثل تجكانت الذين كانوا آنذاك مستقلين وأقوياء في قصرهم المشهور "تنيكي" وكان من الواضح انهم مجموعة مختلفة.

العلم وتعليمه، حتى أنه ليقال، متى ما تشاجر اثنان منهم وتثاورا، قال كل منهما لصاحبه: لف رأسك حتى أحثوا عليك. فأنى يكون مثل هؤلاء كماة والكمي: البهمة الشجاع.

ثم وقع الحرب بينهم وبين إيدوعلي[240] فداسوهم وهزموهم هزيمة إثر هزيمة[241]، حتى أجمعوا على الجلاء من وادان، فقضى الله سبحانه وتعالى بقتل إدوعلي لكباد بن عبد الرحمن بن الأمين بن محم البوسيفي[242]، فصال عليهم من أولاد أبي سيف[243]

---

[240]- اخترنا هذا الرسم تقيدا بطريقة النطق الشائعة.

[241]- معظم المصادر المتوافرة تذكر أن هذه الحرب كانت سنة 1155هـ / حوليات تيشيت : 25 وكذلك صالح بن عبد الوهاب الناصري، وفيات الأعيان : 34 وتاريخ جد بن الطالب الصغير البرتلي الولاتي: 72. وابن اطوير الجنة : التاريخ: 63.
وكانت المعركة الأساسية في أعرارليط ، موضع بأدلفر من اجراديات على مسافة ثلاثة أيام من تجكجة. وقد انتصر أهل وادان في الحرب بعد أن حالوا بين أهل شنقيط وبين الماء حسب سيدي ابن للزين، كتاب النسب:8 وابن حامد، الجغرافيا وتاريخ ابن اطوير للجنة:ص63. وفي رواية ابن حامد، الجغرافيا: 207، (.. أن آعراريظ المذكور به كان لأهل شنقيط (إيدوعلي والاغلال) على أهل ودان (كنته وإدوالحاج) مات فيه أحمد المختار بن الطالب محمد بن المختاربن الأعمش وابن عبدي بن المختار العلويان. وأهم ما دون حول هذه الحرب هو ما كتبه ابن الامين، الوسيط: 497-502 وفيه يقول ما نصه: ((... كان سكان وادان، من قبيلة كنته وإدو الحاج، وكانوا كالشيئ الواحد. فوقعت الحرب بين أهل المدينتين، (...) وبعد تلك الوقعة [؟] التي تقدمت هزيمتهم فيها، صالوا على شنقيط أيضا، فذهب إليهم أحد علماء أهل شنقيط، ليفاوضهم في الصلح فقتلوه ومن معه من تلامذته. وكان اهل شنقيط لايذهبون إليهم، فإذا أتوهم أنذروهم. فإن لم ينتهوا قاتلوهم. فطلب ابن الشيخ المقتول من قومه أن يأخذوا معه بثأر أبيه فقالوا : لا نصول عليهم ما لم يوالفونا. ، فرجع القوم فذهب حتى أتى أهله فأخذ شيئا من صعاليكهم وغزا بهم قتلة أبيه. فوجدوا قافلة عظيمة من إدو الحاج خترجة من تشيت وقتلوا اهلها عن آخرهم، ونهبوا إبلهم. ثم إن إدوالحاج جمعوا جموعا كثيرة ، وحاصروا مدينة شنقيط ، فسافرت بينهم السفراء، ووقع بينهم الصلح، على أن يعطوهم مائة من كل شيئ، فتحملوا لهم ذلك ، ورهنوا لهم ما في تنوشرت من النخل فبقى النخل بأيديهم إلى الآن...)

[242]- لم نجد للمعني ذكرا إلا ما جاء في الوسيط: 501-502 وفيه أنه ((لما أراد كنته أن ينصروا إدو الحاج على إدو عل ، وقام بذلك ((كبادي)) وقعد وكان من رؤساء كنته. فحذرته امرأته من البغي وخوفته من إدو عل فقال لها: إن رصيصهم لايقتل، لأنهم لايجعلون في مدافعهم من البارود إلا أصبعين، فبلغتهم المقالة، فعرفه رجل من آحاد الناس وضربه (...) قالوا: وكان جعل مع باروده ذلك نواتين، عوضا عن الرصاص فمات كبادي المذكور من تلك الضربة ...))

[243]- أولاد بو سيف: من كبريات عشائر كنته. ويشمل عموم هذه التسمية أولاد بوسيف، وأولاد سيد عبد الوهاب، وأولاد سيد عبد المومن. ابن حامد ، الجغرافيا: 55-56.

فخذ كباد فألفوا إدولحاج على أوفاز، وعلى جناح قطاة فلاة أو باز. فكان ذلك السبب فى مقرهم بعد الإجماع على مفرهم من قصرهم.

هذا وقد هذى فى ما يختلق من الكذب والبذاء، بما حاصله أن إدولحاج قاطنون بوادان أزمان كون كنت فى كنف جاكان[244]، لايعدى عليهم فى قصرهم ولا يعتى، وأن كنته انما نالوا الغنى بصيرورتهم حلفاءهم، وفى جاههم تجروا إلى تكتا[245]. فيالله العجب من فرط جهله وسخافة عقله وجرأته على الكذب وستره وجه الجد باللعب ، بما غره من عزه الحادث الصائر إلى ذله الازم الماكث، أخذ يمخرق بأماني كاذبة وخيالات غير صائبة،

---

[244]- جاكان: هم تجكانت،أبرز قبائل المرابطين وأشدها شكيمة ومحافظة على دورها العلمي والسياسي في الصحراء خلال العهد الحديث . ينتسبون إلى جدهم جاكن أو آكر الأبر ((أحد الأربعين السادة)).. حسب الرواية المحلية، وأقدم ذكر لهذا الاسم في الشواهد المحلية وجد على ضريح المسمى " آكر إلا أن (بن) تيميت "ضريحة مشهود قائم في (لمريتى) في منطقة الحنك بأ قصى الشمال الشرقي الموريتاني الحالي ، وهو يعود إلى ماقبل الميلاد.

Notes Sur La grande sépulture d'el Mreiti (Mauritanie) p. 511 (p. 5)

في الفترة التي يناقشها المؤلف هنا كان سيد امحمد الكنتي الكبير [تميزا له على حفيده للمسمى باسمه] قد التحق بتجكانت ويبدو انهم استقبلوه بكل التقدير، وفي تنيكى ترعرع ابنه وخليفته سيد احمد البكاي بين اخواله الجكنيين أيضا، وبما انه هو الأخر تزوج في تجكانت فإن أبناءه ترعرعوا في تنيكى. وبما أن سيد محمد الكنتي الصغير تزوج، هو الأخر ، جكنية كما فعل والده وجده، فإنه من المحتمل تماما أن يكون أبناءه المبعة وابنته قد عاشوا في أحضان أخوالهم كما هو حال أسلافهم من قبل. وهي صلات طبيعية بحكم المجاورة والمصاهرة ولاتعني إطلاقا أي هيمنة من سكان تنبكى على المجموعة الكنتية أو العكس حسبما يرى ذلك (Wihit Comb) ، نظرا لأنه لم يرد- على حد العلم- في الرواية الجكنية ما يؤيد هذا الزعم. لكن مؤلف الغلاوية صريح في ذكر انتساب إيديعقوب ((الجكنيين)) إلى عقبة فلعل الصلة من هذاالوجه أوضح . راجع: ابن حامد، ج6: ص1، الجغرافيا: 41-42،

Marty (P) les tribus Maures du Sahel et du Hodh ;PP 365-366 . Abitbol (M); toumbouctou; P 186 . Wihitcomb ; op-cit M (2); 409-412.

[245]- تكتا: نسبة إلى تاكتا البمباري حاكم بلاد بمبارة في زمانه. نبهنا إلى ذلك الاستاذ ددود بن عبد الله.

فان الجواهر لاتزول بالأعراض والأرواح لا تضمحل بالأمراض.

وقوله: "وإذا كنتم فى كنف جاكان قصرنا مشيد....... إلخ مخرقة من عبد الله واختلاق بمالم يجر به قلم الله. حيث أصاب قوما جهالا ودولة ضائعة رقابهم إلى الذل مستكينة خاضعة، لايقومون لله بحق ولايرغبون إلى إخلاص فى الدين وصدق، يرون أن عبد الله رب لهم. فملك الأمر وتسلط فيه تسلط ربوبية يبطش بطش الجبابرة العتاة فى اهل العبودية، يعطل الهدى ويحكم بالهوى، يأخذ الأموال من غير حلها ويضعها فى غير محلها.

فهو رأس فرقة النابذة لأمر الله العاملة بغير ما أنزل الله، يري حزبه أنه يستخير فى الأمر النائب، ويستشير كحال المنيب الدائب فيبيت امرا أوحاه إليه الشيطان، وزورا من القول ما انزل الله به من سلطان، وله على ذلك من شيعته أنصار وأعوان، ومن إدوعيش[246] الفجرة أصهار وأخدان، فيبيتون مابه يبهتون، ونسو أن الله يكتب مايبيتون، فيسفر عنه وعنهم، وقد فرحوا بمابه من الظفر يجزمون، ولسان نصر الله لكنت يتلو: {أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون}[247]، فيدور على الأحياء دورة دورة، يتلوا عليهم أكاذيبه

---

[246]- راجع الهامش السابق.
[247]- الآية.

سورة سورة. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ويضاعف لحزبه اللاجئ إليه نصره وحبوره، ثم يجمع عبد الله من يدل عليه أو يدلي بسبب إليه فيعدهم ويمنيهم وينشدهم أباطيله ويغنيهم، ويحثهم على الإنتصار فى الغد ويحضهم، ويامر الحاضر أن يعلم الغائب ويحرضهم ويمنيهم بالظفر على شرط يعقده، بفقد الشرط يعدم المشروط ويفقده، فإذا طلع الفجر واستطار وانسلخت ظلمته الليل بضياء النهار، ولم يوجد لما أخبر به أثر ، بل كان عليهم لالهم الظفر، لم تفده مخرقته وكذبه وحذلقته إلا توغير صدور الأحباب بما القى إليهم، وتنفير قلوب الأصحاب بما بث لديهم. ذلك عقب من ترك الإقبال وأدبر، وعقاب من أعرض عن الحق واستكبر، ولم يقتصر فى اذاه ومينه على من حضر، بل عداه بجهله وبغيه إلى من سلف وغير، ممن لو كان ذا عقل وبصر، أو جد قام وما عثر، ما اجراه على خاطره بهذا المجال، ولتحاشاه تحاشي الاحتشام الإجلال. ولكنه إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه، إنما يكرم الكريم الكريم. ثم إن من أدل الأدلة على فساد قلبه الذي يفسد بفساده سائر الجسد، وخبث ما أضرته فيه طوية السوء وأضمرته نار الحسد، هذيانه بدخول سلف كنتة تحت كنف سلف

تجكانت زمن عمارة إيدولحاج لودان. وهذه سفسطة تردها شهادة استحالة ما بني عليه شكل سفسطته.

إذ كنته[248]، بإجماع أولي التواريخ ، نشأوا بالقيروان[249] وبه روضة جدهم الأعلى في الإسلام عقبة المستجاب بن نافع[250] الذي فتح الله على يده قطر إفريقية[251] إلى غانة[252] إلى برك الغماد[253] المدعو الآن بزكزك[254].

---

[248]- راجع الهامش السابق.

[249]- القيروان :على بعد ستة وثلاثين ميلا من البحر كانت قاعدة الفتح بافريقية و أول من مصرها عقبة بن نافع وكان رأى ((أن افريقية [إذا دخلها الإمام] تحوموا بالإسلام ، فإذا خرج منها رجع من كان أسلم بها، وارتد إلى الكفر، وأرى لكم -يامعشر المسلمين- أن تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرا وتكون عزا الاسلام إلى آخر الدهر)) راجع: النويرى، نهاية الأرب: ص68 (م) مخطوط: ذكره حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب: 140 وانظر: الإدريسي، 185-186، الحسن الوزان، وصف افريقيا:120.

[250]- في الاستيعاب: لابن عبد البر في ترجمة عقبة بن نافع،قال: ((يقولون كان مستجاب الدعوة)) وتروى المصادر أخبار كراماته ودعواته المجابة. راجع مثلا: البكري، المغرب:13-14 .ابن عبد الحكم، فتوح:194-196 وخلافا لما جاء في الغلاوية، فإن المصادر تكاد تجمع على أن عقبة بن نافع قد استشهد بتهوده وبها دفن بعد معركة غير متكا فئة ضد البربر والروم. راجع: ابن الأثر، أسد الغابة 4-34المالكي، رياض:9، ابن خلدون، العبر: 418 :6، السلاوي، الاستقصا1 : 78-79 مؤنس، فتح العرب للمغرب:197-198.

[251]- المنطقة التي تشمل بشيء من التجوز، المجال التونسي الحالي وما يلاصقه غربا من التراب الجزائري. وكانت في القديم ولاية رومانية، ثم أصبحت من قواعد الفتح الإسلامي حتى ملكها. الأغالبة واستقلوا بها باسم بني عباس، وهم الذي اعطوا لفضائها السياسي شخصيته المميزة. وللمؤرخين نقاش مستفيض حول اشتقاق اسم افريقية ومد لولاته: راجع: الطالبي، الدولة الأغلبية:137 وما يليها.

[252]- غانة : هي لسان البربر الغابة أو التخوم الغابوية عموما وخلال الفتح الاسلامي للشمال الإفريقي كان هذا اللفظ يعني المملكة السودانية التي تملك الجنوب الشرقي الموريتاني الحالي لاسيما منطقة آوكار في بلاد الحوض، والمجال المتاخم له جنوبا نحو النيجر. وقد وصفها الرحالون العرب في سياق اهتمامهم ((ببلاد الذهب)) ومسالك القوافل المؤدية إليها. راجع: البكري، المغرب: والإدريس، نزهة المشتاق (النص المقتطف).

[253]- برك الغماد : هو في الاصطلاح العربي القديم لفظ يشير لمنتهى المعمور، وهو لذلك غير ثابت المعنى بحكم تغير الأزمنة والبيئات، والمفهوم أن المؤلف يقصد هنا الحد الأقصى لبلاد الإسلام في نيجيريا الحالية وفق معارف الكتاب الصحراويين آنذاك.

[254]- تقع في غرب نيجيريا الحالية. وصفها في بداية (ق16م)، الحسن الوزان، فقال: ((هذه البلاد تتاخم كانوا من جهة الجنوب الشرقي، لكنها تقع على بعد نحو خمسين ميلا من كاتسينا سكانها أغنياء يتعاطون

وخلف ابنه العاقب[255] ببيرو المدعوة الآن بولاتة[256]، وقبره بصحن مسجدها[257] الذي هو بانيه.

وقفل عقبة بمن قفل معه من غزوته وغيرها مقتفيا قطر التكرور[258] يفتتح مدنه وقراه، مدينة مدينة وقرية قرية[259].

التجارة في المنطقة كلها (...) وكان في هذه البلاد ملك مستقل إلا أن الأسكيا (ملك الصونغاي) قتله واستولى على ملكه هو الأخر...) ، راجع: وصف افريقيا: 2: 174.

[255]– العاقب: راجع الهامش رقم (221)

[256]– اجتهادنا انها تصحيح حساني للفظ إيولاتن: وهو اسم المدينة في لغة التوارق (الصنهاجيين) و معناه في لغتهم :سفح الجبل، أي أنها أخذت التسمية من الموقع الجغرافي للمدينة، حيث بنيت عند سفح الجبل للواقع إزائها، إتقاء ا لزحف الرمال والسيول الجارفة. وقد ترددت هذه التسمية في المصادر العربية الحديثة. كما ورد ذكرها في بعض المصادرالشرقية خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م) . أما التأسيس الأول للمدينة فيعزى إلى المسلمين السوننكه الذين فروا من غانه أمام أمام زحف سومانكورو كانته قائد الصوصو، وهي فترات لانعرف عنها شيئا. راجع: ابن بطوطه، الرحلة: ص442 . المقري ، نفح الطيب: 3– 112. الوزان ، وصف افريقيا: 2: 161، ابن خلدون: 4:   ، الشنقيطي، الوسيط: 459، ابن حامد، الحياة الثقافية: 211 .ولد الحسن، الشعر الشنقيطي: 67 . النحوي، بلاد شنقيط: 68.

[257]– انهار هذا الجامع سنة 1114، وقد جرى ترميم جزء من الجامع بعد ذلك وجاء في حوليات النعمه ص14 أن سقوط مسجد ولاته في 1233هـ وفي تاريخ جدو: جاء ذكر هذا الحدث بنوع من التدقيق بما نصه: ((وفي العام الثالث والثلاثون [ومائتين وألف] (...) جاءت سحابة عظيمة يوم الثلاثاء بين الظهر والعصر لتسعة ليال خلت من شوال وسقط مسجد ولاته كله سقوطا شديدا لم يبق منه إلا منارته ومحرابيه وذلك من لطف الله الخفي لتعذر بنائهم واجتمع أهل ولاته كلهم على بنائه وفي اليوم الحادي والعشرين على سقوطه تم بنائه)) ويغض النظر عن بناء هذا المسجد على يد العاقب، فإنه لم يرد، حسب العلم، أي دور لعقبة بن نافع في بناء مساجد الصحراء . حيث جاء في للمغرب: للبكري، رواية عن الشيخ صالح بن لبي صالح أنه لم يصح لديه أن عقبة قد بنى أيا من مساجد المغرب باستثناء مسجد بنفيس وآخر بالسوس...

[258]– التكرور: في الأصل علم على إمارة سودانية كانت عاصمتها تقع على ضفة نهر السنغال غير بعيدة عن مصبه، وقد أسلم سكانها مع ملوكها في أوائل القرن الخامس (11م) وشاركوا في بواكير الحملات للمرابطية. وقد توسع المشارقة في إطلاق عبارة التكرور على كل افريقية المسلمة، ويذهب الباحثون بهذا الخصوص إلى لن المشارقة في مصر والحجاز، كانوا أول من حور دلالة الإسم، ويفترض أن السبب في ذلك يعود إلى لن حجاج المنطقة الذين وصلوا إلى المشرق بأعداد تكفي لتمييزهم كمجموعة مستقلة، قد يكونون وصلوا من إمارة التكرور. التي كانت من أول الدول السودانية إسلاما وتنظيما لركاب الحاج. ثم توسع المشارقة في إطلاق للتكاررة (وأحيانا التكارنة) [وبلاد التكرور] على كل من يأتي من هذه الوجهة. وقد امتعض المنسا موسى (   ) عندما خاطبه أهل مصر بملك التكرور، وبي لهم أن الإقليم المذكور مجرد جزء صغير مملكته المترامية الأطراف . أما في عهد مؤلف الغلاوية فقد أصبح لصطلاح التكرور رائجا في الأدبيات المحلية والاقليمية علما على المجال الموريتاني في أقصى امتداداته التاريخية، تارة، وعلى غرب افريقيا تارة أخرى، أما أول من استخدم اسم بلاد التكرور أو التكرور وحده علما على المجال الشنقيطي [موريتانيا الحالية + أزواد+ الصحراء للغربية]، على حد علمنا ، فهو محمد بن لبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (ت)، في عنوان كتابه المشهور فتح الشكور في تراجم علماء

إلى أن بلغ صقع بور[260]، وفيه يومئذ الأوْرَبيُون[261]، فحاصرهم شهرا، ووقعت بينه وبينهم مقتلة عظيمة، استشهد فيها

التكرور، وفيه حدد صقع التكرور بأنه ((إقليم واسع ممتد شرقا إلى آدغاغ ومغربا إلى بحر بني الزنا قية وجنوبا إلى بيط وشمالا إلى أدرار)) ومهما اختلف الباحثون بشأن موقع (بيط) هذه، فإن المعاجم الأخرى تشير إجمالا إلى إلى مناطق معروفة، بل إن بعضها مثل [آدغاغ = أدرار الإفوغاس] ظل يمثل التخوم الشرقية القصوى لانتشار المجموعات الصنهاجية والحسانية التي أصبحت تعرف مشرقيا بالشناقطة ومحليا بالبيضان. راجع: ولد السالم، العلاقات الفكرية: (الفصل الأول): 10- 15 . ولد السالم، المجال والهوية موريتانيا ، المستقبل العربي ، العدد 216 (1997) ص 81-89 . البكري، المغرب: 168و 172، العمرى، مسالك الأبصار: 71 .ولد عبد الله، الحركة الفكرية: 24- 28. . ولد الحسن ، الشعر الشنقيطي ، 6-18

[259]- تسرد المصادر العربية بكل ثقة، مراحل حملات عقبة، وتذكر حملته في بلاد صنهاجة اللثام من مسوفه، لكنها تتحاشى أن تنسب إليه احتياز الصحراء جنوبا.

ابن عبد الحكم (فتوح: 198) يذكر أن عقبة غزا إلى ((السوس (...) واهل السوس بطن من البربر يقال لهم أنبيه فجول في بلادهم لايعرض له أحد ولا يقاتله)) أما ابن خلدون (العبر: 6: 108) فيذكر أن هذا الفاتح ((أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فا ثخن فيهم وانتهى إلى تارودانت وهزم جموع البربر وقاتل مسوفه من وراء السوس وسباهم وقفل راجعا ...)) ولاتقدم المصادر الأخرى، بوجه عام، أي جديد بهذا الشأن ولايزال الفتح العقبي للمغرب نفسه محل إشكال رغم اكتشاف مصادر جديدة مثلاًرواية صالح بن عبد الحليم في (كتاب الأنساب) عن دخول عقبة إلى المغرب وجولاته في بلاد هسكورة ووصوله إلى السوس وقفوله منه، في تفاصيل لاتخلو من دقة ((وقد سبق أن نشرلفى ابروفنسال هذه الرواية (العدد الأول من مجلة **Arabica** سنة 1954) واعتبرها أقرب روايات الفتح إلى الوقع وأبعدها عن الأسطورة، نظرا لاعتمادها على روايات الفتح إلى الواقع وأبعدها عن الأسطورة، نظرا لاعتمادها على روايات شفوية لذكريات أحداث محلية ...)) وقد أورد البحاثة أحمد التوفيق جانبا من هذا النقاش في أطروحته الشهيرة (المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: 58- 59، 86) وفيها نبه إلى أن ((التصديق بمثل هذه الجولة عبر الممرات والخوانق الجبلية الوعرة، وخلال كتل بشرية هائلة متنافرة متلاحمة ومن أجل نشر دين جديد، من الأمور التي تستدعي غاية الحرص والتردد)) ومن المنطلق نفسه يقرر الباحث محمد بن مولود بن داداه الشنافي أن المجموعة المسوفية كانت تنتجع حتى أطراف السوس (البكري:144)، مما يعني أن الجيوش العربية قد خضدت شوكة قبائل اللثام في تلك المنطقة أي في الطرف الشمالي لبلاد ((أنبية)) التي كانت تعني آنذاك صحراء الملثين.اوورد ذكر ((الأنبية)) هؤلاء في أخبار خملات أخرى انطلقت من السوس صوب الصحراء ويفهم أنها وصلت إلى نهر السنغال.

ومن أشهر هذه الحملات ما تحدث عنه أبو الخطاب الأزدي [ت 145هــ / 762م او 147هــ/ 764م] فقد اقتبس ضمن رواية الحملات من رواياته نقلها ابن الفقيه، العبارة التالية عن القائد العربي المشتري بن الأسود: ((غزوت بلاد انبية عشرين غزوة من السوس الأقصى فرأيت النيل [= نهر السنغال] بينه وبين الدجو الأجاج كثيب...)) والظاهر أن ما بقي من ذكر الحملات العقبية في الصحراء كان – بالأساس- نتيجة لما بقي من أصداء حملات أحفاد عقبة، مثل غزوة حبيب بن أبي عبيدة التي وصلت إلى مشارف آوداغست. في أ قصى الجنوب الشرقي الموريتاني. وكان حفر سلسلة من الآبار على الطريق نحو السودان، فلعل في رواية الغلاوية خلطا بين حملات عقبة وحفيده هذا. راجع: الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب:14- 15 و 73. ليفتسكي، دور الصحراء الكبرى: 342- 343 (تاريخ إفريقيا العام 320).

[260]- صقع بور:لم نعرفه .

من عسكره جم غفير وظفر بكسيلة الأوربي رئيسهم أسيرا فاستصحبه إلى القيروان، فبقي فى أسره زمنا، ثم اراهم من نفسه الإسلام وطلب مبايعة عقبة، رضي الله عنه بالإسلام والطاعة، وهو متهيئ لخطبة الجمعة فأطلقوا كسيلة ولايرون إلا أنه صادق وليس معه حديدة، فدب إلى عقبة وهو على المنبر، وكانت بينه وبين مايلبس مدية، فانخرط منه وطعنه بالمنحر، فخر لوجهه على المنبر ميتا، فؤخذ كسيلة وقطع شلوه هبرة هبرة وأحرق بالنار[262].

وخلف بعد ابن ابنه يعقوب[263] بن العاقب بن عقبة المستجاب، إلى أن توفي بالزاب[264] وقبره به مشهور يزار وإليه

261- هم أوربه : بطن من البرانس ، كانوا في طليعة المناهدين لجيوش الفتح في عهد عقبة وخلفائه . وعنهم يقول ابن خلدون (..كان التقدم لعهد الفتح لأوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عددا وأشد بأسا وقوة وهم من أورب بن برنس وهم بطون كثيرة ...)) وذكر حروبهم مع جيوش الفتح ثم إسلامهم وصلتهم بالأدارسة . راجع: العبر ...: 6 : 146 – 147.

262- تبعا للمصادر التي تحدثت عن الفتح العربي لشمال افريقية: استشهد عقبة بن نافع في معركة تهوده، في شمال شرقي الجزائر، بعد معركة خاسرة أمام كسيلة في حوالي سنة63هـ /682م ويوجد ضريحة في تلك المنطقة. وقد قتل كسيلة بعد ذلك في معركة مع خليفة عقبة في ((ممس))، غرب القيروان، حوالي 69هـ /688- 689م.

راجع مثلا: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وافريقية: 198- 199 ، ابن خلدون، العبر:6 : 146. ابن عذاري، البيان المغرب: 1: 21- 22 .

263- تراجع الإحالة السابقة.

264- الزاب: إقليم يمتد من الشرق الجزائري الحالي ليشمل معظم بلاد الجريد (في تونس) ذكره الحسن الوزان، وصف افريقيا: 2: 183) وقال: يبتدئ غربا من تخوم مسيلة، ويحده شمالا جبال مملكة جبال بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس (...) وهذه المنطقة شديدة الحرارة رملية، لايوجد بها إلا يسير من الماء (...) لكن عدد حدائق النخل بها لايحصى...) وذكر من مدن اقليم الزاب: بسكرة ، نفطة وغيرها مما لاتزال أطلاله شاخصة حتى اليوم.

يجتمع كنته وإيديعقوب من إدولحاج[265] ومن تجكانت[266]. ثم خلفه إبنه شاكر[267] مؤلف المدخل، وقبره مشهور يزار بالقيروان، وإليه تجتمع كنته والمحاجيب[268].

---

[265]- راجع الإحالة السابقة

[266]- جاء في كتاب ساطع الإنارة (مخطوط) نقلا عن "إنارة المبهم" أن ((محمد مسلم و سيد محمد الكنتي جد كنته و يعقوب جد بني يعقوب القاطنين بوادان من ولد رجل واحد وهو عقبة المستجاب. (...) [رواية عن] الشيخ سيد احمد ليد القاسم إمام وادان (. . .) أن بني سيد امحمد الكنتي وبني محمد مسلم أهل تيشيت وبني يعقوب من إدو الحاج أولاد لرجل واحد وكذلك الزلامطة من تجكانت بلا شك...))

[267]- شاكر: جاء في رواية أخرى للمؤلف (الطرائف: ...) أن شاكر لقب لورد ابن العاقب: "وأقدم إشارة إلى هذا الإسم ما ورد في رواية ابن عذاري (البيان: 1: 27) وهو قوله: ((ثم رجع عقبة قا فلا إلى المغرب الأوسط، وسلك على ليغيران يطوف، ثم ثم إلى تارنا ثم إلى موضع شاكر، وترك به صاحبه شاكرا...)) ولعل عقبة قد تركه ليعلم للبربر شرائع الإسلام. وقد سمى عليه رباط من أشهر رباطات المغرب [رباط شاكر] . وذكر محقق كتاب التشوف، الأستاذ أحمد التوفيق، أن المعلومات الواردة في التشوف عن هذا الرباط ((هي من أصح ما نتوفر عليه وأقدمه)) وذكر أن ((محله اليوم قرية تسمى سيد شيكر بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط حيث كان اجتماع صالحى المغرب ولاسيما في شهر رمضان من اجل ختم للقرآن حيث كانت منابر الوعظ من أجلنشر الاسلام وتثبيته في أوساط المصا مدة وغيرهم . ورباط شاكر واحد من رباطات نشأت على هوامش المنطقة السهلية التي تحتلها قبائل برغواطة التي وردت الأخبار بأنها كانت تتبع نحله مخالفه لشعائر الإسلام لمدة تزيد عن ثلاثة قرون سابقة عن الموحدين...)) أي على عهد فتوحات عقبة وخلفائه . ولعل ورد كان أحد مرقادي هذا الرباط، بحكم وجهته العلمية والدينية فخلط مترجموه بين اسمه واسم الرباط المذكور، وهو أمر محتمل تماما. أما ما ذكره (Wihitcomb) من أن شاكر تعريب للإسم الصنهاجي "آكر" فذلك مجرد تمحل، لعدم المناسبة في الزمان والمكان والسياق الاجتماعي.

[268]- المحاجيب: يقول عنهم ابن حامد (المحاجيب:1): ((يطلق هذا الإسم على ثلاث قبائل تظاهروا وتعاقدوا في ولاته، وهم أولاد الفقيه عثمان بن محمد بن يحي بن ينومن، ثانيا: آل أند اعليه، ونسبهم إلى محمد ابن الحنفية، وهم أخوال المحاجيب وقضاتهم قديما وأولهم قدوما على ولاته وتازخت، ثم صاروا إلى تمبكت، الإما مات ونسبتهم إلى سعيد بن العاص الصحابي، كانوا يقومون بإمامة الصلاة حتى انقرضوا...)) وحسب الوثائق التواتية [–توات] فقد وصل المحاجيب إلى توات عام 675هـ (؟) في سياق لانعرف عنه شيئا! . وتحدث ابن بطوطة (الرحلة) أثناء زيارته لولاته، عن لقائه بالقاضي محمد بن ينومن أو ينومر[أو:نتومر]، فلعله الجد الأعلى لأولاد الفقيه هؤلاء لمشاكلته له في النسب والنسبة والموطن! وذكر ابن حامد أن اسم المحاجيب كان في الأصل خاصا بأولاد الفقيه عثمان ((لأن نسائهم لايتزوجن من الأجانب ولايخرجن من البيوت...)) وحسب الرواية الكنتية [الواردة في رسالة الشيخ سيديا في جواز تعليم الأجنبية] فإن الشيخ سيد احمد البكاي كان هو الذي فرض الحجاب على نساء ولاته عندما قدم المدينة في القرن التاسع الهجري. لكن هناك رواية أخرى يصرح فيها المحاجيب بإنتسابهم إلى المحتد الفهري، الذي ينتسب إليه عقبة بن نافع جد الكنتيين ، ويرد ذ لك في قصيدة للديسفى الجكاني (ق8 هـ) :

إذا كنت جوالا بأرضك تبتغي ... منازل بعض الصالحين ذوي الذكر
عليك بأ بناء الفقيه المجدد ... وأبنائه الغر الأكارم من فهر(...)

ثم وقع العبيديون[268م] بإقليم إفريقية[269] وقعة النباح[270] فخـــرج ابنه يهس[271] واسمه عبـــد الله ببقية ولده إلى شرق الجريد[272].

فأقام بهم ببادية ظهر شيخا مربيا عالما، ذا اتباع وشيع، متجرهم ومدارهم تلمسان[273] أيام ولاية أبي عنان[274]، فبقي هناك

وهوما يتفق مع رواية (المحاجيب :1) ، للجغرافيا: محمد ابن امبارك: تاريخ توات [ذكره فرج محمود فرج] اقليم لتوات:33. المحجوبي الولاتي ، منح الرب الغــفور (مخطوط)

[268م] – نسبة إلى عبد الله المهدي، وأول الخلفاء الفاطميين في افريقية ومصر [4ربيع الأخر 297 – 14ربيع الأول 322/ ديسمبر 909–مارس933م.] ولذلك كانت دولتهم تعرف في المصادر السنية ((بالدولة العبيدية الشيعية)). وعرفت كذلك بالدولة الفاطمية لأنتساب المعنيين إلى الفواطم. راجع: ابن عذاري، البيان:1: 124– 128 . القاضي النعمان، افتتاح الدعوة (مواضع مختلفة)، الدشراوي، الخلافة الفاطمية، للطالبي، الدولة الأغلبية: (610وما يليها).

[269]– إفريقية: راجع الهامش رقم (244)

[270]– وقعة النباح: لم نجد ذكرا لمعركة بهذا الإسم في ما بين أيدينا من المصادر الإسما عيلية (الشيعية) والسنية لهذا العهد. غير ان المعارك التي قادها العبيديون، قبل قيام دولتهم وبعد قيامها، معروفة، فمن (المعارك المشهورة: إيكجان، [جمادي الآخرة 290/ ابريل902]، الأربس[جمادي الآخرة 296/ فبراير909] والأرجح ان تكون معركة: فحص الرماح: [ربيع 907/294]، هي المقصودة ومن السهل أن يتحور لفظ الرماح إلى النباح أو ما يشاكله، بفعل أيدي النساخين. وإذا افترضنا أن في النص اضطرابا صوابه: ((ثم أوقع العبيديون بإفريقية وقعة رياح [أو: الرياح])) فيكون الأمر متعلقا بحروب قبيلة رياح الهلالية مع بني زيري وهم خلفاء العبيديين . ثم إن الإقامة بالقيروان لم تعد مأمونة بعد سنة 444هــ نظرا لظهور العرب على أطراف البلاد وهو ما ينسجم مع منطق النص. راجع: افتتاح الدعوة، للقاضي النعمان:181 ومايليها. ابن عذاري، البيان:1: 288. الدشراوي، الخلافة الفاطمية:136.

[271]– من الإشارات النادرة عن العقبيين في العهد العبيدي، ما جاء في (البيان: 180) إبن عذاري، في حوادث 305هــ حيث ذكر وفاة ((أبوجعفر أحمد بن محمد القرشي المعروف بالمغرباني من ولد عقبة بن نافع الفهري، وكان من أهل الزهد والعبادة، وله سماع كثيرمن سحنون...)).

[272]– شرق الجريد: من الشطوط الصحراوية في الجنوب التونسي الحالي. ولعله يقصد قسطيلية أي بلاد الجريد وهي حسب الوزان: ((تمتد من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، ويبعد جزء كبير منه عن البحر المتوسط...)) الوزان (وصف افريقيا:2: 142. ويبدو هذا الإنتقال نحو الجنوب مفهوما تماما بحكم ما جلبه الحكم الفاطمي إلى افريقية من قلاقل وصراعات ولاسيما بين القبائل الصنهاجية والزناتية التي كان يضرب بعضها ببعض، ثم إن إقامة من ينتسبون إلى عقبة بن نافع الفضاء السياسي الأموي عموما بين ظهراني الشيعة الاسما عيلية أمر غير وارد. الأمر الذي يجعل رواية الغلاوية هنا منسجمة من الوجهة التاريخية . راجع مثلا: ابن عذاري، البيان:1: 165، والقاضي النعمان، افتتاح الدعوة: 222–224.

[273]– تلمسان: في أقصى المغرب الجزائري الحالي. من كبريات حواضر المغرب الإسلامي ، لعبيت دورا خطيرا في التاريخ السياسي للمغرب الوسيط، حيث توالى عليها سلطان الخوارج [من زناتة]

إلى أن توفى بمستغانم[275] وقبره هنالك مشهور يزار، ثم خلفه ابنه دومان واسمه عمرو[276]، وكان عالما زاهدا ورعا مربيا.

انتقل أيام فتنة ابن الأحمر[277] بحشمه وغاشيته إلى توات[278] فتوفي ببلاد أمزاب[279] [بميم وزاي وألف فباء موحدة: لفظة عجمية]، قبل الوصول إلى توات وقبره هناك معروف يزار.

الملثمون [المرابطون –صنهاجه] الموحدون ثم بنوا عبد الواد والحفصيون المرينيون وحاول المرينيون الاستيلاء على تلمسان بين 1299 و1307م قبل أن يدخلوها في سنة 1337م وطوال السنوات التا لية لضحت تلمسان مركزا لتجارة الأربيين وتجارة للمغرب، بحكم انفتاحها على تجارة السودان والصحراء. راجع: الإدريسي، النزهة: 149 (وتعليق المحقق رقم30)، والوزان، وصف لفريقيا:2:17-18

[274]– لبوا عنان: فارس المتوكل [749-759/ 1348-1358م]، انتحل اللقب الخليفي لأنه –حسب رأيه– لم يكن أقل شأنا من أ مير تونس الحفصي الذي حمل لقب الخلافة أيضا بويع في تلمسان في حياة أبيه يوم الثلاثاء عام 749 ومات مقتولا خنقه وزيره الحسن بن عمر . تنكب وجهة الأندلس وحاجة اهلها للعون وولى وجهه شطر المغرب الأوسط وسلاطينه الزيا نيين. نهض بجيوشه إلى تلمسان واستبسل في الحرب وتمكن من انزال هزيمة ماحقة بخصمه أبي تاشفين بن زيان في أحواز تلمسان في 14 يونيه 1352، واعقب ذلك بدخول تلمسان ومد سلطانه حتى بجاية ((وبهذا وقع في الخطإ نفسه للذي وقع فيه أبوه، وهو توسيع نطاق السلطان إلى حد يعجز عن إحسان القيا م عليه)) على حد تعبير المؤرخ الراحل حسين مؤنس. راجع: ابن الأحمر، روضة النسرين [– ليفي برونفصال، منتخبات تاريخية:67]. ابن خلدون، العبر:6: 366- 368. حسين مؤنس، تاريخ المغرب: 2: 53-54.

[275]– في الغرب الجزائري الحالي، تقع على الساحل قرب وهران، على بعد 14كلم جنوب مصب شلف، وصفها البكري، المغرب:69، الإدريسي، النزهة: 171، الوزان، وصف افريقيا:2:32.

[276]– يخلط بول مارتي (–كنته الشرقيون:19) بين المعلي وجده، كما يثير نقاشا عقيما يزيد الموضوع إشكالا!

[277]– لاشك أنه يقصد اسماعيل بن محمد بن يوسف ابن الأحمر، وكان خرج سنة760هـ على لخيه الأمير الغني بالله محمد بن يوسف ابن الأحمر، ووزيره ابن الخطيب، وعلى إثر تدخل من السلطان المريني أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني [760-762/1359-1361] لدى الثائر وشيعته تم تسريح ابن الخطيب، وكان قبل في الحبس، فقدم مع أ ميره على السلطان المرينى ((في السادس من محرم فاتح سنة لحدى وستين وسبعمائة)) وكان قدوما مشهودا مشهورا. ومرجع اختيارنا لهذه الحادثة دون غيرها من الحوادث التي جاء فيها ذكر بني الأحمر هؤلاء ، وهم كثر، هو أن المصادر لاتشير إلى حركة للمعنيين في العهد المريني، بعد وفاة أبي عنان، إلا هذه الحادثة المذكورة ، ثم لأنها تنسجم مع منطق النص . ونحن، سبق أن لفتنا الانتباه إلى أننا نلتزم منطوق رواية ((الغلاوية)) دون تكذيبه أو تصديقه وفاءا للضوابط الفيلولوجية. راجع: الناصري، الاستقصا:4: 8-9، مؤنس، تاريخ المغرب، 64

[278]– توات: لقليم يقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية الحالية، ويشتمل على عدد من الواحات والمدن والكصور تزيد على ثلاثمائة والخمسين واحة. وفي معنى اسم ((توات)) خلاف عريض بين الاخباريين ، من أقدمه ما ذكره الرصاع(محمد الأنصاري)، فهرس الرصاع:127 من أن توات هو اسم

وخلفه ابنه سيد عثمان[280]. استوطن عزي[280م] من قري توات فأقام بها مربيا مرشدا، تؤخد عنه فنون العلم، حافظا محدثا إلى أن توفى بعز وقبره بها مشهور وخبره مأثور.

ثم خلفه ابنه سيدي يحي[281] وكان علامة حافظا ورعا زاهدا مربيا، تخرج على يده جماعة فرقهم في القرى والمدن

إحدى قبائل الملثمين وا قترح السعدي (تاريخ السودان:7) لصلا تكروريا(سودانيا) للكلمة بمعنى ((وجع الرجل)) وهو مجرد تمحل.
وخلال العهدين الحفصي والمريني كان اسم اتوات ينطبق بالأساس على ((المقاطعات الوا قعة بمحاذاة وادي مسعودة)) وهذه التسمية هي التي ظل يطلقها أهالي الإقليم على المقاطعات الواقعة بالمنطقة الغربية للإقليم فقط . راجع مثلا: ابن خلدون، العبر:1: 123و198 [فرج محمود، إقليم توات:1-2]. وبحكم الموقع المتميز للإقليم التواتي في قلب الصحراء فقد أصبح ملجا للثائرين على السلطات "المغربية" وموئلا لمختلف القبائل والجماعات النازحة بفعل الكوارث والمجاعات والتقلبات السياسية في الشمال. فتوالي وصول المغراويين وبني يفرين من بقايا دولة الزناتيين وفي عهد الموحدين فوجدوا في الاقليم منجاة من ((هضمة الاحكام وذل المغارم)). وفي بداية القرن 7هـ/13م استفحل أمر المعقل (من هلال) في الكصور الصحراوية مستغلين ضعف نفوذ بني مرين على المنطقة. وابتدائا من القرن التاسع/15م، تعزز موقع الواحات التواتية على طريق المحور الأوسط، كمحطة لقوافل الحاج وموقع لمركزة البضائع. راجع: ابن خلدون: (العبر...:6":47-48 و58-60) فرج محمود، اقليم لتوات(م.مختلفة)

-- De porter . **La question du Touate** (Alger- 1891)

-- A . G . P . Martin : **Quatre Siecles d'histoire** (Paris 1923)

[279]– أمزاب: إلى الشرق من "لتوات" تبعد نحو600كلم جنوب البحر المتوسط ويشمل عدة كصور:غرداية [–وهي عاصمة الاقليم]، بني يزقن، مليكه، بنورة والعطف، وبيريان، والقرارة. راجع: حسن للوزان، وصف افريقيا:2:134-135.

[280]– سيد عثمان: يرى أبول مارتي ,كنته الشرقيون: 20، إن وصول هذا الجد إلى توات قد يكون هروبا من الحروب الأهلية: ولم يذكر مصدره في ذلك.

[280م] – عزى: تعد من قرى تمنطيت [ضمن توات] ونستغرب لبول مارتي (كنته الشرقيون:20) أنه من خلال تدخل الحاكم الفرنسي لمنطقة عين صالح الجزائرية، لم يتمكن من العثور على هذه القرية راجع: فرج محمود، اقليم توات

[281]– حسب رواية لأخرى فإن هنالك جدين لكنته كل منهما اسمه يحي، حيث سمي الإبن باسم ابيه، بعد ما تركه في بطن أمه, يرد ذلك في الشجرة الكنتية التي نظمها الشيخ أحمد بن حبيب بن سيد النويكظ وهو من علماء كنته في القرن الماضي, ومنها:

عن شيخه أبيه يحي من أمر — سبعين تلمـيـذا وكـمل ائتمر
عـن شيـخه سميه أبـيـه — يحي الكريم الفاخر النبـيـه
قـد مات عنه وحمل ونشـر — خـبـره لهم وأنه ذكـر
وأنه عـن جـده خليـفـه — يكون في رتبته المنيـفـه
وكان أوصى أن يسمى باسمه — وينفع الـورى بفيض علمه

للإرشاد والتربية ووعدهم بالموت عنده والدفن بإزائه، فربوا ماربوا وأرشدوا ما أرشدوا، ثم ماتوا عنده ودفنوا إلى جنب روضته وقبورهم مشهورة إلى يومنا هذا تزار. ثم خلفه ابنه سيد علي[282] وكان قطبا علامة مربيا قدوة، يهتدى بهديه ويرجع إلى إشارته ورأيه وكان يخرج إلى المرابطين[283] أيام دولتهم بالصحراء، وجيلُ حسان[284] ياخذون عنه الأوراد ويستمدون منه الأمداد.

282– سيد اعلي: ابتداء من هذا الجد تبدؤ الأحداث تتساوى مع الإرشادات التي قدمتها المصادر المحلية.

283– سبق أن نبهنا في الهامش السابق إلى أن المؤلف يقصد بهذا الإصطلاح صنهاجة الصحراء ولمتونة منهم بشكل خاص.

284– جيل حسان: هم بنو حسان بطن من العرب المعقل ينتسبون في الطالبيين ويذكر أن أصلهم من هلال، كان وصولهم مع الهجرة الهلالية، ثم عمروا صحاري للمغرب الأقصى وتغلبوا على فيافيه. كان المعقل في عهد ابن خلدون (العبر:6: 58) (.من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى (. . .) بقبلة تلمسان وينتهون إلى البحر المحيط من جانب المغرب واستفحل شأن المعقل في تلك الفيافي والصحاري والكصور [= السوس، تولت، واركلان، تامنطيت...] وفرضوا المغارم على سكانها من زناتة ..).كما صار المعاقلة انفسهم يقدمون ضريبة إجبارية تسمى "جمل الرحيل" [=غرامة] إلى الدولة المرينية، قبل أن يصبحوا شيئا فشيئا قيمين للمرنيين على جباية الضرائب من قبائل وسكان تلك المنطقة. وطوال العهد الموحدى والمريني، بعده اكتفى المعاقلة بالاقطاعات الواسعة التي نالوها ، عن التعرض لقوافل التجارة بين سجلماسة والسودان، ثم بحكم ((ما كان بالمغرب من اعتزاز بالدين وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزناتة [بنو مرين] بعدهم ... حسب ابن خلدون، العبر:6 59 ويذكر كيف توزع قبائل المعقل تلك المجالات، فكانت ((مواطن ذوي حسان [= بنوحسان] من درعة إلى البحر المحيط وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الأقصى وما إليه وينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن الملثمين من كدالة ومسوفة ولمتونة ...)) ويبدو أن هذا التغلغل الحساني صوب الصحراء ، كان سابقا لعهد ابن خلدون، حيث ذكر ابن عذاري، البيان:403 (القسم3) أنه ((في سنة اثنتين وستمائة تفاقم امر علي ابن بدر [صاحب إمارة في الجنوب خلال العهد الموحدي] بالخلاف في بلاد السوس وانقادت له بعض عرب الشبانات وبني حسان ...)) وذلك قبل أن يصارع حلفاء الامس، حيث صال بنو حسان على الامير عبد الرحمن بن بدر ((وهزموه مرات متتابعة اعوام خمس وسبعمائة)) على ما يذكر ابن خلدون.و في العهد المريني استفحل شأن بني حسان في السوس، فحاربهم الخلفاء المرينيون: أثخن فيهم يعقوب بن عبد الحق [656- 685/ 1258-1286]، 786هـ- ابن خلدون، العبر:6 (المواضيع المذكورة). السلاوي الناصري، الاستقصا:2:179 . ابن عذاري: البيان، [القسم3] ص403، أبوضيف (أحمد) اثر العرب في تاريخ المغرب:222- 224.

وذلك في زمن دولة السلطان أبي فارس[285] وكان مقلدا له لا يعمل إلا على وفق إشارته، فخرج إلى الصحراء فتزوج بنت محمد بن آلم بن كنـــت بن زم[286] رئيس ابـــدوكل[287]، واسمها أهو[288]، فأولدها ابنه خاتمة السلف وعين أعيان الخلف، سيد محمد الكنتي[289] فنشأ في أخواله ابدوكل من صنهاجه، وقفل سيد اعل إلى توات. وبها توفي – رحمه الله – إلى جنب أبويه، بعزي وتخرج على يده أزيد من ألف واصل.

---

[285]– أبو فارس: ابن أبي العباس [شعبان696-737/ 1393-1434م]، انتحل اللقب الخليفي، وسار سيرة أبيه في الاعتماد على مشيخة الموحدين، واكمل ما بدأه أبوه من توحيد للمغرب، حيث أطاح بأمراء الأسر المالكة في بجاية وقسطنطينية وطرابلس وقفصه وتوزر وبسكرة، وعين فيها "ولاة مختارين من بين مواليه العتقاء" . ثم امتد سلطانه ليشمل بلي عبد الواد بتلمسان، والعمق المريني باقصى المغرب، وكذلك من الأندلس. "ويرجع هذا النجاح في جانب كبير (منه) إلى أن أبا فارس مارس سياسة توازن بين أهم مجموعات السكان في المملكة من موحدين وعرب واندلسيين، كانت لأبي فارس عناية خاصة بالعلم وأهله، فكان ابن عرفة يحتل في بلاد الحفصيين المكانة نفسها التي كان يحتلها في الدولة الأموية الأندلسية رجل مثل يحي بن يحي الليثي كما كان السلطان نفسه مشاركا بارزا في العلوم، وكان يحيط نفسه بكوكبة من كبار الفقه ويحضر مجالسهم مثل: أبي مهدي عيسى ابن أبي العباس أحمد الخبريني توفي ابو فارس سنة 1434م بعد أن حكم نحو أربعين سنة تعــتبر من أزهر عصور التاريخ الحفصي، راجع: ابن خلدون، العبر:6 :299و102 (تاريخ افريقيا4) مؤنس، تاريخ للمغرب:2: 255- 258.

[286]– نسبه حسب للورقات المنسوبة لسيداحمد البكاي من قبل أحمد بن الحاج عبد الله هو كالآتي: محمد آلم ابن كنت بن زم ابن تملكت بن تنفئت ان يب بن أشنت لدن رأس ابدوكل.

[287]– راجع الها مش رقم (232).

[288]– أهو: في الأوراق المنسوبة لسيداحمد البكاي وفيها نسب أمهاته من أخواله ابدوكل والتي نقلها أحمد بن الحاج عبد الله، جاء أن ((أم سيد محمد الكنتي أهو بنت محمد آلم بن كنت بن زم ابن تملكت بن تنفئت ابن بابل بن اشنت لدن رأس ابدوكل))

[289]– سيد امحمد: لقب بالكنتي نسبة لجده لأمه اللمتونية، وهي عادة شائعة في المجتمعات البدوية . وحسب أحمد بن الحاج عبد الله، نقلا عن سيد احمد البكاي، فإن الاسم المعروف لوالده هو بصيغة: سيد امحمد الكنتي باثبات أن القطع وأنه شاهد وهو صغير قبره بفصك ونقشه: ((وهو المتوكل على الله محمد ابن علي بن يحي بن عثمان بن ا فرد بن يهس...)) ويعتقد الباحث محمد الشنافي (بن مولود بن داداه) إن ألف القطع التي ترد في اسماء الأجداد الكنتيين: (اعلى، امحمد) تدل على أنهم فعلا قد دخلوا المنطقة وهم يتحدثون للغة العربية الملحونة التي ستعرف بعد ذلك بالحسانية. يعتقد ويتكنب **Wihit Comb** (P410) ان سيد امحمد الكنتي قد عاش بين أصهاره الجنكيين أي في تنيكي. راجع: .Wihit Comb Part 2.P410 . إبن خلدون، أحمد ابن الحاج عبد الله، نبذة في أنساب كنته، (نشير إليها مستقبلا ب: انساب كنته).

ثم لم يزل سيد محمد الكنتي بأخواله حتى تربى وحفظ القرآن ومهر في سائر الفنون، وتربى على يدي جماعة منهم: الإمام أبو العباس السبتي[290]، صحبه بسبتة[291] وتخرج على يديه ودعاه بالقطبية، وكان مجاب الدعوة، لا يجاريه في مجاريه خلف، وهو أغلى وزنا وأعلى محلا، دام يحيي ما قد أميت من الفضل، وينفي فقرا ويطرد محلا. ثم رجع إلى الصحراء ما بين تيرس إلى الساقية الحمراء[292].

واستوطنها بمن معه من تلامذته وجيرانه، محترما مكرما معظـــما عند ســـائر دولة المرابطين[293] من لمتونة[294] وبني

---

[290]- أبو العباس السبتي: (554-1130/601- 1204) أحمد ابن جعفر الخزرجي: أبو العباس السبتي المراكشي، تنسب إلى ((الزايرجه)) في استخراج الغيوب، ولد في سبتة وانتقل إلى مراكش وعلت شهرته وكان يتكلم على الضمائر ويأمر بالصدقة حتى قال ابن رشد: ((هذا رجل مذهبه أن الوجود ينـــفعل بالجود)). ترجمته في ((أخبار أبي العباس السبتي)) لإبن الزيات التادلي(ملحق التشوف: ط الرباط 1984) وأورد العباس ابن ابراهيم في الإعلام:1، 224-325. ترجمة مطولة للسبتي في مائة صفحة وانظر للزركلي، الأعلام:1: 107. واجتهادنا بشأن علاقة الكنتي والسبتي ، هو ان يكون في الرواية خلط واضطراب صوابه ما معناه أن الكنتي قد تلقى عن من صحبوا أبا العباس بسبتة أو صحبوا من تلمذوا له ، فتكون الصلة بين الرجلين من هذا الوجه مقبولة من الوجهة التاريخية.
أو يكون هناك خلط بين أبي العباس السبتي المتوفى في القرن6هـــ، وأبا العباس الحسيني السبتي المتوفى في عهد السلطان المريني أحمد ابن أبي سالم (1374- 1384) وكانت للحسيني هذا علاقة قوية مع السلطان المريني أبي عثمان. وسبق التنبيه إلى أن الأجداد الكنتيين الذين مر ذكرهم، قد عاشوا في بلاط المرينيين والحفصيين، فلعله هو المقصود. راجع: **Wihit Comb T107**، الحاج محمد السراج، خلاصة تاريخ سبتة:26.

[291]- سبتة: من مدن المملكة المغربيةالواقعة على الساحل المتوسطي وهي تحت الاحتلال الاسباني . وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، وقد تعرضت للتخريب على يد عبد المؤمن الموحدي لموالاة أهلها المرابطين وكان ذلك عام 1147/542 ولاقت نفس المصير على يد محمد بن الأحمر (الثالث) المعروف بالمخلوع، وقد دخل سبتة بخيانة من بعض أهلها عام 703/ 1303. راجع: الحموي، معجم البلدان:2 :182-183 الوزان وصف افريقيا:2: 316-317 (والهامشين 115و116) WihitComb T.114، ابن خلدون ، العبر،6: 484 الناصري، الاستقصا:2: 102.

[292] – النطاق الجنوبي من الصحراء الغربية الحالية.

[293]- يراجع الهامش السابق ..

حسان[295] مقدما عليهم محكما فيهم إلى أن جرى القضاء بأمر غاظه على أخواله ابدوكل[296]. هم يومئذ المتغلبون على الصحراء ومن فيها إلى أطراف السودان[297]. فارتحل عنهم، مغاضبا لهم، فورد عليه غزو من اولاد الناصر[298] وقد بلغهم مغاضبه لأخواله، فقال بعضهم لبعض: إن فاتتكم هذه الفرصة في لمتونه فحرام عليكم الظفر بهم بعدها. فقد غاظوا هذا الغوث وأغـضبوه. وما يزيل قلنسوة الغوث عن رأسه، يزيل ملك السلطان من أسه،

---

[294]- لمتونة: من أكبر قبائل الملثمين وأعظمها أثرا في التاريخ الديني والسياسي للصحراء والمغرب الإسلامي. كانت مواطنهم في القديم وسط الصحراء إلى التخوم السودانية جنوبا. وفيها أسسوا ملكا ضخما عاصمته أوداغست، وكان يحكمها بنو ورتنطق بيت الرئاسة في عشيرة ((الأنبية)) اللمتونية ودام حكمها [مابين ق2هـ /8م - 360هـ/971م] ولشهرتها انذاك أطلق اسمها على مجموع القبائل الصنهاجية ومجالها الترابي الممتد من أوداغست إلى السوس وفي العهد المرابطي كانت للمتونة الصدارة في قيادة الحركة وفي تعبئة جيوش ((دعوة الحق)). ولم يكن الحضور اللمتوني في آدرار نتاج عملية اتصال سهلة، بل جاء بعد معركة حاسمة من معارك الجهاد المرابطي احتل بعدها لمتونة جبل آدرار الذي أصبح يعرف بجبل لمتونة. وبعد تفكك المركزية المرابطية انقسم الكيان اللمتوني إلى رئاسات وإمارات منها إ مارة ابدوكل المقصودة هنا.مع أننا نجتهد أن هذه الإمارة كانت لاتضم معظم المجموعات اللمتونية التي كان من الواضح أنها مجموعات مختلفة. فقد جاء في رواية الشيخ موسى كمرا، وكان درس في أحياء لمتونة ، قوله :(أعلم أن مسوفة وتجكانت وإدو الحاج وجيجب وتندغ وإدوعيش كلها لمتونة يقول للبياضين لتندغ لمتونة الأخيار ولتجكانت لمتونة الأبرار ولدكبا مبرة وأخيهم جاشفاق لمتونة الأحرار ولإدوعيش لمتونة الأشرار)). وجل هذه القبائل تصر على أنها هاجرت من الشمال إلى الجنوب في ظروف تشرحها تفصيلا ثم أنه من الثابت أن بعضها على الأقل مثل تجكانت قد هاجروا من قصرهم تنيكى في آدرار إلى الجنوب في تاريخ يقارب العهد الذي تفككت فيه إمارة ابدوكل اللمتونية تحت ضربات بني حسان. وبقى اسم لمتونة محصورا في بطون ثلاثة: هي: ادكبامبرة، وإيداشفاغ، وإيدابيان والجميع في منطقة كيهيدى (الجنوب الموريتاني حاليا). راجع: البكري، المغرب:164، ابن خلدون:6: 181-182، ابن عذاري، البيان:4: 12-13 الشيخ موسى كمرا، المجموع النفيس1: 8-9، ابن حامد، الجغرافيا:44.

[295]- راجع الإحالة السابقة.

[296]- رلجع الهامش السابق.

[297]- السودان: يقصد المؤلف المناطق التي تعمرها الشعوب الزنجية السودانية وهي لعهده تشمل سكان ((السهل)): التكاررة (ورعاة الفولبي)، والسوننكه وشعوب السافانا وهي، من الغرب إلا الشرق، شعوب الولوف والماندانغ والسوننكه. راجع: تاريخ افريقيا العام:4:166.

[298]- أولاد الناصر: راجع الها مش السابق.

فاستضافوه ليلتهم وطلبوا منه أن يعطيهم دولة لمتونه، فقال: أعطيتكموها على شرط: أنكم متى بلغتم منهم الحد الذي تامنون شوكتهم، رفعتم عنهم السيف وأبقيتم عليهم عيشة لبني وبينكم، فاعطوه عهدهم وميثاقهم على ذلك وقالوا:كيف لنا بجموعهم المتكاثرة ومحالهم المتظاهرة. فقال: إنما عليكم شن الغارات والإجهاز عليهم فإني قد دعوت الله عليهم بإذهاب الدولة وإيهان الصولة، فأجابني فيهم. فاقبلوا إلى أهاليهم، وتألب أفـــناء أبناء حسان بمن أنضاف إليهم فصبحوا لمتونه وهم غارون، فانتدب لقتالهم من يليهم من الأحياء واشتغل من دعاهم بأشغالهم استهانة بشأنهم واستخفافا بصولتهم. فهزموا من يليهم لأول حملة، وركبوا ظهورهم مع من وراءهم ممن لم يستعد لحربهم فهزموهم هزمة لم تبق منهم على مجتمع، وأبقوا منهم البقايا المدعوة الآن باللحمة التي ضرب بنو حسان على رقابها المغارم ومن كان منهم زوايا أبقوه على ما كان عليه[299].

[299]- في رواية المؤلف للحادثة هنا بعض الحذف والاختصار والاجمال، حيث سبق له في رسالته إلا أولاد الناصر ومشظوف بشأن الحرب مع أهل سيد محمود وهي موضوع الفلاوية، أن نبه اولاد الناصر إلى سابق علاقهم مع جده الأعلى سيد امحمد الكنتي ويذكر بانهم ((ميراث خاتمة السلف وعين أعيان الخلف)) وأنهم سيف جده الذي صال به على أخواله لمتونة وأنهم بالنسبة إليهم في ذلك الوقت شرذ مة قليلون بقنة جبل حسان ملتصقون، وذكر خروج سيد امحمد الكنتي عن لمتونة ونزوله ناحيتهم وقدوم أولاد الناصر على خيمته ليلا حيث ألفوها منعزلة، فقالوا إن هذه الخيمة عورة أي منفردة، ووجودهم المرأة تصلي وهو يصلي في ناحية وما شاهدوه من كراماته ومنها منعهم من الشرب من أواني اللبن التي في الخيمة حيث كلما قرب أحدهم فاه من اللبن غار وكلما أراد حمل الإناء لم يستطع ورجوعهم إلى قومهم وقدومهم في الصباح ونزولهم ضيوفا على الشيخ في استطراد أكثر تبسطا مما في

واجتمع الجموع على سيد محمد الكنتي بالصحراء، وتجكانت زمنئذ بتنيك[300]، قصرهم المشيد قبل حربهم فيه وفرقتهم منه كما هو مشهور مذكور[301]، وإيدوالحاج الذين هم إيدوالحاج بتيشيت.

النص. وحول الأبعاد الايديولوجية لهذا الصراع، يعتقد الاستاذ ولد الشيخ أن الراوية المقدمة هنا تفسر بوضوح التأسيس لثنائية السلطة بين بني حسان [المحاربون] والزوايا [السلطة الدينية] واشتراكهم في ممارستها على الأتباع وأن الصراع بين أولاد الناصر وابدوكل، هو قبل كل شيء، صراع مستميت، بين الخؤولة والعمومة. أي بين النسب الأموسي الصنهاجي ومحامله الاعجمية، والنسب الأبوسي الحساني العربي ومرجعيته العربية الفصحى.

راجع: هارون ابن الشيخ سيديا بابه ، كتاب الأخبار:1:168

Wihitcomb. OP. Cit. art (I).PP107

Ould Cheh (A.W).Nomadisme... T1.P212.

[300]– تنيك: تقع بين شنقيط ودان، وتعرف اطلالها باسم :اركيوية. تأسست في القرن السادس هجري (ق12) من قبل تجكانت وجاء في الروايات المحلية أنه كانت للجكنيين في هذه الحاضرة ((أربعة وعشرون جامعا ومن كثرة علمهم سبعون عذراء من بناتهم تدرسن المدونة)) وبلغ صيتها العلمي شأوا بعيدا حتى قيل ((إن أكثر بقاع للدنيا علما إذ ذاك تنيكي ومصر)) وقد أدت الحروب الأهلية والكوارث المناخية إلى خراب هذه الحاضرة ونزوح سكانها نحو الجنوب . راجع : الشيخ موسى كمراء المجموع النفيس:13، إبن حامد، الجغرافيا:210 النحوي، بلاد شنقيط:74، ابن الأمين، الوسيط:430-431..

[301]– من أكمل الروايات المحلية حول هذه الحرب وعلاقة سيد محمد الكنتي بالجكنيين، ما استطرده بدقة لافتة الشيخ موسى كمرا في : زهور البساتين: 13-14 وهاك النص: ((اعلم أن لمتونه لما استولوا على أرض المغرب جاء التجكانت وسكنوا في قرية يقال لها تنيك بين شنقيط وتاتيهم الناس من كل فج وناحية فمنهم من يأتي لأخذ العلم ومنهم من يأتي لأخذ الأمن مخافة شرهم فلما مضى عليهم الدهر الطويل آمنين قضى الله بأن أتاهم ولي من أولياء الله يدعى [سيد محمد الكنتي] ومنه الكنتيون اليوم (...) وكان يأتي لكل مكان ويمكث فيه إلى أن يخـتبر أهله ويذهب ومن قضاء الله بأنه ورد على تنيق ونزل في ناحية القواليل فخذ من التجكانت وسيدهم حينئـذ رجل منهم اسمه أعمر الكلال ، فلما عرف سيدي محمد الكنتي حا لهم وأخـتبر علمهم تزوج ببنت أعمر الكلال اسمها ألال ولها سبعة إخوة ورزق سيد محمد الكنتي منها ابنتا (....) فلما كبرت (....) قامت ذات يوم قاصدة امرأة لتضفر لها رأسها والتقت مع رجل من فخذ (من) التجكانت يقال له إديشر فلما رآها قادمة مد رجليه على الطريق ليمنعها عن المرور وقالت له اترك الطريق أمر. فحلف بأنه لايتركها تمر إلا تحت رجليه فلما علمت بذلك ذهبت لتدخل تحت رجليه فلكزها برجليه وسقط اثنان من اسنانها وأخذتهما ورجعت إلى أبيها سيدي محمد الكنتي وأخبرته بالواقع فقال لها مالي قدرة على أخذ الثأر لك فاذهبي إلى أخوالك فذهبت إليهم وأخبرتهم الخبر وقام واحد منهم بسيفه نحو الرجل المذكور فلما وصل إليه قطع رجليه بسيفه قبل أن يكلمه وثارت الفتنة في الحال...)). ويقال في رواية أخرى شائعة ، إن البنت المذكورة هي بنت عبد الله المتغمبري الكنتي وقد خرج بعد الحادثة وانضاف إلى أهل وادان وسيكون حفيده من رؤساء المدينة .

وأقدم إشارة إلى تنيكي، حسب العلم، هي ما جاء في كتابات للمستكشفين البرتغاليين خلال ق15م.]

راجع بيررا: **EsmeraldoDe Siti orabis** P43

وفرنانديس: **description de la cote d'Afrique.** P79-81

وتزوج سيد محمد الكنتي بنت آل محمد بن الحسن بن أيشف الجكني[302] فولدت له ابنه الشيخ سيد أحمدالبكاي[303] الغوث

وجاء في هذه الرواية دون تحديد للأشخاص، في رواية أحمد بن الأمين: الوسيط:430-431 وذكر (Wihitcomb. 2411) دون مستند، إن هذه الرواية قد ((وجدت في أنقاض حاضرة تنبكى))؟ . إلا أننا نعتقد أن الحرب بين تجكانت ثم هجر تنبكي،، إنما هو جزء من الصراعات والحروب التي عرفتها منطقة آدرار في تلك الفترة (15-16) وأدت إلى نزوح معظم سكان الشمال إلى الجنوب. وتحفل أدبيات القبائل الصحراوية بإشارات مختلفة إلى تلك التحولات التي جاءت نتيجة للأزمات الديمغرافية (ضغط السكان على الموارد)، والمناخية (الجفاف ونقص المياه)، وكذلك تحول المسالك التجارية نحو المحور الأوسط أو المحيط حيث مراكز التبادل البرتغالية، الأمر الذي أدى إلا انهيار المدن إلى تكانت وتعتمد على تجارة العبور، وكان ذلك إجمالا، متساوقا مع اكتمال الزحف الحساني والذي تغلغل بدرجة أصبحت معها جهات البلاد الشمالية و الغربية في قبضة البدو)).

[302]- إيشف : هو الـتحوير الصنهاجي ليوسف، وتبعا للنسابة الجكنيين فإن إيشف الجكني هو مؤسس الفرع المعروف بإيديشف، أو إيديشوف. والراجح أنه الصيغة الأصلية للنقحرة الصنهاجية للإسم هي بإعجام الشين ويرد ذلك مثلا في اسم الشاعر الجكني القديم الديسفي. راجع: (Wihitcomb. 1P411) وابن حامد ، الجغرافيا :43 . المحجوبي الولاتي، منح الرب الغفور.

[303]- سيداحمد بن سيد محمد الكنتي : [ت15/92] والبكاي لقب غلب عليه قيل لأنه ((تواتر عنه وصح أنه لبث مائة عام لم ترقأ دمعته وذلك من أجل صلاة واحدة فاتته في الجماعة...) الطرائف:2: 69. ترجم له البرتلي (فتح الشكور: 30 -31) وقال: ((كان من عباد الله الصالحين، والأولياء المعروفين المشهورين. يزوره الناس من كل فج في كل ساعة، يزوره الشرفاء والأولياء والصالحون وغيرهم وأكثر الناس زيارة له الغرباء وأهل التل والمسافرون الذين يأتون بالتجارة من جهة الشمال، لما رأو من بركاته كثيرا (....) هو جد كنته كلها: كنته الحجر وكنته الزواد. وأخرج الله تعالى من نسله كثيرا من الأولياء والصالحين ...)). وتضن المصادر بشأف عن حياة البكاي في ولاته وفي موطنه الأصلي، لكنه المرجح أنه عاش في تنبك بين أخواله وأصهاره الجكنيين قبل أن يبدأ رحلته التي لانعرف بدايتها ضبطا، لكن من الثابت أنها لم تقع إلا بعد (سنة911هـ) حيث ذكر الشيخ سيد محمد الكنتي الخليفة في الطرائف:2: 69 رواية عن سيد أحمد بن الحاج عبد الله بن سيد احمد بن الرقاد أنه ((.رأى وثيقة بخط يده كتبها في نخل اشتراه في شنقيط في العام المذكور...)) وهذه الرواية الثمينة استطردها الشيخ سيدي محمد الكنتي للتأكيد على أن البكاي كان حيا في تلك السنة . مما يعني أنه لم يكن يعرف تاريخ وفاته إبان تدوين هذه الرواية ، ثم ا استحضره بعد ذلك في الغلاوية و المعروف أن تأليفها كان بعد كتابة الطرائف. واجتهادنا أن الشيخ سيد احمد البكاي كان من أقدم مؤسسي الحركة العلمية في مدينة ولاته، حيث عاصره أجداد المحاجيب وأفادوا منه حسبما جاء في رواية الشيخ سيد محمد الخليفة عن والده الشيخ سيد المختار في قوله: ((حدثني الفقيه محمد أند بن عبد الله الولاتي قال حدثه أبوه الفقيه محمد بن الفقيه أحمد عن أبيه الفقيه أحمد عن جده سيد عبد الرحمن المحجوبي، وكان تقطب، أنه أخذ العلم والولاية عن القطب الكامل سيد احمد البكاي...) الطرائف:2 : 69- 70 وزاد في ترجمة ابن العربي وكتابه المسمى[أنوار الفجر وأمواج البحر] في تفسير القرآن لقوله: ((وأخبرني الشيخ [سيد المختار] -رضوان الله عليه- أنه وقف من هذا التفسير الكبير على زهاء مائة سفر، في خزانة جده سيدي أحمد البكاي بولاته)) راجع: (Wihitcomb.P2. P410. Prt P116)، الطرائف:2 69- 70و86 . البرتلي ، فتح الشكور: 30-31.

العلامة النحرير الفهامة المربي المجدد المسلك المسدد، مغرس شجرة كنته ومنبع نبعتها وقرارة عزها ومغرس طلعتها:

فمن يك لم ينجب أبوه وأمه   فإن لنا الأم النجيبة والأبا[304]

تزوج جكانية بنت يعقوب الرمظانية[305] فولدت له ثلاثة أولاد، عنهم تفرعت شجرة كنته.

وكانوا قبلهم أفرادا وأولياء أقطابا، لايبلغ الولد منه درجة أبيه في الفضل إلا كما تبلغ أنملة الخنصر من اليد.

وأكبر أولاد سيد أحمد البكاي: ابنه سيد محمد الكنتي الصغير[306] ثم ابنه أبوبكر الحاج[307] ثم ابنه سيد أعمر الشيخ[308].

---

[304]– لم نعرف قائله.

[305]– الرمظانيين: بنوا رمظان من اكريل بن اعل بن جاكن، قبيلة عظيمة من تجكانت تفرقت بعد خراب تنيكى تفرقا شديدا، وبعضها تحول إلى تكبه [في الحوض الغربي حاليا] وبعضها كان تجارا في الكبلة (الجنوب الغربي) فلما بلغه خراب القرية استوطن هناك. راجع: ابن الحامد، (تجكانت)4 . والجغرافيا:42-43.

[306]– سيد محمد الكنتي الصغير: سمي جده سيدي محمد الكنتي الكبير، ولقب بالصغير تميزا له عنه. يذكر ابول مارتي، (كنته الشرقيون:19) بأنه جد لكنته الغربيينن عن طريق أبنائه السبعة، وجد قسم كبير من كنته الحوض.

[307]– أبو بكر بن سيدلحمد البكاي: أمه بنت أكد بوي من عشيرة الرما ظين من تجكانت، توفى في سن الشباب قبل والده. ويعتبر الطالب ببكر، عن طريق أبنائه، جدا للهمال وعشيرة أهل الأزرق (الازرك) والظمان. وقد تلاشت هذه الأخيرة . راجع: مارتي: كنته الشرقيون: 29- 32.

[308]– سيد اعمر للشيخ: [توفى 958 أو 960هـ/ 1552-1553]، كان أو من انتسب من كنتــه إلى الطريقة القادرية, ترجم له الشيخ سيد المختار في كتاب الإرشاد، ويسمى أيضا بكتاب المنة، فقال معرفا به: ((من أولياء الله تعالى المشهورين بالعلم والولاية (...) سيد أعمر الملقب الشيخ تواتر عنه أنه حفظ قبل الكهولة ألف مجلد في جميع فنون العلم [- ألف ورقة في الاصطلاح القديم] وأنه ذهب إلى المغرب الجواني من المغرب الأقصى لطلب الإفادة فطاف جميع بلاد المغرب (- غرب موريتانيا في لصطلاح اهل أزواد والشمال] فلم يجد من يفيده في مسألة من جميع فنون العلم ثم عمل الرحلة إلى بلاد الشام (...) ثم حج ورجع إلى المغرب. ثم جاء في بلاد التكرور حتى لقي الشيخ الجليل القطب الكامل محمد بن عبد الكريم المغيلي (....) فلازمه ثلاثين سنة ثم توجها إلى المشرق)) واستطرد أخبار رحلتهما ومرورهما ببرقة وصراعهما مع أعرابها، ثم ما كان من صلتهما بالسيوطي في حديث مسهب.

وكان فيما ينقل عنهم خلف عن سلف، أن الواحد منهم متى ولد له أولاد وشبوا، وعلمهم ودربهم وأحس من نفسه بقرب الرحيل، أختار منهم من توسم فيه وسم الصلاح والصلاحية للإرث عنه فعمره. ودعى الله في أخذ الباقين، حرصا منه على دوام الاستقامة وعدم التعدي إلى ما وراء حد الشرع العزيز، فلا يبقى منهم إلا الواحد الوارث[309]. فرغبت أم بنيه إليه لما رأته يحد النظر إلى سيد أعمر الشيخ، وكان أصغرهم، فأسرت إلى أبيها وكان علامة لبيبا متــفرسا، فقالت ياأبت إني أرا أبا أولادي ينظر إليهم نظرا حديدا، ثم يعقبهم بأعمر. فقال لها: ويحك، أما بلغك ما جرى به عملهم المتقادم من تعمير من أحس منهم بقرب الأجل لأحد بنيه ودعوته على من عداه، فيموت. قالت ياأبت هل من حيلة أصل بها إلى بقاء بني، فإني لاأسمح بموت أحد منهم.

فقال: لاأرى لك إلا أن تتحيني وقت خروجه لورده من آخر الليل، فتقتفي أثره، لاتخطؤ خطوة من خطواتك خطاه ، فإذا

توفي سيد أعمر الشيخ مقتولا علي يد مجموعة من اللصوص ((أفرغو فيه رصاص بنادقهم)) وهو يصلي علي رأس جبل من جبال سوس ودفن في أقا إحدي الحواضر المحيطة بالنهر المسمي بأقا وهو من روافد وادي درعة.راجع:الشيخ للمختار الكنتي الكبير، كتاب الإرشاد:170(المخطوط) . الشيخ سيد محمد الخليفة ،الطرائف والتلائد:2: 76–80 للحسن الوزان، وصف إفريقيا: 1: 165 .وراجع حول الصلة بين المغيلي وسيد أعمر الشيخ: ولد السالم، العلاقات الفكرية: 181-187.

[309]– المفهوم أن الأمر يتعلق بالقتل المعنوي للمعنيين ، وذلك بحرمانهم من خلافة الجد المتوفي ، مع ما يقتضيه ذلك من التهميش والعزل.

لحقتيه فأمهليه حتى يفرغ من فاتحته، فتعلقي بحجزته، واسألي منه إبقاء أولادك عليك.

فلما كان من آخر ليلتها تلك، وخرج لتهجده أقتفت أثره، وعملت بما أمرها به أبوها. فقال لها أما طلبتك، فهي لك. ولولاك بعد الله عشنا أفرادا لايقع منا خلاف للشرع العزيز ولاخروج عن السنة.

وأما أنا فأسيح وأتركك أنت وبنيك وأستودعكم الله الذي لاتضيع ودائعه. وكتب لهم وصية هي بأيدي بنيه إلى الآن يستعملونها[310]. وخرج ببعض تلامذته[311] من الساقية

310– لم نتمكن من العثور على هذه الوصية.

311– لانملك معلومات دقيقة حول من تلمذوا للشيخ سيد أحمد البكاي غير أنه سبق لنا (حماه الله ولد السالم، العلاقات الفكرية:81)، في سياق عرض جوانب من الصلات الثقافية بين بلاد شنقيط وسجلماسه، أن نبهنا إلى ما جاء في كتـــاب الارشاد (=المنة في اعتـــقاد أهل السنة) للشيخ المختار الكنتي (ت 1226هـ) من أن جده سيد احمد البكاي (ت920/15-1514) كان له تلميذ يدعى أحمد التوجي، وعنه جاء في الإرشاد ما نصه: ((ومنهم [الأولياء] أبوبكر التوجي (و)هو تلميذ جدنا الملقب بالشيخ سيد احمد البكاي بن سيد امحمد ا لكنتي وكان ملازما له حتى توفى فانتـــقل إلى سجلما سه على وجه التعبد والخلوة، وكان من اكابر الأولياء...)) والمعني هو نفسه المترجم له في ((التشوف: 182، للتادلي)) الذي ذكر أنه التوجى ((من أهل سجلماسه وكان من أكابر الأولياء)) واستطرد متحدثا عن وفاته ((حدثني الثـــقة أنه بات في مسجد ببلد صنهاجه فأصبح فيه ميتا .فذهبوا لينظروا تجهيزه إلى قبره ، فلما رجعوا إليه طلبوه فلم يجدوه .[؟] ..)).ومن الواضح من كلا النصين أن التوجي قد توفي ببلاد صنهاجة أي با لصحراء التي كان الشيخ البكاي يقطنها وبذلك تبدو الرواية منسجمة من هذه الوجهة . لكن محقق كتاب ((التشوف)) الأستاذ التوفيق، قدم تفسيرا مختلفا، بتأكيده ((إن المعني منسرب إلى توك:ساقية قريبة من رباط تيط))، وعزو الكتاب بهجة الناظرين (؟) يضيف أيضا ((إن أصل التوجي هو من ساحل ماسة وليس من سجلماسه [أي أن في الأمر تصحيفا لاسم المكان] وأنه مات بمسجد وميز يغين (الجديدة اليوم) فامر بعض ((صلحاء)) المنطقة وهو أبوعبد الخالق بن أبي عبد الله آمغار، بنقله ليدفن برباط تيط. المسمى اليوم بمولاي عبد الله جنوبي مدينة الجديدة الحالية [قرب الدار البيضاء بالمغرب اليوم]..). اما محمد ابن مولود بدداده الشافعي [مقابلة معه في 4-1994/11/6] فيؤكد أن الأمر يتعلق بسبق قلم بين وقع فيه النساخ الذين نقل عنهم الشيخ الكبير، إذ ربما وهم الناسخ فظن المعني من ((الأتواج)): إحدى القبائل الشنقيطية المعروفة .

الحمراء[312] حتى ورد ولاته. واهلها المحاجيب وأسنكيتن الذين هو اليوم بأكنب[313].

وهي إذ ذاك أرض مسبعة معشبة لا يخرج منها خارج ولا يلج إليها والج بعد العصر، إلا افترسته السباع والنمور وأبناء آوى، فورد عليهم وقت العصر عند غلق الأبواب فنزل بتلامذته خارج القرية، وقيدوا رواحلهم. وكانت مسكينة ادركها الحال خارجة في طلب حمار لها، فوقعت عليه بإزائهم يرعى بين ظهراني السباع، لا يهيجه منها هائج، فأخذت بأذنه ومرت بالوفد، فإذا بالسباع تتمسح بالشيخ وتربض بفنائه والرواحل ترعى تختلط بالسباع والنمور. فقالت من الوفد، قالوا: أضياف غرباء. قالت: ألم تعلموا أنه لا يبيت خارج القصر حيوان إلا افترسته السباع. فقالوا: إنا عبيد من الأسد والنمور كلابه، فذهبت بحمارها ودخلت إلى القرية. وقالت يا قوم ألا أنبؤكم بنبإ عجيب: إنه نزل بخارج القصر بالبطحاء وفد لو جاز أن يكون بالأرض نبي لكان فيه،

غير لننا نعتقد أن رواية الشيخ الكبير مقبولة من للوجهة التاريخية على الأقل. بحكم الصلة بين سجلماسة وللصحراء منذ القدم ولكون صاحب (الإرشاد) ماكان ليدون هذه الرواية إلا بناء منه على مرجع يستند إليه.

[312]– الساقية الحمراء :كانت في القديم من مجالات اللمتونيين، وكانت تعرف باسم ((تازكاغت)) أصله هو مؤنث للكلمة البربرية ((أزجاغ)) وتعني ((الطريق)). أما اسم ((الساقية الحمراء)) فموجود على خريطة ابراهام اكريسك (Abraham Cricques) لق14م) باسم الأمارا. راجع: ت، ليفتسكي، (دور الصحراء الكبرى...، 435 (تاريخ افريقيا العام ج3) . إبن الأمين، الوسيط: 438–439.

مررت بهم أقود حماري بأذنه أجوس السباع، لا يرفع إلى منها رأسه رافع، فإذا بالأسد والنمور وبني آوي تتمسح بالرجل الأمثل منهم وتربض إلى جانبه، ورواحلهم مقيدة راتعة تختلط بالسباع. فقلت: أيها الوفد من أنتم؟ قالوا أضياف غرباء. فقلت: إنه لا يبيت خارج القرية بائت إلا افترسته السباع، فقالوا إنا عبيد من الأسد والنمور كلابه، فلما أصبحوا عدوا عليه، فإذا هم بالشيخ سيد أحمد البكاي، فادخلوه واشتكوا إليه من السباع وما يلقون من ضررها[314]. فخرج إلى البطحاء عصر الغد وقال: أيتها السباع العادية، أقسم عليك بمن له القدرة والجلال والعز إلا ما خرجت إلا باغنة[315]، فانكشفت للحين تحمل أجراءها في أفواهها أورادا أورادا إلى باغنة، فأعلمهم بما هو مجمع عليه من السياحة وعدم

---

[313]– اسنكيتن: هم السونغاي [=الصونغاي] فصيلة من الماندانغ ، ويذكر الوزان ، وصف افريقيا (ذكر مدينة ولاته) ، أن اللغة السائدة خلال زيارته لهذه الحاضرة (1505–1507م) كانت هي لسان السونغاي . الأمر الذي يؤكد رواية الغلاوية هنا .

[314]– نفس هذه "الكرامة" تروى في "منا قب" جده عقبة بن نافع باني القيروان سنة 51هـ حيث ذكر ابن عذاري ، البيان:1: 20 . أن عقبة لما شرع في ابتداء بناء مدينة القيروان، أجابه العرب إلى ذلك، ثم قالوا: ((إنك امرتنا بالبناء في شعاري وغياض لاترام ونحن نخاف من السباع والحياة وغير ذلك)) (....) فدعا الله –سبحانه– وأصحابه يؤمنون على دائه، ومضى إلى السبخة ووديها، ونادى: ((أيها الحياة والسباع نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فارحلوا عنا فإنا نازلون ومن وجدناه بعد هذا قتلناه، فنظر الناس بعد ذلك إلى أمر معجب، من أن السباع تخرج من الشعرى، وهي تحمل أشبا لها سمعا وطاعة، والذئب يحمل جروه والحية تحمل أولادها...)).

والملاحظ أن الأسد يكثر وروده في كرامات الأولياء ، ولاسيما الكرامات المتعلقة بمؤالفة الأسود ((حتى ان الكرامات في لسان البربر يطلق عليها إزماوون وهي الأسود...)) راجع: التادلي، التشوف ، ص65–66 وص94 وتعليق أحمد للتوفيق في الهامش رقم (36).

[315]– باغنه: تفصيح باخونو، هو الاقليم الملاصق لجنوب للشرق الموريتاني الكبير (أي بالمفهوم الواسع) وفي لارشاد: 191، جاء أن اسم الأرض المقصودة هو غانه وليس باغنه وقد يكون في الأمر تصحيف

المساكنة للعمائر والعمور. فرغبوا إليه في الإقامة بين ظهرانهم. وقالوا: قد أزاح الله عنا بك هذه المضرة في العاجلة، وأرانا بركتك فيها ويمن طلعتك، وإنا لنرجوا أن يزيح عنا بك معرة الآجلة، ويذهب عنا بصحبتك عصابة الجهالة وظلمات الغفلة والبطالة. فامتنع. فقال كبراؤهم: نحاكمك إلى نفسك[316] وحجتنا أنك ألفيتنا تحت قهر السباع والآساد، وفي أسر الجهالة وقبضة الهوى والغي والفساد، فأخرجنا الله بك من مضرة السباع. فمن الواجب عليك السعي في دفع هذه المضرة الواقعة اللاحقة بالدنيا والدين. فشرط عليهم شروطا وأقام بين ظهرانيهم مرشدا معلما مربيا، سائسا إلى أن توفى –رضي الله عنه– بحدود عشرين تاسعة المئين، ودفن غربي ولاته إلى شفا واد عميق، فلما مرت عليه مائة من السنين وانهار الجرف الذي هو على شفاه ، انقطع عنه السيل أعواما وتضرر بذلك أهل ولاته. فرآه ولي من أوليائهم في النوم وقال له: إن أردتم أن يسيل واديكم فانقلوني عن

أو العكس، وبالرغم من ذلك فإن غانه تطلق على المجال للسوداني شبه الغا بوى الواقع جنوب الحافة الصحراوية التي تقع عليها ولاتة، فليس في الأمر اذن كبير إشكال من هذا الوجه.

[316]– حسب رواية للشيخ الكبير في الإرشاد (191–192) فإن الشيخ البكاي ((اشتغل بالمسير فقال لهم عالمهم إنكم ما صنعتم شيئا يأتيكم ولي من اولياء الله تعالى مثل هذا وتتركوه يخرج من بلادكم وقد علمتم ما هي عليه من الفساد(....) [وهو] تقدرون عليه بالشرع فإنه لايخالف الشرع فاتبعوه حتى لحقوا به وهو يريد المشرق على رسم السياحة فقالوا له نحن بالله وبالشرع معك فلما سمع ذلك سقط لوجهه وكتف يديه وراء ظهره وقال السمع والطاعة لله ولرسوله ولامتثال شرعه ورجع معهم إلى القرية فأتوا عالمهم فقالوا له نشارعك إلى العالم فقال لهم رضيت فقال له العالم : الأمر ظاهر هذه مدينة فاسدة قد بلغ الفساد الغاية فيها (...) فقال لهم بشرط أن لاتخا لفوني فيما آمركم به من امر الله تعالىوسنة رسوله...)).

شفاه. فأخبر بذلك أكابر المحاجيب. فاجتمعوا وأجمعوا على نقله فنشبوه، فإذا به وكأنه بفور دفنه لم يتغير وإذا بدموعه تسيل على لحيته. ونقلوه إلى الموضع الذي هو به الآن[317].

وروضة والده سيد محمد الكـنـتي بفصك[318] من تازيازت[319]. وقطن بنوه بعده بشيعتهم بالصحراء. فولد سيد محمد الكنتي الصغير سبعة رجال وامرأة: سيدويس[320] ولدَ سيدأحمد[321] وله ثلاثة بنين، بسيف، أمه آسية بنت سيد أحمد بن أبي بكر، وسيد عبد الوهاب وسيد عبد المومن، أمها جكنية، وهم أولاد بسيف[322].

---

[317]– اورد صاحب الإرشاد: 189-190 حول حادثة نقل القبر، رواية أكثر تبسطا مما في الغلاوية، ونصها: ((لما انتقل السودان من بلاد ولاته إلى غانة صار موضع البلدة مسيلا للمياه فلبث المطر عن ولاته أعواما وذلك للوادى لم يسل حتى هموا بالجلاء فأتى سيد احمد البكاي في النوم بعض الأولياء من ذرية عبد الرحمن المحجوبي فقال له إن أردتم أن يسيل واديكم فانقلوني من مجري السيل فإنه لاينبغي للسيل أن يمر على قبري ثم أتي ثانيا في النوم فقال له مثل ذلك ثم أتى ثالثا فقال له مثل ذلك فأخبر الناس بما رآى ثم قال الأخر وإني رأيت مثل ما رأيت وقال الثالث وإني رأيت مثل ما رأيتما فاجتمعوا كلهم وكان في ولاته يومئذ سبعون عالما متفننا فاجتمع رأيهم على أن الأولياء لاتأكلهم التراب فذهبوا إليه فنبشوه فإذا هو كالنائم لم يتغير شيء من أكفانه فضلا عن جسده فأدخل رجل منهم يده بين وجهه وكفنه فإذا عيناه تهملان بالدموع كما كانت في دار الدنيا فنقلوه إلى الموضع الذي هو فيه الآن...)) والمدخل المشار إليه هو ما ذكره البرتلي (ت1215هـ) في (فتح الشكور): 31، في ترجمة للبكاي، أن ((قبره بجبل ولاته الغربي قريبا من الديار جدا..)).

[318]– فصك: من تيجريت من آكشار في منطقة إنشيري من الشمال الغربي من موريتانيا الحالية.

[319]– تازيازت: من الشمال الموريتاني الحالي. وتشمل حاليا انوانيبو و لنوامغار واتميمشات. راجع: ابن حامد، الجغرافيا :216

[320]– سيدويس: أمه بنت سيد الوافي الشوف، أمها بنت سيد أحمد بن ببكر الحاج بن البكاي. (ابن الحاج عبد الله، النبذة:13)

[321]– سيد أحمد: وأولاده: سيد بسيف، وديلب ومحمد، والأمين أبلي ديلب. وولدا أيضا سيدي محمد بوسيف، حبيب الله بن بسيف الدخيل، وسيدي عبد الرحمن. (إبن الحاج:13).

[322]– اولاد بوسيف : سبق ذكرهم.

ثم سيد أحمد الكريم جد أولاد أحمد كنت[323]، ثم سيد أبوبكر جد أولاد سيد ببكر[324] وهما اكبر من أبي سيف. ثم سيد عمر جد المتغمبرين[325] ثم سيد المختار النقره جد الركبات[326]، ثم سيد الواف الشواف ولد أوكال جد أهل أوكال[327]، أمه من أولاد احمد اكلال[328] جكنية، ثم سيد حبيب الله بن سيد محمد الكنتي، جد أولاد سيد حيبلله[329].

هذه شجرة القاطنين من كنته بتكانت[330] وأ كان[331] إلى وادان[332]. وهم أولاد سيد محمد الكنتي الصغير. وتفرع من

---

[323]- سيداحمد الكريم وله ثلاثة بنين: سيدعمر ولبريدم وأبا العرفان . إبن الحاج عبد الله ، النبذة ، ص5 وفيه قال محمد ابن محمدي العلوي وهو من العلويين السجلماسيين حسب رأي الأستاذ ددود بن عبد الله ، من قصيدة طويلة في مدح أسلاف الكنتيين :

وفى أحمد الكريم ما شئت من ندا ومارمت من مجد وفضل وسؤدد

راجع: الإرشاد 194.

[324]- سيد أبو بكر: له لربعة بنين: سيد الوافي، أمه لمتونية، ولخاه سيدي ويس، وأخاهما محمد الد سيدي عمر المهاجري وأخيه محم. راجع: ابن الحاج.

[325]- سيداعمر : ولد ابنين سيدلحمد ابن عمر، ويسد المين ابن عمرجد المتغمبرين.

[326]- سيدالمختار النقرة : ولدَ سيد محمد ابن المختار ولهذا الأخير إبنان . راجع: (ابن للحاج 14).

[327]-أمهم هاو من تجكالت. (ابن الحاج:14-15).

[328]- الفرع الجكني الذي خاض الصراعات السابقة الذكر.

[329]- من كبريات البطون الكنتية التي ناهدت أهل سيد محمود في تكانت .

[330]- تكانت : أي الغابة، في لسان البربر. تحتل المنطقة الوسطى من المجال الموريتاني الحالي، وهي اليوم الولاية التاسعة. راجع: ابن الأمين، الوسيط: 443-445.

[331]- أكان: عبارة عن حزون وجبال وآكام ، يمتد مشرقا من جنوب آدرار .

[332]- ودان: راجع الهامش السابق.

اخويه سيد أبي بكر الحاج[333] وسيد أعمر الشيخ[334] من كنته القاطنون بأزواد[335].

بعد الترحل أزمان كفكافة[336] بالصحراء العام الفاتح لثلاثين سنة بعد المائة وألف[337].

فولد أبو بكر الحاج ولد سيد أحمد البكاي إبنين سيد أحمد فقيه كنتة وسيدي عبد الرحمن أخاه ، أمهما تندغية[338]، وتوفي عنهما أبوهما سيدي أبوبكر الحاج وهما صغيران، فكفل سيدي

333– أبوبكر الحاج:

334– سيداعمر :سبق ذكره .

335– لزواد: ((بزاي مفخمة بين الظاء والزاي)) البلاد الواقعة حاليا ضمن شمال غرب جمهورية مالي وهي في الأصل من بلاد شنقيط في للدلالة الثقافية للمصطلح ، حيث لاتزال تعمرها بعض القبائل الشنقيطية مثل : كنتة ، تجكانت ، البرابيش ،دوبسات ، وغيرهم ... ذكرها الحسن الوزان، وصف لفريقيا:2 148 وقال: ((فلاة .. وعرة جدا لاتسلك إلى بمشقة عظمى تسمى أزواد، لاماء فيها ولامنزل طول مسافة ما تتي ميل وبئر أروان الذي هو على بعد مائة وخمسين ميلا من تمبكتو يكوت فيها كثير من الناس حرا وعطشا...)). ووصف الوزان لأزواد هو أول وصف متكامل بقاسم رحالة عربي مسلم، ولاسيما انه زار المنطقة ووصفها من قرب. كما يرجع ذلك من وجه آخر، إلى الأهمية الاستثنائية التي حظيت بها هذه المنطقة منذ ازدهار المحور التجاري الأوسط للرابط بين توات ومناطق الشمال مع تنبكتو ومنطقة حوض للنيجر. وتضاعفت أهمية منطقة أزواد وشهرتها بعد ان استقر بها العلامة الشيخ سيد المختار الكنتي وأسس بها زاويته المشهورة. حيث تردد ذكر أزواد (بصيغة أزوات) في المصادر المشرقية التي ترجمت للشيخ الكبير مثل: الزبيدي، في معجم المشايخ: وللطهطاوي، تخليص الإبريز: وظل الحال كذلك على عهد ابنه وخليفته الشيخ سيد محمد، حين زار الرحالة المشهور جوردون لينغ المنطقة فذكر لزواد ضمن ((بلاد سيدي محمد)) أي منطقة النفوذ المباشر للقيادة الدينية والسياسية الكنتية في شمال عقبة النيجر. رلجع: وذكر لبن الأمين، الوسيط 458، أزواد وسكن الشيخ سيدي المختار وذريته بها ، وذلك في سياق الفصل الذي عقده في ((الكلام على شنقيط وتخطيطها)).

336– ذكر الشيخ محمد الخليفة، في رسالة له إلى أولاد بردة في شان ابنه زين العابدين فقال: ((نحن في لزواد منذ قرن ونيف ولم ندع قط أنا املك له من طارئ عليه ولا أنا أولى به من احد كائنا من كان إلا موضعا عمرناه ببناء ونحوه فنملك منه ما يملك بالعمران لاغير)). راجع: هارون، كتاب الأخبار:1: 112-113.

337– يوافق 1717 م.

338– تندغه: من أقدم التشكيلات القبلية في الكبله ومن أمهات القبائل الزاو ية ذات التجذر الديني والحضاري المكين ، ويرى ابن حامد أن اسم القبيلة تحريف لانتضع أو ما يشاكله من الصيغ الصنهاجية، أي بني ورتنطق/ البيت المعروف من نبلاء لمتونة. راجع: لبن حامد، تندغه: ص1 وما يليها. الجغرافيا: 45-48.

محمد الكنتي سيدي أحمد الفقيه وكفل سيد أعمر الشيخ سيدي عبد الرحمن، وهما اللذان ولدا الهمال.

وولد سيد أعمر الشيخ ثلاثة أولاد أكبرهم سيد أحمد بن أعمر الملقب بالفيرم[339]، وطريده سيد المختار الشيخ[340]، وصغيرهم سيد الوافي، وأمهم إيشلية اسمها فاطمة وتدعى تمخلصت بنت ألفغ يلب[341]. الأول جد الركاكده[342]، والثاني جد أولاد سيد المختار[343] والثالث جد أولاد الوافي[344] فقبر سيد أحمد

---

[339]– الفيرم: أي الأثرم. توفي حدود950 هـ ، ترجم له الشيخ سيدي محمد الخليفة، الطرائف:2 75-76 وقال: ((كان عالما عاملا))، والشيخ المختار الكبير في الإرشاد: 185-186، وذكر سبب تسميته بالفيرم (الأثرم)، بقوله: ((أنه بينما هو في قافلة كبيرة وهم يريدون اتوات إذ عاينوا جيشا وعاينهم الجيش فلما كان ذلك أمر بحبس القافلة فحبست ثم أشار بأصبعه إلى جهة العدو فقال لهم قد كفيتموهم فانزلوا ففعلوا ما امرهم به فجاء العدو إلى القافلة فإذا هي حجارة فيما يرون فأخذ رجل من العدو رمحه فقال والله لقد كان هذا الحجر رجلا على جمل أبيض عليه ثياب بيض فصادف ذلك سنه فكسرت وبذلك لقب بالفيرم بالفرمة التي وقعت في سنه...)).

[340]– سيد المختار الشيخ: خلف أباه في مقامه الفكري والاجتماعي. ترجم له الشيخ الكبير في الإرشاد:179-186. وذكرعلاقاته مع الملوك السعديين، وصراعه مع بعض قبائل البرابيش في الصحراء. وأورد جوانب من سيرته ومناقبه.

[341]– في وثائق ابن الحاج عبد الله:17، تمخلصت بنت أكيغ يلب: ونرجح أنها ابنة الفقيه (ألفغ) يلب بن محم من إيدغمحم. راجع: ابن حامد، الجغرافيا:37.

[342]– الركاكدة: نسبة إلى سيد محمد الركاد ((وسبب تلقيبه بالركاد أنه أتاه قوم يختصمون في معضلة فوجدوه نائما فقضى بينهم وهو نائم فجائت تلاميذه ففسر لهم وهو نائم فلذلك لقب بالركاد...))، الإرشاد: 186 وقد تفرع الركاكدة من ابنه وخليفته أحمد بن سيد محمد الركاد(ت1063هـ). راجع: الطرائف:2: 68-69.

[343]– أولاد سيد المختار: يوجد نسله في الواحة ((زاوية كنته)) في اتوات من الجزائر الحالية ويؤلفون بطونا مستقلة تحت اسم أولاد سيد المختار، لدى كنته الشرق. راجع: مارتي، كنته الشرقيون:37.

[344]– أولاد الوافي: التحقت ذريته بهجرة كنته نحو الشرق: [أزواد –في مالي] وفروعهم الأساس: أهل الشيخ سيد المختار وفروعهم في أزواد وكاوة (–في مالي) وأطار، الاك، تجكجه، العيون العتروس (في موريتانيا) والمصادفة، أولاد أعمر في كاوة (–مالي)، وأولاد ملوك البيض في كاوة وتنبكتو (في مالي). راجع: ابن حامد، الجغرافيا: 57مارتي، كنته الشرقيون:37.

بالجاش[345] من أرض الساحل[346] يدعى بين أهل تلك الأرض بروضة سيدي أبي الأنوار[347].

وقبر سيد المختار الشيخ[348] بزاوية كنته[349] من توات وقبر سيد الوافي بالمريرة[350] من أرض الصحراء[351].

345- الجاش:من العروق الرملية من منطقة الحمادة في الشمال .

346- الساحل: هو الشمال في عرف أهل الصحراء.

347- أبو الأنوار: لم نستطع تحديد مكانه ، وليس هو بالأنوار في أزواد ولا الموجود في ولاية داخلت انوانيبو الموريتانية الحالية .

348- جاء في كتاب الإرشاد:183 أنه ((لما مات سيد المختار بتوات بنوا عليه قبة عظيمة على عادتهم بالأولياء فرأوا أنه خرج من قبره فهدمها ثم بنوا عليه ثانية فهدمها ثم بنوا عليه ثالثة فأتى بعض صلحاء توات فقال له قل لهم يقول لكم المختار أنه هو أبوا المساكين في الدنيا وفي الأخرة فإذا بنيت علي قبة لم يصل إلي إلا الأقوياء من الناس وليس البناء على الأموات من السنة المستعملة ونحن لصحاب السنة في الدنيا والأخرة ، فلم يبن عليه من يومئذ وهو مشهور بتوات إلى يومنا هذا...))

349- زاوية كنته: مؤسسة ثقافية وصوفية هامة، كان لها دور حاسم مشهور في الحركة الفكرية والإشعاع الصوفي في الصحراء، وفي تسييروكاب الحاج وتنشيط التجارة مع السودان الغربي. أسسها الشيخ سيدى أحمد بن سيدى محمد الرقاد (ت1063) حسبما جاء في رواية الشيخ للخليفة، الطرائف:2: 68-72. ((وفيها أنه هو الذي بنى الزاوية بعد الله وخوارق العادات (...) [و] أنه لما قدم اتوات من عند صاحب أكرزاز بعد ما وجهه إليه [سيدي محمد] آذ فال، نزل بسيدي عبد القادر صاحب الزاوية وكان مكاشفا يتكلم على الخواطر، فقال يابن الرقاد ابن زاوية حيث تبول بغلتك هذه بين قصر أبناء القطبي، لقوم ظلمة جورة، لينتقم الله تعالى منهم بك، فإن الله تعالى جعل النقمة من الظلم على أيديكم وإنهم طغوا في البلاد وأطلوا في الفساد...)). وصاحب اكرارز الوارد في النص هو أحمد بن موسى (ت1018هـ/ 1610م) ولد بكرزاز في المغرب وسمي بمكان مولده. أخذ عن محمد السهيلي عن أحمد الراشدي عن زروق . أما سيدأحمد آذ فال فهو تلميذ أحمد بن موسى ((صاحب أكرزاز))، وكلاهما زروقي شاذلي، فلعل مؤسس زاوية كنته هذا كان شاذلي الطريقة، ولعل سند شيوخه قد اختلط على النساخ مع سند شيوخ المختار الكنتي، فيكون ذلك من أسباب الخلط والاختلاط في السند القادري الكنتي المختاري. كما هو معروف. وظلت الزاوية الكنتية بتوات على صلة وثيقة بمنا بعها الحضارية والفكرية في الشرق الموريتاني الكبير حيث كان لأعيانها جانب من مهمة تسيير الركب الحجي الولاتي السنوي الضخم ذكر ذلك الفقيه للولاتي الشهير محمد ابن أبي بكر الصديق البرتلي (1140-1219) في مصنفه القيم: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: 48 أثناء ترجمته للحاج أحمد بن الحاج ألمين الغلاوي الملقب ((التواتي)) وهو أصيل ((ولاته))، فقال : ((حج مرات بيت الله الحرام، وهو شيخ للركب من أرضنا حتى يصل إلى توات فيكون الأمر لأبي نعامة...))وأبونعامة الكنتي هو المترجم له في معجم المشايخ للزبيدي: ورقة 18، حيث قال عنه ما نصه: ((أحمد ابن محد بن عبد الرحمن أبي نعامة التواتي الملقب بالبكاي صاحب النير (=كذا في الأصل) والسر والمدد والكرامات منازلهم في آقبلى من عمالة توات وزاويتهم محترمة وقد تولى مشيخة ركب الحج كعادة أبيه وجده وكنت قد سمعت به ووصلت إلي أخباره وكاتبته وعقدت معه عدة الأخوة ثم ورد علينا حاجا في أثنا سنة1197 فاجتمعت به وشاهدت من محاسنه ومكارم أخلاقه ما يفوق عن الوصف وقد جددت معه عقد الأخوة والمحبة وسمع مني أشياء وكتبت له الإجازات ودعا لنا بالخير وعاد لبلاده ولا تنقطع علي مراسلاته وهداياه بارك الله فيه.)).

وسبب الفرقة بين كنته حرب وقع بين أولاد ملوك البيض والكحل وكان الكحل منضافين إلى سيد ويس، والبيض منضافين إلى الوافي، فسبب ذلك خصومة ونزاعا بينهما فتثاوروا يوما فقبض ويس على معصم الوافي ووطئ الوافي على مشط رجل ويس وجذب الوافي يده فبقي ما على العظم من لحمها بيد ويس وجذب ويس مشط قدمه فبقي ما على المشط من اللحم تحت قدم الوافي. فقال سيد اعمر الشيخ لسيد محمد الكنتي: افرق لنا بين هذين الفحلين، فهو أبقى على ذات البين. فقسما مامعهما من اللحمة والحشم والغاشية[352]. فاستوطن سيد أعمر الشيخ من

وكنا توصلنا (ولد السالم، العلاقات الفكرية:) في نقاش هذا النص الهام (اكتشفناه ضمن نصوص معجم المشايخ في مكتبة عارف حكمت للوقفية في المدينة المنورة سنة1992) إلى أن الزاوية الكنتية بمركزها الأم في أزواد (أقصى الشرق الموريتاني) وفرعها الرئيس في توات ، قد ظلت متألقة فكريا ودينيا منذ تأسيسها في القرن 11هـ / 17م لكن القرن الثاني عشر وبداية (18- 19) كان عصرها الذهبي الذي أشعت فيه علي غرب الصحراء والمشرق العربي لكن دور للزاوية الكنتية بتوات سيصاب بتراجع نوعي بفعل عوامل ليس هنا مجال شرحها وليس أقلها الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830. وتراجع التجارة عبر الصحراء وتدهور طريق للحاج عبر توات وعموم الصحراء الجزائرية بفعل الحضور الاستعماري وبالرغم من ذلك فإن :ك. كوبو لاني p260 confreries (*) les copolani وقد وصفها في نهاية القرن التاسع عشر بأنها لاتزال لعهده ((من أغني الزوايا التواتية)).

[350]- من حدود الساقية الحمراء .

[351]- يقصد للصحراء المغربية الحالية .

[352]- يعتقد وايتكنب (Wihitcomd. (2) P411)، أن انقسام كنته إلى فرعين كان مرتبطا بالحروب التي وقعت بين تجكانت وادت إلى خراب تنبكي، وهجرتهم عن آدرار نحو الجنوب حوالي نهاية القرن 10هـ/16م أو بداية القرن 11هـ/17م وبيان ذلك أن الفرع الكنتي للمنضاف إلي سيدي ويس قد انحاز إلي الطف الجكني الذي كان يحارب أولاد أعمر الكلال للجكنيين الذين كانوا أخوالا للوافي. وبالطبع فإن تواريخ الحرب بين تجكانت، والهجرة عن تنيكي، والصراع بين الجكنيين، غير معروفة بدقة.
وحسب رواية تجكانت فإن جد سيد المحجوب، قائد تجكانت تكبه (في للجنوب-بلادالحوض) قد هاجر من تنيكي قبل بداية سكانها الجكنيين. ويقال أن سـيـد المحجوب للجكني ولد بعد هجرة تنيكـي وتوفى (سنة1106هـ/1695) معمرا. لذا فإن الحرب بين تجكانت وهجـرتنيكي يمكن أن يكـون قد وقع بين 957هـ/1550م و5-1034هـ/=1625م. وتبعا لنص الرسالة الغلاوية (الوارد أعلاه) فإن انقسام كنته وقع إبان حياة سيداعمر للشيخ الذي يقال أنه توفى سنة 960هـ/1553م ولقد كان للنزاع الجكني، في

الساقية الحمراء إلى ازبار[353] إلى الحمادة[354] إلى آركشاش[355] إلى واد الشـــب[356] بشــرق توات ومتجرهم ومكيلتهم سوس الأدنى[357].

إلى درعة[358] وسجلماسة[359] إلى توات. فإذا كانوا بأركشاش وماوا لاه، سافروا إلى السودان، فريق: إلى قرية تيمبكتو[360]، وفريق إلى السودان الأكحل: كاشنة[361] وكوبر[362] وهوصا.

بدايته، صراعا بين إدوشار والكواليل، لكنه لم يلبث أن تطور بسرعة إلى حرب شاملة بين بطون تجكانت بما فيها أولئك الذين كانوا أخوالا لبعض الفروع الكنتيين التي ستدعم بالواقع الحال، منزع خؤولتها الأقرب.

353– أ زبار : الكثبان الرمليةالممتدة على الساحل الأطلسي .

354– الحمادة : المنطقة الممتدة من للشمال الموريتاني في اتجاه للجنوب الغربي االجزائر ..

355– آركشاش : هوفي الاصطلاح للسلاسل الرملية الممتدة بشكل طولي بينها منخفضات أو وديان . والمقصود هنا هو لركشاش للواقع في جنوب شرق لحمادة من للشمال الموريتاني الحالي ,

356– وادي الشب : المفهوم لنه يقع في أحواز لحمادة .

357– سوس الأدنى : من أحواز المغرب الأوسط .

358– تعريب دْرا: المنطقة التي يمر بها نهر درا (درعة) في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي كانت بها للقوافل الغادية والرائحة بين طرفي الصحراء. راجع: لحمد التوفيق، التعليق 517، ص224 في التشوف للتادلي والحسن الوزان، وصف افريقيا2:- 119.

359– سجلماسة : للحاضرة العتيقة الواقعة ضمن تافيلالت الحالية . كانت في للعهد الوسيط محطة كبرى على طريق تجارة للسودان . ثم لم تلبث أن هجرتها القوافل ، وأضحت أطلالا دارسة يعرفها المغاربة بالعامرة تفاؤلا .

360– تنبكتو: حاضرة ذات دور علمي وسياسي وحضاري كبير، تأسست شمال نهر النيجر علي بعد 12ميلا من أحد فروعه الصحراوية. أسسها ((الإيمغشارن)) من نبلاء التوارق ((المسوفيون)) في القرن الخامس (11م) ولم يلبث أن جذبت لنتباه التجار المغاربة، فانتقلوا إليها بالتدريج تساوقا مع الزحزحة البطيئة لمسالك القوافل نحو المحور الأوسط الرابط بين نهر للنجر واتوات شمالا فكانت "عمارة تنبكتو خراب بيرو [ولاته] " علي حد تعبير السعدي (تاريخ للسودان :20–22)وقد فصل هذا المؤلف في ذكر تاريخ المدينة ولطورها عمرانيا وبشريا إلى أيا مه هو نفسه (2/1 ق 17م). راجع : السعدي ،تاريخ السودان: 20–22 (من النص العربي)، الوزان، وصف افريقيا: 2: 165–166 وابن بطوطة الرحلة: (ذكر للسودان) ، وحديث هذا الرحالة عن تنبكتو هو الذي سمع للأربيين بالحديث لأول مرة عنها، حيث كتب اسمها في الخارطة النصفية الكاطالانية للتي ظهرت عام 1375 تحت لسم (تنبوش) انظر أيضا: محمد الغربي، بداية الحكم للمغربي في السودان الغربي: 573- 574.

وجيرانهم من أولاد حسان أولاد اسنـــان[363] من أبـــناء دليم[364]، وبنـــو عبد الرحـــمن[365] وبنو عبد الحق[366] من البرابيش[367]، وعريب[368] وبنو محمد[369] من عرب الصحراء.

واستوطن سيد محمد الكنتي الصغير من طرف الساقية الحمراء الغربي إلى تيرس[370]، إلى آدرار[371] إلى آوكار[372] إلى تكانت[373].

361- كاشنه: في شمال نجيريا الحالية. وصفها الوزان، (وصف افريقيا:2: 173- 174) خلال القرن 16م وذكر سكانها وعاداتهم وخضوعهم لمملكته الصانغاي.

362- كوبر: من مماليك حوض النيجر، (ضمن نيجيريا الراهنه) راجع عنها الوزان:2: 171-172.

363- أولاد سنان: هم الفرع الثاني من أولاد ادليم بن حسان، ويعرفون (بدليم الشرق) ومن أولاد سنان أولاد المولات وهم بطون اولاد بوكرزي وأولاد أحمد بن بل وأولاد بوهند، والرياسة في أولاد المولات لأهل محمد الأقرع بن عبد الرحمن بن بد وكانت الرياسة قديما في أهل هيب من أولاد بوكرزي. راجع: محمد صالح ابن عبد الوهاب الولاتي الناصري، الحسوة البيسانية:32.

364- أولاد أدليم: من بني حسان، كانوا في مؤخرة القبائل الحسانية التي زحفت على المجال الموريتاني الحالي، وبقيت مجالاتهم بالأساس للصحراء الغربية الحالية وما يليها. وصف الحسن الوزان (ق16)، وصف افريقيا:1: 54 مجالاتهم وقدر قوتهم بعشرة آلاف رجل، أربعمائة منهم فرسان والباقي راجلون، وينقسم أولاد أدليم إلى فرعين: أولاد امعرف وأولاد أسنان، وهم الذين أوقعوا وقعة أم عبان (أم عباءة) بني عمومتهم المغافرة في عام (1107هـ) فمن المعرف : أولاد اللب المغفري بني الشويخ وفيهم رئاسة أولاد أدليم كلهم والقرع وأولاد ارميثي وفيهم عدد ورياسة وهم لوديكات، راجع: صالح ابن عبد الوهاب الولاتي الناصري، الحسوة: 32.

365- بنو عبد الرحمن: قبائل من البرابيش، كان فيهم بيت الرياسة قديما، منهم رئيسهم الفلالي بن عيسى بن سليمان كان في أيام مولاي عبد الملك وأيام أخيه عبد الوليد وهما أبناء مولاي زيدان مولاي الذهبي من الملوك السعدية، وذكر المختار الكنتي في الإرشاد ، مخاطبتهم لجده سيد المختار بن سيداعمرالشيخ ومآل ذلك، راجع أيضا: ابن عبد الوهاب، الحسوة:32 .

366- بنوعبد الحق: لم نجد لهم ذكرا في اعداد قبائل لبرابيش ولعلهم يعرفون باسم آخر.

367- البرابيش: أولاد حمو ابن حسان، من أقدم القبائل الحسانية حضورا في الصحراء، وكانوا الأقرب إلى مجالات التوارق في منطقة الساحل الصحراوي .راجع: الحسن الوزان ،وصف افريقيا:1:54 ابن عبد الوهاب، الحسوة:32- 33 وابن حامد، 86. الجغرافيا: 85-. ابول مارتي :

368- أعر يب: كانوا يغيرون ضمن تشكيلات البرابيش .

369- بنو محمد: من البرابيش .

370- تيرس: الزاوية الشمالية الغربية لمن الشمال الموريتاني المصاقب للساقية الحمراء .

371- آدرار: سبق ذكره .

372- آوكار: سبق ذكره

373- تكانت: راجع (327).

وأكّان[374]، أعرابا اهل نجعة مكيلتهم بنكو[375] وما والاها، وأطراف فوته[376] ولا كبير عناية لهم بالسفر والمكيلة، كحال غيرهم من زوايا المغرب الأقصى[377]. وإيدوالحاج زمنئذ زوايا لسانهم العجمية[378]، وهم أهل علم ودين ودماثة ولين ومحبة فيما بينهم وبين كنته. وبعيد أن يكونوا حلفاءهم فضلا عن أن يتجروا تحت خفارتهم أو في جاههم يعرف ذلك ضرورة العام والخاص ويكذب عبد الله فيما ادعى من ذلك استحالة إمكان دخول كنته تحت حلف إدو الحاج إذ المعروف بديهة دخول الضعيف تحت حلف القوي والخامل تحت خفارة النبيه والمهين تحت كنف المهيب، ولايكاد يولف الشيء ويشيع ثم ينقطع ويخفى إلا ويبقى له أثر رسم أو تروى منه أثارة علم ولاأثر لما افتخر به هذا المسكين ولاأثارة من علم يظهر بها ويبين، حيث يقول:

ونلتم غنى إذ صرتم حلفاءنـــــا وفي جاهنا سرتم تجارا إلى تكتـــا

---

[374]– راجع: الهامش (328).

[375]– بنكو: في غرب مالي حاليا .

[376]– فوته :

[377]– المغرب الأقصى : يقصد جنوب غرب موريتانيا الحالية وما يتاخمه شمالا .

[378]– المفهوم أنه يقصد لغة أخرى ليست بربرية خالصة كانت متداولة في ودان قديما، والأرجح أنها "اللغة الأزيرية" التي هي مزيج من لسان البربر (الصنهاجية) ولسان الصوننكي السوداني (الماندانغية)، وقد نشأت أساسا تحت ضغط حاجة التعامل التجاري على طول الطريق الغربي (من آدرار والشرق الموريتاني نحو السودان) وهي في معظمها داخلة في نطاق الأريزي. لكن يبدا ان المؤلف يخلط بين إدو الحاج كتشكيلة عربية والمجموعات القديمة مثل إديجر التي هي قبيلة أجر المذكورة في المصادر الحديثة (تاريخ السودان:22) وقد اتصلت هذه المجموعات تتحدث الأزيرية إلى عهد قريب (ق17) في عهد كان سكان وذان الجدد (إدو الحاج) قد أسسوا النهضة الفكرية والاقتصادية تحدثت عنها المصادر المحلية والاجنبية حديثا يدل على أن المعنيين كانوا مجموعة مختلفة.

ونحن بنوا الحاج الكرام أئمــة   هداة كماة قبل أن يذكروا كــنتــا

فانظروا نظر الله إلينا وإليكم بعين حفظه وعنايته، وحفظنا وإياكم بسور عصمته وكلائته ورعايته إلى ما زور به دعواه الباطنة الباطلة من ادعائه الأباطيل الكاذبة الظاهرة الخاطئة، من دعوى وصول الغنى لكنته بسبب حلفهم، فإن كان محط كلامه القبيلة بأسرها فكذبه واضح وزوره فاضح.

وليس يصح في الأفهام شيء   إذا احتاج النهار إلا دليل[379]

وإن أراد أولاد عبد الله بن المتغمبري[380] الذين هم أخوالهم ومساكنوهم فنعم ولايكون ذلك لاحقا بالقبيلة كلها، سيما وغناهم الذي يعد غنا إنما حصل لهم من الزكاة المأخوذة من التوابير وغيرهم من أصحابهم الذين ورثوهم عن آبائهم وأجدادهم ولم يحصل ذلك لهم ولا لإدوالحاج إلا بعد سلم حربهم مع إدوعلي الذي وقع بعد ستين من القرن الثاني عشر[381]. وتوفي عندنا حداد من حدادة أولاد بسيف بعامنا هذا عـــام أربعين بعد المائتين والألف[382] حضر فيه وهو فتى في ريعان شبابه وحكي لنا وهو

---

[379]- البيت للمتنبي، وهو في ديوانه.

[380]- هم كنتة وادان .

[381]- كانت هذه الحرب في(1154- 1155) راجع الهامش رقم (234).

[382]- الموافق: 1824م ، وهو تاريخ كتابة الرسالة للغلاوية.

376م - شنقيط: (= شنجيط)، حاضرة عتيقة من مدن منطقة آدرار إلى الشمال من وسط موريتانيا الحالية، تأسست شنقيط سنة 600هـ/1261م قرب حاضرة أخرى كانت تعرف ب"آبير"، بنيت حسب

صدوق، وافر العقل: أنهم لما وردوا على وادان ألفوا أهله في غاية الشظف وسوء الحال وأنهم إنما خرجوا إلى شنقيط 376م على أبعيرات جرب ولا إبل لهم يومئذ ولالرعاتهم ولا لمن ثم من المتغمبرين، فلما فعلوا واستقر بهم المنزل وعلم إدو الحاج أن لاقرار لهم بعد الوقيعة إلا بالإضافة إلى كنته، أسلموا إلى سيدي احمد بن سيد امحمد بن عبد الله ولاية القصر طائعين وألقت إليه الدنيا مقاليدها فدخلت إليه من غالب الأبواب، وتعلقت إليه بالعرى والأسباب، فنصح لهم في ولايته عليهم.

يداري عنهم ويدافع ويواسيهم بماله ويصانع في دولته وبقائم صولته أشرأبت نفوسهم للمطاولة وأشربت نفوسهم حب المقاولة والمصاولة، يعرف هذا كله بديهة من لم ينكر ومن لم يجحد، ولم يعاند الحق ولم يلحد.

الروايات الشائعة، سنة 160هـ /776 ثم اندثرت في ظروف غامضة فهاجر أهلها إلى موضع قريب منها وفيه أقاموا للمدينة الجديدة.

ومع أن الباحثين المعاصرين يرجحون أقدمية المدينة، إلا أننا لانعرف حتى الان ذكرا لمدينة شنقيط في أي مصدر مكتوب قبل للقرن التاسع الهجري (15م).

لكن القرن الثاني عشر الهجري (18م) كان عهد الازدهار الفعلي لمدينة شنقيط بوصفها محطة للقوافل التجارية ومنطلقا لركاب للحاج المنطلقة من أقاليم موريتانيا اليوم، وقد أكسبها دورها كمحطة لقوافل الحجاج، أهمية استثنائية لدى المشارقة بحيث عمموا اسمها على كامل للبلاد (بلاد شنقيط)، وهو أمر مألوف لذلك إذ كان يشار إلى البلد با شهر مدنه. كما نسبوا إليها كل الحجاج القادمين من تلك الوجهة فصاروا يعرفون بالشناقطة وواحدهم شنقيطي. راجع: السعدي، تاريخ للسودان، ص22. (من النص العربي). التتواجيوي، رسالة في تبيين مخرج للجيم، (مخطوط). ابن الحاج ابراهيم، صحيحة النقل (مخطوط). ابن الأ مين الشنقيطي ، الوسيط ، ص422 . ولد السالم (حماه الله) : العلاقات الـفكرية ص6-8. ولد عبد الله (بدود)، الحركة الفكرية: 18-25. ولد الحسن (أحمد جمال)، الشعر الشنقيطي، ص12-15.

فلما مات سيدأحمد ــ رحمه الله ــ مات بموته اهل وادان

إلا أنهم لم يقبروا

.... وقول الحق يعذب للسميع

وخال أهل وادان أنهم عامروه وبانوه، وأن إقامة ركنه المنهدم مما يقدرون عليه فيعانوه، فإذا هم بها العنقاء المغرب والشأو الذي يعجز عنه المعجم والمعرب، فهاموا ، ولا كعبد الله، في أودية الإحن وخبطوا ولاكهو خبط عشواء بمجاهل الفتن، فحصل بهم قائد الفتنة على محصول المحنة، فهم اليوم إن سلموا من الموت لم يسلموا من حسرة الفوت وإن أخطأ من أخطأ منهم سهم القتل، لم يخطئه سهم المهانة والفل والقل ، خصوصا عبد الله فقد بلغ من وهن العقل وسفاهة الرأي ما أضاع به ما أسس له والده –رحمه الله تعالى– من الشيع والأتباع، ولم يظفر ولله الحمد بما أراد من قشر صمغة كنته والاقتلاع.

فكان كذات العرك لم تبق ماءها ولاهي مما في العدالة طاهر[383]

وأصبح يهاب الخير والسلم ويترقب الشر والصدم بما فاته من خفض عيشه المألوف، وآلفه من شظف العيش ومصادمة الزحوف.

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه[384]

ومن لاينظر العواقب فليس للدهر بصاحب، بل هو اليوم :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل[385].

فإن قضى الله بسلم بين الفريقين لم يزل خائفا يترقب ما سن من سنة الغدر، وقطيعة الرحم القريب والجرأة على إلى المراتب الدينية، والمنازل الدنيوية من غير إحتشام ولاتحاش، ولاإحجام، خلافا لمن شاركه في خطته المشؤومة من أولي المراتب من إدوعيش .

خصوصا أعل ابن محمد شين[386] فإنه وإن دخل معه من باب التحازب والتحارب، فقد خرج عنه من باب مجاوزة الحد في الحنق على من كان من اهل الباطل أو من حزب الحق. إذ الإجماعي الاخباري منعقد على عبد الله أنه لايأمر بالإبقاء على نفس ولامال ولاحريم، ولا كذلك على بن محمد شين، فإنه لم يبلغنا عنه كبير عداوة لكنته بل لم ينقل عنه في هذا الحرب ما يقرب مما كان يعرف به من البسالة والنجدة وشدة الشكيمة

383– لم نعرف قائله ..

384– لم نعرف قائله .

385– للبيت للأعشى، الد يوان، [ط. دار صادر، بيروت، د.ت]، ص:184.

386– اعل بن امحمد شين: ترلس جزئيا (1242-1247/1826-1831) كان رئيسا لأهل اعل وشيعهم من إديبلي وأغراكذاي، كان عضد أخيه المختار بن محمد شين في حربه مع ابن أخيه اسويد احمد. ولما مات أخوه المختار اتفقت كلمة إدوعيش على إمارة اسويد احمد وانشق هوعن ابن اخيه عثمان لبن المختار إلى حلقا ئهم من كنته وأولاد الناصر. ورأسته طائفة قومه وجرت له أيام مع أسويد احمد أ مير عامة إدوعيش يومئذ فوقع بينهم يوم الجاكلي في أواسط جمادي الأولى سنة 1244هـ دس

والغناء بالعدة، وانهي إلينا في تأنيبه لولد له فتك بثلاثة من كنته في عصبة من قومه أنه قال لادر درك ولاعلى ذكرك، أترى ما أنا عليه من قلة الغناء والإباء جبنا مني عن كفاح الأقران ومصافحة الرصاص وعوامل المران، في حربكم المخزية وفتنتكم المرجية، ساء ظنكم بي وأخطأ ظنكم في، إنما أنا رجل أبتلى ببحر العبد، إن قطعه مات العبد وإن تركه بقي العبد معيبا، وكذلك أنى إن أبلى بلائي أبليته في أبناء سيدي محمد الكنتي، فحق أن يقال في مثلي

لقد خنت قوما ولو لجأت إليهم طريد دم أو حاملا ثقل معـــرم
لألفيت فيهم معطيا ومـــطاعنا وآواك شجرا بالوشيج المقـــوم[387]

فانظروا إلي فرق ما بين عمل الرجلين، يظهر لكم بديهة ما بينهما من البون:

فإن يك بحر الحنظلين واحدا فما تستوي حيتانه والضفادع[388]

وفي المثل: الأخلاق نتائج الأعراق، وما فيك يظهر على فيك. وهذا لا يخفى، ففي البيت الذي صدر به المصادرة بالأذى ما لو كان له عرق أو خلق بالحسن خليق، ما صدر بما يقرب من

ملاي دمب لاسويد لحمد فاغتاله ليلا فرجع إلى إدوعيش وترأس لطائفة اخيه المختار إلى ان مات سنة 1297هـ بوقعة اتويميات. راجع: ابن حامد، التاريخ السياسي(1): 179، (إدوعيش): 11.

[387]- لم نعرف قائلهما.

[388]- لم نعرف قائله.

المنحى، لكنه ساء فهما فساء إجابة وطاش عقلا فعدم إصابة. والله تعالى يقول: {الخبيثات للخبيثين[389]} أي الكلمات والفعلات الخبيثات للخبيثين من الرجال. اللهم إلا أن تغيظه نسبته إلى [كذا] أو ذكرهم، عملا بما يعتاد قديما من تحاشيهم والرغبة عن الإنتساب إليهم واستهجان ذكرهم، والانتساب إلى لتيدات:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل[390]

وفي المثل كل شيء يرجع إلا أصله. فلتيدات وإن دخل بهم كل مدخل وورد بهم من الفتنة كل منهل لا محالة راجعون إلى إيدو الحاج. فهل هو راجع إلى إيديشل؟

كل امرء راجع يوما لشيمته وإن تخلق أخلاقا إلى حين[391]

وليس صلاح أصيل الفساد بمستمر مرور الآباد، سيما إذا تعدى به الحد. فمن تعد الحد أقيم عليه الحد.

وإن صلاح المرء يرجع كله فسادا إذا ما المرء جاز به الحدا[392]

وفي الخبر من طلب الغاية صار آية[393].

فإن تك قد أصبحت في الناس ظالما ستردى كما أردى المقاول من قبل[394]

389– سورة النور، الآية 26، مدنية.

390– البيت لزهير ابن أبي سلمى.

391– لم نعرف قا ئله .

392_ . . .

393_ . . .

وقال جل من قائل: {إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} و {وإن أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال}[395]

أبا مجرم ما غير الله نعمة على العبد إلا أن يغيرها العبد[397]

ولعمر الله ما حمله على الإفراط في الاذاية وأغراه، وسلطه على من لم يهجه بهجاء وأضراه، إلا مخادعة من معه من اللصقاء، ومخالستهم ومواهلة من يرى معه شركا فيما موه به، ومد ألسنتهم. وما درى أن الكريم يوالس ولايخالس والبر لايداهن ولايدالس، وإن مما يهون علينا أقاويله وأفاعليه، مع العلم بأنه إنما يسود بذلك أساود وأفاعي له، أمور:

_ التأسي بالسلف والاقتداء بصالح الخلف. قال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا[398]} فكل من زاده الله علوا زاده المجرمون عداوة وعتوا. قال الشيخ الوالد _رضي الله عنه_

كما ان لكل نبي عدوا من المجرمين كذلك لكل ولي عدوا إذ هم ورثة النبيين. ومن صبر كما صبروا نصر كما نصروا، وظفر كما ظفروا، فما من ولي جامع تقدم إلا وقد سلط الله عليه

_394

395- الرعد، الآية 11، مدنية

397- لم نعرف قا ئل البيت .

398- الأنعام، الآية 112، مكية.

حسادا من السفلة وأضدادا من الجهلة، ومن مارس تاريخ السابقين، حصل له بذلك علم اليقين.

_ شهود منة الله علينا، فإنه ما سدد سهم الآذاية إلينا، وشن بجهله غارى العداوة علينا، ذو صولة إلا كانت لنا عليه بعناية الله الكرة، ولاذو أثرة إلا كبته الله وأضحت لنا عليه بكفالة الله الأثرة. وأما هو فيريد أن يرتفع بذلك فلا يزال مع النازلين، وينحط كل لحظة وحين مع أسفل سافلين، بل صار سوء السيرة _والعياذ بالله_ علما عليه وفعل الغدر والمكر منسوبا إليه، بحيث لو تحدث بأوصافه على الإجمال والإبهام لبادر السامع بقوله فلان هو المترجم بهذا الكلام. ولله در القائل:

وما العلم إلا كالسمـــــــاء منالهـــا بعـــيد وتدنو بالشعاع نجومها
وكم طالب للاستراق سفاهة رمته بحرمان الوصول رجومها[399]

-إن ذلك دأب هذا الرجل مع كل من أحسن إليه، أوأخذ عنه أو له منة عليه. ما أخذ عن شيخ أو عالم.

إلا أنكره أو جفاه، وما أحسن أحد قط فيما بلغنا فسلم من أذاه. وأكثر من يغتاب ويقذف من أسدى إليه معروفا وواساه، او رافقه بطريق فرفق به أو آواه، فمن ثم لا تجري المشاجرة إلا بينه وبين العلماء والكبراء، والصالحين والفقراء، لكل واحد منهم

من أذاه جزء مقسوم ونصيب مجهول أو معلوم. وما منهم ألا من تغيظ عليه، لما بلغه من أذاه وتحمل ولو شئنا لفصلنا جملة منهم واحدا واحدا ولكن الاجمال أجمل فلنا أسوة بمن أمضه الأذى منه فصبر وانتظر النصر من الله عليه والظفر، فإن المصيبة إذا عمت هانت والنائرة إذا سوت بين الناس لانت، وكنت استغرب تسلطه علينا وأقضي منه العجب وأقول ما الذي حصل له منا من سوء حتى يسيء علينا الأدب ،فإذا أنا به صادر عن علة الحسد وكمين الحقد الخالد بباطن الجسد:

وقد تعرض الأمراض للقلب مرة وأقتل أمراض القلوب قديمها

فلا تقرب منها بلينة مسها فلمس الأفاعي خشنته سمومها[400]

إن عذاب القبر أمامه والحفظة تكتب عليه خطاياه وآثامه، فلن تفلت نفس ظالمة بظلامة يوم يقوم الناس لبي العالمين بعرصة القيامة. قد عد من يعتد به من العلماء أذى المسلمين من أسباب سوء الخاتمة والملامة. ومن ظن أنه يعلو بظلم فإنه من حيث لايشعر خافض لقدره مخمل من ذكره ومن يتعرض للأسد يقبل عليه.

ومن يهن يسهل الهوان عليه ....[401]

---

[399]- ينسب للإمام الشافعي.

[400]- لم نعرف قائل البيتين.

وعبد الله هذا والعياذ بالله سعى من شؤمه في هدم بناء أبيه وردمه، إذ لاحسب له متقدما عليه ولانسب له معروف ينتمي إليه. وهو ما كان يتخوف والده -رحمه الله- على بنيه ويحجرعليهم ويعذلهم عليه. حتى لقد صح لدينا عن من يوثق به من خاصتهم أن بعض بنيه مر به على أفره حجرة في أرفع بزة، فناداه والده -رحمه الله- وقال يافلان: أترى هذه الثنية، لثنية إلى جانبه، لقد مررت بها أقود بأمك نويقة لانملك غيرها وأنتم إلى كشحيها بشقي الغبيط إلى جنبيها. فلم يزد إلى أن قال له حرك يكرك. تبجحا بحادث ما هو فيه من الحال، وصلاح البال وكثرة المال وعقوقا للوالد وتسفيها لرأيه فيما يراه من الإبقاء على الدين الذي أسس لهم بناه. اغتر به مما يغتر به -والعياذ بالله- غالب أولاد الصالحين بهذه الأزمنة نسأل الله السلامة والعافية.

ويخلفون آباءهم بما خلف به عبد الله أباه من الرغبة في الدنيا والكبر والدعوى والغلو في حب الرياسة والمنافسة في المراتب الدنيوية والجاه . وفي مثله قيل:

لئن فخرت بآباء لهم شرف لقد فخرت ولكن بأس ما ولدو[402]

وقول الآخر:

---

[401]- صدر بيت عجزه : مالجرح بميت إيلام ، من قصيدة للمتنبي، وهي في ديوانه.

[402]- لم نعرف قائل الأبيات.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكـــر
وبقيت في خلق يزين بعضهم بعضا، ليستر معور من معور[403]

ومن هنا تراهم يتحاملون على من توسموا فيه شفوفا عليهم أو مزاحمة في رتبة أو حظ إلا من عصم الله وقليل ماهم. وليس المحروم- والعياذ بالله- من أضله الله على علم، وإنما المحروم (من أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله)[404].

ولو أبصر المسكين واعتبر لرأى أن أباه أحزم منه وأبر، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: [حب المال والشرف، ينبتان النفاق في القلن كما ينبت الماء البقل]. فما ذا ترى حال من أضاف إليهما البغي والعدوان والفساد في الأرض والتطاول بالعلو فيها، مع الاغترار بدعوى أن ماهم به من الأبهة والكبر هو عز الدين، وأنهم لو لبسو الدون من الثياب وجلسوا بأطراف المجالس أهانوا دين الله وذل بذلك المنتسبون لدين الله ، وما درى الجهلة الأغبياء أنه لايعز آخر هذا الدين إلا بما عز به أوله، ولاينصر آخر الأمة إلا بما نصر به أولها. فقد عوتب أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في البذالة والتقشف

403- البيات أوردهما دون نسبة ابن قتيبة، عيون الأخبار: 1: 123.
404- أخرجه للسيوطي، الجامع الصغير:2: 106.

مما عليه أعيان الصحابة. فقال: [أعزنا الله بالإسلام لابغيره من زينة الدنيا وعدتها وخيرها وبزتها]. ولم تخص جريمة عبد الله بن الطالب محمود من دخل معه من إدو الحاج في حربه النجس وحزبه النحس، بل عمت البري منهم والمنتبذ عنهم بشؤم عمومه للعام والخاص، والداني والقاصي والجني والبري، لمن دخل تحت دائرة كنته بسبب أو نسب. مصداق سوء طويته وقصور رويته. ومن لم يصل إليه بسنانه وصل إليه بنفثات لسانه، خلاف ما عليه مقلدوه من رؤساء إدوعيش، فإنهم على ما هم عليه من فساد النيات وسوء الطويات، يرقبون العواقب ويترقبون النوائب، بل كم من عقبة شقاق وثنية نفاق، لولا إتباعه إياهم ما اقتحموا جرفها المنهار، وماتكلفوا رقي تلك المزالق والأوعار، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم إلى غرورا في تبار.

وضعيفة فإذا أصابت قدرة قالت كذلك قدرة الضعفاء[405]

اشترك في فتنته ونحس محنته مجاوروه ومشايعوه ومحاربوه.

ومنازعوهم من غير إبلاء ولادفاع، في نائبة ولا مصباع، خلاف ما نسب إلى من إليهم انتسب، والحق ما شهدت به الأعداء

---

[405]- البيت لأبي تمام حبيب ابن أوس الطائي.

وصدقه الأقارب والبعداء. أرأيتم مناقضة حال هذا المتشبه بالرجال، لما أعطاه لسان المقال من كونه في فتنة المطغية مجاهدا، وكون من عاداه باغيا معاندا، وهو مع ذلك لا يباشر الجهاد بنفسه، ثم لايشهد مشهدا إلا أن انهزم وانفل من شؤمه ونحسه، ثم هو يعتب علينا ويؤنب ويقول، صم صداه وظفر به أعداه:

ولوكنت ذا حق وشاهدت جورهم	لسلمت في قتل البغاة وأذعنـــتا
ولو كنت ذا حب لربك صـــادق	كما تدعي دأبا لشنت الـــذي زنتا
وما أنت إلا من غزية غـــــاويا	بشتم وإغراء يفل الذي صنـــتـــا
فإن كنت كنتيا كبت ككبتهــــم	وإن كنت ما هانوا تهين لقد هنتـــا

فانظروا إلى هذا البذي الفاحش الأذى، كيف رأى نفسه بعين الكمال والبراءة من كل نقص وإخلال، على من رأى خلاف ما رآه بالحط والانسفال والجهل والاستقلال، مع أنه حاكم لنفسه الشريرة، مع ما هو عليه من قبح السيرة وسوء السريرة، توصلا إلى إثارة فتنته واستجلاب أو إحنته. فمن لم يكن مثارا للشر، ولاجرار للمكر، لولا ما يحب من الدفاع والذب، عن شريعة الإسلام وسنة المصطفى المهذب:

قد أخرجوه بكره من طبيعته والنار قد تنتضى من ناضر السلم[406]

---

[406]– البيت للبصيري، من الميمية الشهيرة .

الباب الثالث :

الــفــتـــاوي

فمن الواجب المتعين على كل من له مسكة علم أو خلاق من فهم، إعلاء ما حضره في النائرة والصدع بالحق في بوار الفئة البائرة. فأقول والله المسؤول الهداية والتوفيق، والإلهام في المقول والفهم، يعلم الخاص والعام، ممن له بصيرة وعقل تام أن كنته قبيلة من قبايل الزوايا المتقادمة التي لانسبة لها في التلصص ولا في البغي ولا في الحرابة. وإذا ثبت أنه لاأصل لها في الحرابة والبغي وليس ممن عرف بذلك واتسم به متقدما، دخلوا لامحالة في غمار الزوايا الذين هم على أنحاء، منهم الذين لايحملون السلاح ولايتخذون الأتباع ولا يواسون لصا، وهم زوايا الكبلة[407].

ومنهم الذين يحملون السلاح وتاوي إليه الأتباع، ويواسون اللصوص، وهم مع ذلك متسيرون بسيرة الزوايا، متدينون، يتعلمون العلم ويعلمونه، وفيهم العلماء والأولياء ثم من تعدى إليهم، مدفوع المواسات من لص ومحارب دفعوه عن أنفسهم

وأموالهم وحرمهم، بما بأيديهم، جالبا عليهم ذلك عليهم ما هو جالب. وهؤلاء زوايا تكانت[408] والحوض[409] ومن خلفهم من الزوايا إلى منتهى المعمور.[410]

فإن وقع بين القبيلتين من نزاع وتشاجر في نائرة ردوها إلى الله ورسوله، ثم رجعوا إلى ما حكم به الشرع العزيز في النائرة. فإن اعتدى معتد منهم لم يجد مساعدا من حزبه.بل تناصرو عليه فردوه إلى الحق. ولم يجد ناصرا ولامظاهرا. فكانت هذه النائرة التي حكم الله فيها لنفسه ولا من معه من

---

[407]- المنطقة التي تشمل – تقريبا– ولاية الترارزة في جنوب غرب موريتانيا الحالية .

[408]- راجع الإحالة السابقة.

[409]- الحوض: البلاد التي تشمل الجنوب الشرقي للموريتاني الحالي وهي عبارة عن منخفض واسع يحيط به قوس مرتفع يمثل حافة هضبة تكانت للواقعة عنه إلى الشمال والممتدة نحو الغرب إلى العصابة. وقد شبه بالحوض الذي تشرب فيه الإبل، حيث تحاط حوافه بعروق من الجلد، واجتهادنا لن هذه التسمية قد جاءت في عهد سيطرة قبائل بني حسان للعربية على بلاد الحوض منذ للقرن للعاشر[16م] فكانت التسميات العربية وليدة هذه للمرحلة، كما كان للفظ الذي اقترحه المعنيون وصفا لهذه للمنطقة اسما على مسمى، ربما لتشابه بلاد الحوض مع المجالات التي قدمت منها للقبائل الحسانية.
تمتاز بلاد الحوض بخصائص ثقافية واجتماعية فارقة، منها مزاوجة قبائل الزوايا في للحوض بين وظيفتها التقليدية من علم وتعلم وتجارة مع لضراد حملها للسلاح او عدم التخلي عنه نهائيا، وينسحب الأمر نفسه على قبائل بني حسان للعربية للقاطنة بالحوض، حيث تشارك في الحركة للعلمية بقوة إلى جانب أدائها وظيفتها للحربية للتقليدية.
أمدت بلاد الحوض موريتانيا الأمس بأقطاب الحركة العلمية والصوفية من أمثال الشيخ سيدى المختار الكنتي الكبير وابنه خليفته الشيخ سيدى محمد الخليفة للكنتي، وكذا للشيخ محمد فاضل وأبنائه الأعلام مثل: الشيخ ماء للعينين مؤسس حركة للجهاد والعلم في تيرس الغربية، والشيخ سعد بوه قطب التصوف في منطقة الكبلة وغيرهم من العلماء والأدباء.
راجع: ابن الأمين، والوسيط: 456- 457.، ابن حامد، الجغرافيا:

[410]- يقصد المؤلف ماهو معروف من تميز قبائل للزوايا في الشرق الموريتاني بالجمع بين وظيفتها العلمية التقليدية واستقلاليتها السياسية، والحربية لحيانا، عن القوى المحاربة التي تشارك هي الأخرى بفاعلية في الحياة الثقافية . لما قبائل الزوايا في للكبلة فقد تكرست تبعيتها ، بعد حرب شر ببه ، السياسية والمجالية للقوى الحسانية المسيطرة في منطقة الكبلة [ولاية الترارزة الحالية]وعانت قبائل للزوايا في الكبلة من بطش وتنكيل القبائل الحصانية إلى ليام دخول الاستعمار.

الأوباش والرعاء والمهاجرية[411] والأتباع بالعدل والإنصاف والإرتداء بثوب الخصوصية والولاية والالتحاف، وحكم فيها على كنته بالكفر، أعاذنا الله وإياكم من الشك والشرك والاتباع بمهالك الهلك تارة والبغي أخرى، وكنته إنما اجتمعوا رأسا لدفع صولة إدوعيش الذين تعدوا إليهم طور المواسات إلى طور شن الغارات، ثم إلى طور قتل السادات. ومثار غالب ذلك كله من عبد الله تدريجا إلى أن يظفر بجيش يرى أنه يكسر به شوكة كنته، ويشفي حنقه منهم يحتال في ذلك ويكيد، ويبدء فيه ويعيد ما ينهاز عشرين عاما[412] فلم تمكنه الفرصة إلا بعد موت محمد بن امحمد شين لما كان عليه من الحزم والنظر في عواقب الأمور والجزم.[413] فلما خلا منه الجو للمخيطير[414] أخيه الشقي اللئيم، رأى عبد الله لنابه مساغا، فصمم إذ لم يكن له دين يحجزه ولا عقل ينهاه فيحجم. فأثار الفتنة بأسباب واهية وافتتحها بداه واهية، تكذب ما ادعى من البغي عليه ضرورة وترد ما ورى من رشده

---

[411]– المهاجرية: هم المتحولون من التقاليد القبلية الحربية إلى نظام قبائل الزوايا. و هذا الاصطلاح يستخدم أساسا في بلاد الشرق الموريتانية عموما، وهو يحمل شحنة خاصة نظرا لأن التخلي عن السلاح –في ذلك السياق– كان يتم بصفة طوعية في أغلب الأحيان. والعكس صحيح.
ولعل هذا هو ما عناه المؤرخ الشهير: محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري الولاتي الحوضي (ت1271) بقوله: ((المهاجر من هجر حزب الشيطان ورجع إلى الله منيبا، والمحارب من يريد أن ينشئ مجدا بشجاعته وإقدامه....)) .
راجع: ابن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية: مخطوط.

[412]– يقصد أن الأمر يتعلق بمشروع منظم وليس بفعل سياسي عابر.

[413]– راجع الهامش المتقدم.

واستقامته، بل تشرح أنه ممن قيل فيه: الناس أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاتبعوه. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذالك نائم فنبهوه. ورجل لايدري ولايدري أنه لايدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لايدري ولايدري أنه لايردي، فذلك جاهل فارفضوه وقال في مثله صلى الله عليه وسلم: "من ازداد علما ولم يزدد زهدا في الدنيا ورغبة في الآخرة لم يزدد من الله إلا بعدا[415]"

وإذا الطبيب رأيته متمرضا هل يستطيع لغيره تصحيحا[416]

وكان يحي بن معاذ[417] يصيح ويقول: يامعشر العلماء قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية، وأثوابكم جاهلية، فأين الملة المحمدية. وقال الحسن البصري: ألسن واصفة وقلوب عارفة وأعمال مخالفة ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به وهو لم عمل به ففازوا وهلك هو.

414- يقصد المختار بن امحمد شين راجع الهامش السابق.

415- للديلمي في مسند الفردوس عن علي. حديث ضعيف. راجع: للسيوطي، الجامع الصغير: 564/2.

416- لم نعرف قائله.

417- يحي ابن معاذ: (ت258هـ/ 872م) ابن جعفر الرازي، أبوا زكرياء، واعظ زاهد، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الري. أقام في بلخ، ومات في نيسابور. راجع: الزركلي، الأعلام ، 172/8.

ثم إن ما ادعاه من البغي عليه لايبيح له الإقدام على ما أقدم عليه، من الإخلاء والإجلاء ونهب الأموال ودمدمة الديار، من غير برهان من الله ولا حجة، ولا سلوك سبيل حق ولا محجة، بل بتقليد نفسه الدساسة، وإشارة غاشيته الخبيثة الجساسة، حيث عمد إلى قبيلة من أعظم قبائل الزوايا وأعرقها نسبا ودينا فقاومهم بأوباش رعاء وأوشاب أتباع؛ عد من جهله وسفاهته أن قتلى كنته لايعدلون قتلى مشظوف الذي ربى جدهم[418] سيد محمد الكنتي في حضانته وتحت تربيته وولايته. ثم كذلك نسبة أولاده إلى أولاده إلى ... هلم جرا، بوجه لاينكر ولايجهل، يعرفه منهم الأعلى والأسفل. ولا قتلى حمر إدوعيش الذين ألجاتهم إليه نار الفتن، أزمان تمويهه بإلقاء اليد إلى الشرع العزيز والرسن، واستدراجه بخوف اللصوص منه، وكفهم عن كل من انتسب إليه، كان متدينا أو لم يكن، وسلطهم عليهم وأغراهم، يشهد بذلك صنيعه بإدوعل في تهمة بسحر ابن أخته وابن عمهم وأخيهم، ومن المعروف أن السحر لايقتل بتهمته ثم إذا صح وقامت البينة على عمله، لم يقتل به إلا بعد إثبات كونه قاتلا بالعادة. وتثبت مباشرته للعمل. وإلا فالمباشر مقدم على المتسبب. فبعد ثبوت هذا كله فالواجب على مثل عبد الله ممن انتسب إلى ما انتسب إليه حمل أولياء الدم على

---

[418] – يشير إلى التحالف القديم بين سلف الكنتيين ومشظوف .

العفو فإن عفوا أو عفا بعضهم أخذت الدية وصرفت إلى من تصرف إليه شرعا وقد تعدى هو هذه العقوبة الحدية إلى إعنات البراء بشبهة الممالات توصلا إلى التشفي منهم من قديم الحقد الذي لم يحضره هو ولا أبوه ثم لما شفى منهم غيظه حجر عليهم الإحسان والمعروف، ممن أراده بهم. فهذا أيضا من بغي كنته عليه وليته إن كان حافظا متقيا لقطيعة الأرحام، راعى مثل ما راعى في سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم في أبناء سيد أحمد بن سيد ألمين بن الطالب سيد احمد[419]، فياله من رحم قريب، منتسب إلى كل نجيبة ونجيب. أفلا يتمثل عبد الله من الأوامر ولا ينزجر لزجره من الزواجر إلا ما وافق هواه وأشار عليه به ما شايعه وساواه { ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله}[420].

والباغي هو المستند فيما يأتي إلى تاويل مرجوح. والمبغي عليه من له الحجة الباغية الأتـــــي ــ بحول الله وقوته ــ ما تحتمل هذه العجالة نشره ويسع الحال والوقت ذكره.

ثم إنه لم يبلغنا عن عبد الله وعشيرته وشيعته وأسرته من التحلي بحلي التواضع والاستكانة والمواسات للناس والاستلانة، ما يدعي له المنازع لهم باغيا عليهم، ولا المقاتل لهم عاديا

419- راجع للهامش السابق.

420- القصص، الآية 50 مكية.

عليهم، بل الشائع عنهم المألوف منهم بين الخاص والعام، الأنفة والكبرياء، والإبهة والجبرياء، بحيث بلغوا منن ذلك مبلغا سوى بين الشريف منهم، والمشروف، والمجهول منهم والمعروف، حتى تحاماهم بذلك القوي والضعيف والزاوي والشريف؛ اغترارا منهم بما استعفتهم به قبائل الزوايا والعربان، مما لايعسف به بعضهم بعضا ومن تولى الموالي والأحلاف، من غير ولاء ولاحلف، وبما يعاملونهم به من الإكرام والإحترام من غير موجب ولاداعية، زائدا على ما استدرجوا به من العظمة في نفوس ذؤبان العربان، المتسبب عنه دخول من دخل تحتهم من الأوباش، وانحاز إليهم من الزوايا طلبة المعاش. فها هو ذا يعد من نازعه باغيا، ومن لم يشهد عليه بالبغي طاغيا غاويا، رضا عن نفسه وانتصارا لمن معه من أبناء جنسه، وقوله الجائر في فكره الحائر.

ولو كنت ذا حق وشاهدت جورهم   لسلمت فـــي قتل البغاة وأذعنتا

ولو كــنت ذا حب لربك صـــادق   كما تدعي دأبا لشنت الذي زنتا

وخيل له شيطانه الأصمى وفكره الأعمى أنه إمام عدل مقسط، ومتبع ذو فئة، وأن الخارج عن حكمه وطاعته باغ. وكذب شيطانه فيما سول له واضح، وغلط فكره فيما خيل له فاضح، إذ الباغي في الشرع هو الخارج عن الإمام العدل بتاويل

محتمل لفئة نصبت إماما، فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة، فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتاويل محتمل إلى إمام نصبوه لأنفسهم، فالحكم فيهم أن يبعث إليهم الإمام، ويدعوهم إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم، وإن لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغي، قاتلهم الإمام بمن معه حتى يفيئوا إلى طاعته، ثم الحكم في قتالهم أن لايتبع مدبرهم ولايقتل أسيرهم، ولايذفف على جرحهم. فقد نادى منادي علي رضي الله عنه يوم الجمل[421] أن لايتبع مدبر ولا يقتل أسير، ولا يذفف على جريح، وهو بذال معجمة: الإجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه. واوتي رضي الله عنه يوم صفين[422] بأسير فقال: لاأقتلك صبرا إني أخاف الله رب العالمين. أما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بل كانوا جماعة قليلة لامنعة لهم أو لم يكن لهم تأويل، أو لم ينصبوا إماما فلا يتعرض لهم إن لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين. وإن فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم. روي أن عليا كرم الله وجهه سمع رجلا يقول في ناحية المسجد: لاحكم إلا الله. فقال على كلمة حق أريد بها باطل. لكم علينا ثلاثا: أن

---

[421]- يوم الجمل: بين علي لبن أبي طالب ومن يرى لنه يطالب بدم عثمان وعلى رلس هؤلاء من أهل المدينة عائشة رضي الله علها. وقد هزم جيشها في الوقعة وقتل من للفريقين كثير.

[422]- صفين: ماء عنده كانت وقعة بين جيشي علي ومعاوية، وانتهت بالتحكيم الذي أدى إلى تبلور الخوارج.

لانمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها إسم الله ولانمنعكم الفيء مادامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدأكم بقتال.

وزيد في رواية صارخ علي يوم الجمل عن مروان بن الحكم[423]، عقب "ولايذفف على جريح" ومن اغلق بابه فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن وفي مفيد الحكام[424] : وإذا ولا أهل التأويل قضايا أو أقاموا حدا، ففي نفوذه قولان، وما أتلفوا من مال فلا ضمان عليهم، وكذلك الأنفس، بخلاف أهل الفساد، فإنهم ضامنون لما أتلفوا من نفس أو مال، ولايصح تقديمهم وللإمام العدل في قتالهم جميعا -أهل التاويل وغيرهم- ما له في قتال الكفار، وإن كان منهم النساء والذرية. وكان يقتل أسير البغاة إذا ظهر عليهم. أما أموالهم فإن كانت سلاحا أو كراعا، استعين بها عليهم، ثم ترد عليهم بعد ذلك هي وغيرها. وقال الأبهري أو كراعا، استعين بها عليهم. ثم ترد عليهم بعد ذلك هي وغيرها. وقال الأبهزي:[425] إن تظاهر قوم على إمام عدل، وخرجا عليه بالهوى والعصبية، كما فعل أهل الشام، جوهدوا حتى يراجع

423– مروان ابن للحكم: خليفة أموي، أول ملوك بني مروان.

424– لعله يقصد "مفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الاحكام" لأبي الوليد هشام لبن عبد الله ابن هشام. وتوجد نسخة من هذا المصنف مودعة في الخزانة العامة بالرباطن تحت رقم: 877د. ولم نتمكن من مطالعتها.

425– الابهري: ابوبكر محمد ابن عبد الله. سكن بغداد وحدث بها، انتهت إليه الرئاسة في مذهب مالك. راجع: عياض، ترتيب المدارك:- 466.

الحق. قال غيره: وكل فئة اجتمعت ونصبت إماما وامتنعت من حكم الإمام العادل فهي باغية. وفي المبسوط[426] قال مالك:[427] إذا خرج مثل أهل الأهواء على المسلمين فأفسدوا وسفكوا الدماء أرى أن لايقاتلوا إلا أن يكون للمسلمون إمام عدل، فإن كان عدلا كان حقا على المسلمين قتالهم، حتى يردوهم إلى العدل والحق، فإما إن كان الإمام غير عدل فلا ينبغي قتالهم. قال مالك: فإن كانوا مثل هذا فاقعد في بيتك فإذا أرادوا أخذ مالك فقاتل بسيفك عن نفسك بعد أن تناشدهم الله, وقال يحي[428] الصواب في الفتنة أن لايعين أحد فيها أحد بشيء، ولايخرج فيها ومن أوتي في بيته يراد على نفسه وماله فليدافع عنهما، ونحوه حكى ابن القاسم[429] من أصحاب مالك.

قال ابن القاسم: ولو وردوا مدينة يريدون الإمام وأخذوا أموال من فيها من المسلمين فإن هؤلاء يقاتلون بعد المناشدة فإن

---

[426]- المبسوط: مؤلف في الفقه المالكي في تسعة أسفار لمحمد ابن محمد ابن عرفة (ت803هـ). ولم نعثر عليه.

[427]- مالك (93-179هـ/ 712-795م) مالك ابن أنس الحميري الأصبحي، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة مولده ووفاته بالمدينة. راجع: عياض، المدارك:3: 244، ابن فرحون، الديباج: ، مخلوف، شجرة النور: 1: 58.

[428]- يحيى: (152-243هـ/ 769-849م)ن يحي ابن يحي ابن أبي عيسى الكثير بن وسلاس أبوا محـــمد: عالم الأندلس في وقته، سمع الموطأ من مالك، نشر في الأندلس المذهب المالكي. راجع الأعلام 3: 176.

[429]- ابن القاسم (132-191هـ /750-806م) فقيه جمع بين الزهد والعلم من كبار أصحاب مالك. له المدونة الكبرى. راجع الأعلام 3- 323.، عياض، ترتيب المدارك:3: 244، مخلوف، شجرة النور : 1: 58. ابن فرحون، الديباج: 1: 465.

أرادوا الإمام وحده فإنهم يقاتلون إن كان الإمام عدلا وإلا فلا[430].
وفي كتاب الإستغنا عن بعض المتأخرين: الأئمة على ضروب، فإمام صار إليه الأمر عن رضا من جميع المسلمين بأحواله وصفاته وصار إليه من غير تشاور ولا تناظر.

ولا اجتماع عليه إلا توليج من ولجه إليه، فرضي المسلمون فعلته وهديه إذ صار الأمر إليه ورأوه لذلك أهلا، فواجب على المسلمون الدفع عن مثل هذا. وإمام صار إليه الأمر بعد الغلبة عليه دون مشورة، واستوطن له الأمر وظهر بعد ذلك عدله، كظهوره في الخلفاء الراشدين، فواجب على المسلمين نصحه ولزوم الطاعة له والدعاء بصالح الذعاء له. وإمام أخذ الأمر غلبة من غير مشورة ودعى الناس إلى بيعته وظهر منه الجور في الأموال والدماء وغير ذلك... إلا أن أمره قد استوطن وملك وغلب، وأمن الناس معه الفتنة التي تلحق الدين والمال، وتوجب سفك الدماء وتسلط عوام الناس وخواصهم بعضهم على بعض، وعلم أن السمع والطاعة له أبعد للشر وذهاب النفوس، فقد وجبت طاعته فيما دعى إليه من الأحكام وأداء الزكاة إذا طلبها، وإن جار فواجب أن تعقد البيعة لإمام عدل مطاع وإن كان ظالما مستأثرا لنفسه بالخمر والبغي وأخذ الأموال ، إلا أنه لايجبر من

430- الاستغناء: لم نعرف هذا المصنف.

عقد عن بيعته ولايحمله على القتال معه فلا يجب على المسلمين نصره، ولاسفك دمائهم دونه وإن قام أحد عليه بسبب جوره[431].

وقال الإمام أبوا المعالي[432]: إذا جار الوالي وظهر ظلمه فلأهل العقد والحل التراضي والاجتماع على رده، ولو بالأسلحة ونصب الحروب[433].

هذا محصل ما جاء في أحكام الفئة الباغية من التعريض بها وما تدفعه به، ومدافعتها، فلم يبق لناظر نظر سلا في من تنزل عليه. وقد علمنا النظر حسب الوسع، فإذا برأس طائفتكم الذي هو المختار بن محمد شين لم يبلغنا نصبكم له إماما ثم لو نصبتموه لم يكن إلا محاربا عريقا في الحرابة، لايصلح للإمامة بوجه ولا حال. وليس معك عافاك الله من ينصبك إماما، مع عدم رضى إدو الحاج وغير هم من الزوايا الذين هم جماعة المسلمين الذين تنعقد ولاية من ولوه وتمضي أحكامه، لما ظهر لهم بديهة من جور أحكامك، وزلل أقدامك عن الصراط المستقيم والدين القويم. ومنهم من علم ضرورة كونك قائد فتنة وبريد محنة.

---

[431]- راجع: لم نتمكن من الرجوع إلى كتاب الاستغناء هذا .

[432]- ابوالمعالي (ت475هـ /1085م): عبد الملك الجويني، عبد الله ابن يوسف. وقد اشتهر بإمام الحرمين. تبع في العقائد مذهب الاشعرية، واشتغل بالتدريس. اعظم مصنفاته (الورقات) في الأصول وقد وضع عليها علماء موريتانيا عدة شروح مثل: شرح مؤلف الغلاوية الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، وصالح بن عبد الوهاب الناصري الولاتي وغيرهما. راجع: عن ترجمة الجويني: ابن خلكان: وفيات الأعيان: 351. ابن عساكر، تبيين كذب المفتري: (278).

[433]- راجع: لم نتمكن من تحديد هذا الغزو.

وجماعتك ظلمة رعاع، وسفلة أتباع، وليس فيهم رجل رشيد، له قــلب {أو ألقــى السمع وهو شهيد إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل}[434]

وكنته فيما أرانا الله، إنما قاتلوك للعصبية والأنفة من تطوالك عليهم في من معك من الرعاع واعتقادهم وعملهم على قصوره على من يليك منهم ويجاورك ممن أغريت بهم من معك من الأوباش يضربون من شارعوه بمشارع المياه ، ويستطيلون عليهم ببطش الأيدي ومقاولة الأفواه، علما منك بما عليه كنته من الغلظة والأنفة عن مقاومة مثل أتباعك وإنهم وإن أكبروكم واحترموكم لايتطاول بهم أمد لمهارشة الرعاع مع ما يعلمون من خبث طوياتكم ووحر صدوركم ونياتكم ولا تعدو إليكم بهتك ذلك الهبا، أحب ذلك منكم من أحبه أو أباه من أبى، فلم تزل تسيد وتلحم وتسرج وتلجم، لتركم طمرّ الفتنة وتردف وتنتصب غرضا للرامين وتستهدف ، وقدمت نفسك من غير تقديم وركبت أعناق الناس من غير مبايعة ولا تسليم.

ومن قدمته نفسه دون غيره رآى غيره التأخير ذاك التقدما

فدعوت المنازع لك باغيا والنازع عنك طاغيا والنصيح لك لاغيا والمعري لك مناغيا {ومن لم يجعل الله له نورا فما له من

---

[434]- الآية

نور} وأنا أعذر إليك بما أرى أنه لا يبدي ولا يعيد لديك، بعد حمد الله على ما أسى من نعمه الجلائل التي أشكر منها ما الله مبديه، وأستزيده من فواتح منحه الجزائل وأسترشده عند المراشد وأستهديه، وأصلي على خير الخليقة نور الإيمان ومبديه، وهادم ركن الكفر والعدوان ومرديه.

وبعد فإنا أحببناك في الله زمانا وأعرضنا عما يقال عنك وينقل إعراض التغافل إحسان، إلا أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم ما يقتضيه النقل والحس، وهل يشك أو يتمارى في الليل عاقل إذا غربت على عينه الشمس.

وإنك أظهرت أنك قائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلم تكن أمير بلدتك، والله اعلمك بقصدك ونيتك، لكن الثمرة تشهد للأصول والإخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول وما رأينا من أمرك إلا إلى هتك الأستار والأعراض ونهب الأموال والأعمار بتقليد من لا يوثق بإيمانه وقوله من أهل الزيغ والحرابة والإعراض فصدرت في مصادرتنا بسبب الأوصاف اللازمة والذوات ولم تقنع بذم الأحياء حتى تعديت بالقدح في الأموات، ولم يكفك التعرض على من تأخر من الخلف، حتى اعترضت على من تقدم من صالح السلف، فياويح من هؤلاء خصمائه يوم

القيامة وهيهات أن لا يناله غضب وأنى له السلامة ولحوم الأولياء مسمومة وعادة الله في الانتقام من له نال منهم معلومة.

والآن قد بلغ الحال إلى منتهاه والأمر إلى مقتضاه، فلم يسعني إلا القيام في أمرك ودفع شرك، بما أرجو ممن بيده مقادير الأمور، العالم بما تجن الأنفس وما تخفي الصدور، أن يكون مخمدا لنار فتنتك، كاشفا لأستار محنتك، إذ قد أفرطت في الفساد والغي، ووصل بذاك وأذاك إلى كل ميت وحي، فتلزمني الغيرة لله ولرسوله وللدين شرعا، ويلزم ذلك جميع المؤمنين، وسائر عباد الله المحسنين، من العلماء العاملين الذين هم حملة لواء الشرع وأرباب السيف الدين بهم الوصل والقطع.. إلى أن يحصل منك الإنكفاف عن الغرات والصولات والمجالدات والإجياف. والسلام على من امسك عن الحرابة والإفساد في الأرض واتقى الله وخاف[435].

ثم إن مامر من إقامة الدليل الراجح والبرهان الواضح، لخروج كنته من كونهم بغاة، وخلوك عن العدل، وعرو طائفتك عن النعت بطائفة الحق والفضل، فلا علينا أن نرسم رسما يوضح ما الطائفتان عليه حقيقة. فأقول لم يبق بعد البغي إلا القتال

[435]- اجتهادنا أن الأمر يتعلق برسالة من المؤلف إلى عبد الله بن سيد مجمود. أعاد الشيخ سيدي محمد نقل نصها هنا أو أقحمها بعض النساخ سهوا لمناسبتها للسياق.

للحرابة أو القتال للعصبية، فأما الحرابة فإما أن يتصف بها كلا الطائفتين ، بكون كل طائفة موسومة بسيمة الحرابة في النائرة وغيرها، بأن تكون معروفة بالحرابة متجردة لها. فهؤلاء أهل الفساد، أو تكونه إحداهما محاربة، والأخرى غير محاربة، بل قتال عصبية وحمية. فأقول: الحرابة فعل لأخذ مال متحرم، بإذهاب عقل أو مقاتلة، أو بإخافة سبيل، فتدخل الغيلة و لوكابره لأخذ زوجته أو ابنته، وحدها خليل[436] بأنها الخروج لإخافة سبيل لأخذ مال محترم، بمكابرة قتال أو نحوه، أو إذهاب عقل أو قتل خفية، او مجرد قطع الطريق لا لإمرة أو نائرة ولا عداوة[437]. وكذا كل من حمل السلاح على الناس، وأخافهم من غير عداوة، ولا إمرة .

وفي الحاوي[438] عن محمد[439]: من دخل على رجل فقتله لنائرة أو عداوة ليس لأخذ مال، فليس بحرابة، وتحريم هذا الفعل معلوم من دين الأمة، ضرورة بالكتاب والسنة والإجماع. فلا نطيل به. ورسم الغصب أخذ مال لمالكه خيانة، أو قهرا لا بإخافة

436– خليل ابن اسحاق (ت776هـ). فقيه صري مالكي المذهبن درس في القاهرة وولي الافتاء بها. الف المختصر الشهير في الفقه المالكي من المدونة. راجع الاعلام2: 364.

437– هذا اللفظ ليس لخليل بل لابن عرفة في حدوده. راجع: الرصاع الانصاري، شرح حدود ابن عرفة: القسم الثاني، ص654.

438– لم نعثر على هذا المصنف.

439– محمد.

سبيل، وفي المحارب خمس خصال: إذا خرج محاربا ولم يخف السبيل ولا أخذ مالا ولاقتل، واخذ بحضره ما خرج، فإن الإمام يجلده باجتهاده وينفيه ويحبسه حيث يبقى حتى تعرف توبته، فإن أخاف السبيل ولم يأخذ المال ولاقتل ولم يطل زمانه، فإن الإمام يخير في قتله أو قطع يده ورجله، وإن أخاف السبيل وطال زمنه، ونهب نهبا شديدا، قتله الإمام من غير تخيير.

إن لم ياخذ المال ولم يقتل، فإن قتل فلابد من قتله، وإن رأى انه يصلب حيا، فعل. ولايخير أولياء المقتول في العفو عنه. وعن أبي مصعب[440]: يخير في قتله ، وإن قتل. حكاه القاضي[441] عنه. وقال اللخمي[442]: لو قعد جماعة لصوص لقوم فعلم بهم الإمام فيأخذهم قبل ان يعلم بهم من قعدو له، ولم يحكم لهم بحكم الحرابة، ولو علم بهم المسافرون فامتنعوا من تلك الطريق، وعدلو عنها جرى عليهم حكم المحاربين. قال البرزلي[443]: ظاهر المدونة أن هؤلاء ياخذ فيهم بأيسر الحكم ، قال فيها[444]: ليس كل

---

[440]- أبو مصعب: (ت 242هـ) أحمد ابن أبي بكر القاسم بن الحارث للزبيري، روى عن مالك الموطأ. وهو فقيه أهل المدينة. راجع: عياض، المدارك، :1: 511. مخلوف، شجرة النور : 1: 57..

[441]- القاضي: أبو عبيد، محمد ابن سعيد بن بشير بن شراحين سمع من مالك وجالسه ثم ولي القضاء بقرضبطو مقفله من المشرق. عياض، المدارك:1: 511.

[442]- أبو الحسن، كان فقيه وقته له تعليق كبير على المدونة ، خرجت اختيارلته في الكثير منها عن قواعد المذهب للمالكي. عياض: 2: 797.

[443]- أبو القاسم بن أحمد البرزلي، البلوي القيروانين أخذ عن ابن عرفة. له الحاوي في النوازل. توفي سنة 841هـ/1438. راجع: مخلوف، شجرة النور، 245. التنبكتي ، نيل الابتهاج..

[444]- ابن أنس (مالك)، للمدونة الكبرى: 4: 429 .

المحاربين سوء، منهم من يخرج بعصى أو خشبة وشبه ذلك فيأخذ على تلك الحال بفور الخروج، ولم يخف السبيل ولم ياخذ المال. فهذا الأخذ فيه بايسر الحكم لم أر به بأسا. وذلك بالضرب والنفي. ويسجن في الموضع الذي نفي إليه وقتل المحارب بالسيف أو الرمح ونحوهما لا بصفة تعذيب ولا رضح بحجارة ولايرمى من مكان مرتفع، وإن صلب صلب قائما لامنكوسا وتطلق يداه وظاهر القرآن أن الصلب حد قائم بنفسه كالنفي والمذهب إضافته للقتل. ولمالك في بعض المواضع قال[445]: يقتل أو يصلب أو يقطع أو ينفى كظاهر القرآن . وقال ابن القاسم[446]: يصلب ثم يقتل مصلوبا بطعن وقال أشهب[447] : يقتل ثم يصلب ولوقتله ثم صلبه لكان له ذلك. إذا بلغ ذلك جرمه. ولو حبسه ليصلبه. فمات في الحبس لم يصلبه ولو قتل في الحبس لكان الإمام صلبه[448].

إبن الماجشون[449] : لايمكن أهله من إنزاله ويبقى حتى يفنى على الخشبة او تاكله الكلاب. وعن أصبغ[450] : لاباس أن يخلى

---

[445]- المدونة: 4: 429.

[446]- المدونة: 4: 429.

[447]- أشهب: (140-204هـ) ابن عبد العزيز بن داوود القيسي المغافري. اسمه مسكين وأشهب لقب. انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بمصر بعد وفاة ابن القاسم. راجع :عياض، المدارك: 1: 452.

[448]- راجع الحطاب، مواهب الجليل: 315.

[449]- ابن الماجشون: (ت212هـ /827) عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء. أبو مروان ابن الماجشون، فقيه مالكي فصيح دارت عليه الفتيا في زمانه. راجع: الأعلام 160/4.

لأهله يتولونه ويصلى عليه ويدفن. وعن سحنون[451] : إذا قتل أو صلب لنزل من ساعته، ودفع لأهله للصلاة عليه ودفنه. وقال أيضا: إن رأى الإمام أن يبقيه اليو مين و الثلاثة لما يرى من تشريد اهل الفساد، فذلك له. لكن ينزله أهله، ويكفن، ويصلى عليه.

ثم إن رأي إعادته إلى الخشبة أعاده. ابن رشد[452] اختلف في النفي فروى مطرف:[453] أنه السجن. وقال ابن القاسم :ينفى من بلده إلى بلد آخر وأقله ما تقصر فيه الصلاة، فيسجن فيه حتى تظهر توبته، وإن طالت سنوه حتى تعرف توبته بما يعرف من غالب أمره. ولاتقبل بمجرد الظاهر ولا ينفعه النسك، حتى يعرف من ظاهر حاله أنه كذلك فى الباطن ولو ظهرت توبته بقرب فلا بد من إطالة سجنه، لأنه حد من الحدود الأربعة نص عليه فى الحاوي[454]. .

---

[450]– أصبغ ابن للفرج: (ت252هـ) من أفقه أهل مصر، عليه تفقه ابن المواز. راجع: عياض المدارك: 1: 561. ابن خلكان: للوفيات، الترجمة رقم 101. مخلوف، 66 رقم: 58.

[451]– سحنون: (160-240هـ/777-854م) أصله شامي من حمص. وسحنون لقب واسمه عبد السلام، انتشرت إمامته في المشرق والمغرب، ولي القضاء بإفريقية سنة 234هـ.
راجع: عياض، المدارك: 1: 585. ابن خلكان، وفيات الأعيان: الترجمة رقم: 382. ابن فرحون، الديباج: 160- 166. مخلوف شجرة النور:1: 69-70س. محمد الطالبي، تراجم اغلبية: 86-136.

[452]– ابن رشد: (450-520هـ/1058-1126م) محمد ابن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي أبو الوليد، فقيه أصولي ضليع. قاضي للجماعة بقرطبة. راجع: كحالة: 8: 228. ابن فرحون، الديباج.

[453]– مطرف: أبو غسان الليثي، محمد ابن عرف. فقيه حافظة. راجع: عياض، للمدارك:1: 298.

[454]– راجع: الحطاب، مواهب للجليل: 6: 315.

وجهاد هؤلاء المحاربين أفضل من جهاد الحربيين[455] ففي المدونة جهاد المحاربين جهاد ابن شعبان،[456] جهادهم أفضل من جهاد الكفار. ولإبن رشد في رسم يريد ماله من نوازل أصبغ جهاد المحاربين عند مالك وأصحابه جهاد. قال أشهب: من أفضل الجهاد وأعظمه أجرا وقال مالك في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إلي من جهاد الروم[457]. وعنه عليه الصلاة والسلام:من قتل دون ماله فأفضل شهيد قتل فى الإسلام، بعد أن يتعود بالله وبالإسلام ثلاث مرات. وإن قتل اللص فشر قتيل قتل فى الإسلام.[458] وعن ابن سيرين:[459] ماعلمت أحدا من الناس ترك قتال من يريد نفسه، وماله تأثما أي مخافة الإثم، وكانوا يكرهون قتل الأمراء.

وبالجملة فنصوص العلماء متظافرة، وأقوالهم صريحة متظاهرة، بجواز أبتداء المحاربين بالقتال ردعا عن ما هم عليه من الفساد فى الأرض والحرابة. وبوجوبه حيث أتوا للقتال أو طلبوا ما لاتجب مداراتهم به، فيقاتلون ويقتلون، مقبلين ومدبرين،

---

[455]- راجع: الونشريسي، المعيار:2 : 436.

[456]- ابن شعبان: سعيد ابن عبد الله بن سعد المعافري، من كبار لصحاب مالك. توفي سنة: 193هـ. ابن فرحون، الديباج: 123.

[457]- رلجع: الونشريسي، 2:436.

[458]- أورده السيوطي برواية أخرى. حديث حسن لأحمد في مسنده وغيره وكلهم عن سعيد ابن زيد. راجع السيوطي، الجامع الصغير:2: 631. الحديث رقم: (8917.)

[459]- ابن سيرين: من أعلام المالكية، له تعليقات على المدونة. رلجع: عياض، المدارك:2: 63 و 292

ويذفف[460] على جريحهم، إذ لاتتكسر شوكتهم بهزيمة بل ولا هزمات لقوتهم، وسخافة أديانهم، وغلبة تمكن حب الدنيا والتكالب عليها من قلوبهم، مع كثرة عددهم ودرايتهم بالحروب، واستهانتهم بالدين وأهله، سيما وقلما تقوم منهم قائمة إلى مناهدة أحد من الزوايا، أستعد بهم لحربهم، واستعان بقوتهم عليهم، لرقة الأديان وفقد أفاضل الأعيان، وحجتنا لإباحة اتباعهم وقتلهم والإجهاز على جريحهم، مانص عليه الباجي:[461]

إن اللص إذا أدبر، فروى أصبغ عن ابن القاسم: إن كانوا قتلوا احد فليتبعوا ويقتلوا، وإلا فما أحب أن يتبعوا لا يقتلوا، فظاهر كلامه أن عدم إتباعهم وقتلهم إذا لم يقتلوا إنما هو على سبيل الإستحباب[462] وقال سحنون: يتبعون ولو بلغوا برك الغماد، ويقتلون مقبلين ومدبرين، وليس هروبهم توبة، وافتى حين سئل عن التلفيف على جريحهم، إذ لاتؤمن كرته: فقال: يجهز عليه إن خيفت كرتهم. وأفتى بأخذ ما بأيديهم من الأموال، وأنها فيئ، إذ هم مستغرقوا الذمم. وهذا كله. مما كاد أن يكون معلوما من الدين

---

[460]- التذفيف على الجريح، الاجهاز عليه وتحرير قتله.

[461]- الباجي: (ت403-474هـ/1012-1081م) أبو الوليد الباجي سليمان ابن خلف بن سعيد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبيرن من رجال الحديث أصله من بطليوس، رحل إلى الحجاز سنة 426هـ وعاد إلى الأندلس فولي القضاء في بعض لنحائها. توفي ابالمرية من كبه المنتقى في شرح الموطإ . راجع :الزركلي، الأعلام3 : 125.

[462]- راجع: الونشريسي، المعيار: 2: 437.

بالضرورة. فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، على حقيقة رجوع عمر رضي الله عنه، لقول أبي بكر رضي الله عنه بوجوب قتال مانعي الزكاة. فكيف بصفة هؤلاء الفجرة المحاربين الذين جمعوا إلى تضييع القواعد الدينية الحرابة والعدوان والفساد فى الأرض[463].

وقد أجاب فى معنى نحن بصدده، الفيه أو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني[464] بما نقله في المعيار[465] ونصه بأختصار[466] "الحمد لله وحده حفظ الله مقامكم وأدام نعمته عليكم وصل إلى واصل إلي - واصل الله ارتقائكم، وأدام بالمزيد حرمتكم وأنتقائكم - كتابكم الأثير المتضمن للسؤال عن قضية الأعراب، تبلغ جموعهم عشر آلاف، حرفتهم الحرابة، وعليها نشأوا خلفا عن سلف، يسفكون الدماء ويقطعون الطرق، ويشنون الغارات ثم لاتنالهم أحكام السلطنة، لحقوا ببلدكم وزحفوا إليكم لنصب الغارات عليكم، وتحقق ذلك منهم من غير شك، وأنكم

---

[463]- راجع الونشريسي، المعيار : 2: 436.

[464]- الغبريني: (ت644-714هـ/1246-1315م): أحمدو ابن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني/ وكنيته أبو العباس، وقد غلبت عليه شعرته للغبريني، لسبته إلى بني غبري بطن من البربر في المغرب الأوسط تلمذ لأكثر من سبعين شيخا ولي القضاء بمواضع عدة آخرها مدينة بجاية "فكان في حكمه شديدا" راجع: الغبريني، عنوان للدراية." مقدمة المحقق عادل نويهض". صص7- 15.

[465]- لأبي العباس، أحمد بن يحي بن علي الونشريسي التلمساني الفاسي المتوفي . طبع في نهاية القرن المنصرم بمدينة فاس طبعة حجرية في 12 مجلدا، وأعيد طبعه سنة 1981في 13 مجلدا بعناية د/ محمد حجي وجماعة.

[466]- راجع: الونشريسي، المعيار:2: 437-438..

أفتيتم بجهادكم و قتالكم وقتلهم وإتباعهم، مدبرين، والإجهاز على جريحهم واستباحة أموالهم. وخالفكم في ذلك بعض من هنالك، أوقام في ذلك بعض من هنالك، أوقام في ذلكم وطلبتم ما عندي في القضية فأقول:"جميع ما أفتيتم به في القضية حق لاتحل لمسلم مخالفته، وإنكار من أنكر ذلك أوبعضه إنما هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء، ولاكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذ لم يبق عالم اتخذ الناس رئساء جهالا فسئلوا فأفتو بغير علم، فضلوا وأضلوا.[467] وجهاد المذكورين ورجحانه وثوابه، كأنه من المعلوم بالضرورة من الدين. إلا أن يكون هذا المنكر لايعلم من أوصاف هؤلاء الأعراب، ماذكر.وكذلك أتباعهم والإجهاز على حربيهم، لايختلف فيه، قاله ابن رشد، إذا لم تؤمن كرتهم أو قتلوا أحدا.

وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال أهل البغي من غير خلاف في ذلك، وكذلك أستباحة أموالم فيئا لايختلف فيها. وجلب النصوص في ذلك عناء لايتفقر إليه. وبالجملة فالمخالف في كل فصل من فصول المسألة قد بلغ النهاية في الجهل، بل هو معاند في الحق مكابر فيه، حملنا الله وإياكم على الصواب، وجنب جميعنا طريق الغي والزيغ والإرتياب. وفي

---

[467]– متفق عليه. راجع: ابن مايابى ،محمد حبيب الله الجكني، زاد المسلم:1 : 61.

الحاوي للبرزلي: نزلت مسألة هي أن الأعراب نزلوا بتونس يريدون دخول القبة لإفساد كرومها على عادتهم من التضييق على المسلمين وعلى خليفتهم، فندب شيخنا الإمام الناس لقتالهم، ورغبهم فى جهادهم، وقص عليهم ماورد في قتال المحاربين، المخالفين على أهل الإسلام من الفضل وأراد الإستعانة بمشيخة الوقت، فلم يسعفوه،محتجين بأن الناس ليس لهم قوة، ولاطاقة بمدافعتهم. إذ لم تكن لهم معرفة في الحروب ولادراية مع تظاهر العرب عليهم فى أكثر الأوقات، مع ضعف جيش المسلمين عن مقاومتهم. قال: فأجاب شيخنا الإمام بأنهم لوكانوا على قلب واحد ونية صادقة، وعزيمة قوية، لغلبوهم واحتج عليهم بقتالهم فى المحجر، وشدتهم فيه، لاكن ضعف الإيمان ووهن اليقين حمل الناس على العجز على قتالهم. إذ لايقاومهم ويهزمهم إلا الدين وأهله. فإنه لا ينصر آخر هذه الأمة بغير ما نصربه أولها وقد قل أهل الدين وأرباب النيات والعقائد الصالحات فى هذا الزمان. والصواب قتالهم متى كان فى الإمام شجاعة وإقدام وعزيمة، حتى يكون فئة لمن هرب أو جرح كالخليفة اليوم،[468] نصره الله وأطال عمره في خير وعافية. فقد قاتلهم وحده بجيش قليل بارك

---

[468]- يقصد أبا فارس عبد العزيز بن أبي العباس الحفصي، بويع سنة 796هـ ، وتوفي سنة 837هـ. راجع: ابن أبي دينار ، المؤنس: 153-154.

الله فيه، حتى هزمهم وغلبهم وسباهم، وترك جلهم رعايا. نسأل الله سبحانه، أن يجعله من الأئمة المقسطين الذين يحكمون بالحق وبه يعدلون.

قلـــت كذلك الأمـــير النـــحرير: أحمد بن محمد لب الماســـني[469]، ثم القائم بصقع جـــني[470]، ونواحيها من بلاد تكرور[471] السودان[472].

فإنه نبـــغ بقرارة دائرة الســـودان من البنابرة[473] وقبائل فلان[474] والجنكانية[475] والرماة[476] والبوبية[477] وغيرهم ممن لايعد

---

[469]– أحمد بن محمد لب الماسني: قائد سياسي لامع ومصلح إسلامي كبير. مؤسس الخلافة "للدينا" في إقليم ماسنا في الغرب الافريقي. ولد سيك لحمدو حمادي ببو سانغاره (وأحمد لب) لقب له في ما سينا حوالي 1773م، عرف بالتقوى والاستقامة والتواضع. نشأ في محيط اجتماعي متواضع وفيه درس لوليات للتعليم، ثم عمق معارفه على الصوفي الكبير كابارى افارمه، ثم لم يفتأ أن بدأ يعلن آرائه الإصلاحية الداعية إلى تخليص الدين من البدع والخرافات وكان أن حقق شهرة كبيرة جعلته محاطا بجم غفير من الاتباع والمريدي.

وفي عام 1816أعلن الولاء لإمام الخلافة الصوكوتية عثمان دانفوديو، قبل أن يعلن تخليه عن هذا الولاء بعد وفاة الشيخ الفودي.

لنطلقت حركة الشيخ أحمد لب في 1818على شكل تمرد ضد أعمال الابتزاز التي كانت تمارسها سلالة الأردو وحلفائهم في سيغو . ونظرا لاستخفاف ملك سيغو بالحركة فقد هزمت جيوشه أمامها بسهولة، مما عجل بالتفاف الفولبه (الفولان) حولها بوصفها ملاذا لهم من طغيان البامبرا .

وامتدت الحركة إلى جنة ثم إلى افيتوغا قبل أن تسقط في يدها مدينة تمبكتو حتى وفاة الشيخ لحمدو سنة 1845. الذي ترك سلطة ماسينا ممتدة من جنة إلى تمبكتو ومن لقليم نابالا إلى بلاد الدوغون.

راجع: مادينالي -تال، ماسينا ولمبراطورية الترديه (التكرور) حتى عام 1878م. ضمن: تاريخ افريقيا العام، ج6 : 677–714 (الفصل23).

[470]– جني: حاضرة كبرى تقع على أحد الفروع الرئيسة لنهر النيجر غربا.

[471]– راجع الهامش السابق.

[472]– يقصد منطقة حوض النيجر الحالية.

[473]– البنابرة: هم البامبرا، من زنوج حوض النيجر. وهم فرع من شعب الماندانغ وقد قطن البامبرا مناطق شاسعة من منطقة الخيول بين باما كو الحالية وباغنه، وسيكو.ظل المبارة يقاومون الاسلام حتى قضى الفاتح المعروف الحاج عمر على ممالكهم في النصف الثاني من ق19م.

راجع: **Montey (ch) les Banıbara** p1-2 وانظـــر دائرة للمعارف الإسلامية مجلد 4 ص178 (ط1) من الترجمة العربية.

كثرة ولايرد نجدة وبسالة وأثرة. وهو معلم خير، ومعه نزاع من بلاد شتى، طلبة علم. فأغرى به أولا ماسنة[478] الذين هم شعبه، فتسلط على بعض تلامذته إبن فندوكو[479] الذي هو سلطان ماسنة فى لداته من ماسنه. فسلبهم ما بأيديهم، فلما رجع التلامذة إلى شيخهم مسلوبين، قال من سلبكم قالوا ابن فندك في أحداث معه قال ارجعوا إليه والتمسوا منه سلبكم، فإن رده عليكم رجعتم، وإن أبى قاتلوه، واخذوا سلبكم. فخرجوا إليه من فورهم ولحقوا به في أصحابه. فقال: ما جاء بكم، قالوا نطلب سلبنا منكم. قال : نحن جاهلون بكم إذ سلبناكم والآن عرفناكم فأغنموا سلامة رقابكم. فتجاذبوه بالحراب حتى برد وفر من معه. فلما رجعوا إلى الشيخ، وأخبروه بموت ابن فندك ألب من معه بنحو ثلاثمائة. ووفد فندك على دع[480] سلطان البنابرة يستعديه عليه، فخرج معه فى جيش

---

[474]– الفلان: من مجموعة الهالبولار– لن، التي احترفت التنمية الحيوانية وعاشت جانبا من للبداوة الظاعنة وهم من الجماعات السودانية الكبرى المنتشرة شمال حوض النيجر وغربه.

[475]– الجلكانية: لم نعرف هذه المجموعة.

[476]– الرماة: هم للمنحدرون من محاربي الحملة المغربية على السودان الغربي سنة 1591م. وقد اختلطت بقاياهم بالصونغاي للذين انفرط عقد مملكتهم بعد تلك الحملة، كما تواشجوا مع للمجموعات السودانية المحلية، وكانت للزاوية القادرية الكنتية أدوار سياسية بالغة الخطورة أثناء حكم الروماة لمدينة تمبكتو وأحوازها. تمكن مراجعة العمل الوافي ...Abitbol (M) Toumbouctou.

[477]– البوبية: علهم اليوروبا من زنوج فلتا العليا .

[478]– ماسينة: راجع الهامش السابق.

[479]– فندوكو: لم نعرفه

[480]– داع: هو داع مانزا (– مونزون) حكم في للعقود الأولى من القرن 19م، في عهده تزايدت أعمال النهب وللظلم للتي يمارسها حكام (تونزون) سيغ في مخيمات الفولان (الفولبه). راجع: م. تال، ماسينا... م.س: 678.

عرمرم واستنفر ابن سرتم ماص فى جيش كثيف، وخرج من ماسنه جيش لجب. وأبردو بريدا إلى جلاج بن همد الفلاني[481] فأخبرنا مشافهة أنه خرج فى أربعين ألف مقاتل، بين فارس وراجل، فبدر إليه الثلاثة الجيوش : جيش البنابرة وجيش أسنكيت وجيش ماسنه. وتخلف جيش جلاج، لما كان بيننا وبينه ومن مبادئ صلة الإسلام. فقسم الشيخ أحمد رجاله إلى ثلاثمائة ناهدت كل مائة عسكرا من هذه العساكر الثلاثة. فهزمهم الله لأول حملة، وركبوا أكتافهم يقتلون ويأسرون ويستلبون. وبقى الشيخ في النسوان والعبيد مناهدين لجيش جلاج، فخرج أخوه عثمان،[482] وصاحبه عبد الله[483] طليلة، فطلعوا على المعترك فإذا هم بالعساكر، قد هزمها الله وإذا بالشيخ فى من معه من الحشم. فانقلبوا وقالوا لجلاج: هذا الشيخ وليس معه إلا الحشم. فملنا عليهم ميلة واحدة. فقد أنهزم سائر العساكر. فقال: عجبا لكم، هذه الجيوش المكاثرة للحصا والرمل هزمها من تعرفون من الفقراء والمساكين والسقط وبقى الشيخ بنفسه مع النساء والخدم يرصدكم مناهدا لكم، لتكونوا شر العساكر، يهزمهم من الرجال من تعرفون فى قلة العدد والعدة، ويهزمكم النساء والخدم بالمداق والعناهر

481– همد الفلاني: لم نعرفه

482– عثمان: لم نعرفه

والعصي، لاتالله بل تكون هزيمتي بغير سبب غاهر ضعيف. فانقلبوا إلى أهلهم صاغرين، وراح أصحاب الشيخ عليه بالخيول الكثيرة والعدد والعبد والركائب من حمير وثيران فارهة وأسلاب. وكانت تلك الوقعة المدعوة عندهم ب "يوم السبت" هي فتح الفتوح عندهم. ثم لم تزل الفتوح تتوالى عليهم بعناية الله ونصره وتأييده إلى يومنا هذا أدام الله ذلك، وأسس على البر والتقوى ما هنالك.

وأما سراق أهل المغرب الأقصى[484] فهم لصوص محاربون، لأنهم ياتوا ليلا بالسلاح مجمعين على المكابرة، متى عثر عليهم، بل منهم من يكون عند رأس صاحب المنزل، ويأخذ صاحبه فى أخذ الأمتعة والمال. فمتى تحرك صاحب المنزل تهدده أوضربه. وكذلك يخرجون الحيوان من المراح والحظيرة والباقون واقفون بالسلاح، يمنعونهم ممن يقوم عليهم. والحكم فيهم كما قال فى المدونة: "وإن كانوا جماعة تولى أحدهم قتل المقتول، وباقيهم عونا له، فأخذوا على تلك الحال قتلوا كلهم، وإن تابوا قبل

---

[483]- عبد الله : لم نعرفه

[484]- يقصد المجال الغربي لموريتانيا الحالية، أي منطقة الكبلة وأحوازها، وهذا الاصطلاح شائع عند سكان أقصى الشرق الموريتاني الحالي للدلالة علىمن يقعون عنهم غربا من أهل بلاد الحوض وقاعدته مدينة ولاته. ويرد ذلك على سبيل المثال في كتاب تاريخ السودان للسعدي في حديثه المشهور عن أولية العمران البشري والتجاري في مدينة تمبكتو . كما يرد الاصطلاح عند سكان الجنوب الشرقي للموريتاني وأحوازه، للإشارة إلى منطقة الكبلة الواقعة في أقصى الغرب بالنسبة للمعنيين. مثال ذلك: حديث ابن الهاشم الغلاوي الولاتي في فتواه الشهيرة بشأن حرب شرببه، عن حركة ناصر الدين، حيث تحدث عن الرجل بوصفه (من طلبة البادية في أقصى المغرب). فكل منطقة من أقصى الشرق الموريتاني تعتبر ما

أن يأخذوا دفعوا إلى أولياء المقتول. فقتلوا ممن شائوا وعفو عن من شائوا وأخذوا الدية ممن شائوا[485].

وقد قتل عمر[486] ربيئة كان ناظورا[487] للباقين، وإذا ولى أحدهم لم يأخذ المال وكان الباقون له قوة ثم اقتسموا فتاب أحدهم ممن لم يأخذ المال فإنه يضمن جميع المال، ما أخذ هو وأصحابه. وفى الموازية:[488] من لقى رجلا فسأله طعاما فأبى فكبسه ونزع منه الطعام وثوبه يشبه ثوب المحارب، يضرب وينفي وفي الذي يجد الرجل في السحر وعند العشاء الأخير فينزع منه ثوبه في الخفية لا قطع عليه إلا أن يكون لصا أو محاربا. وأما من كابر رجلا ليلا حتى نزع ثوبه عن ظهره فلا قطع عليه.[489] البرزلي "قلت: إلا أن يكون كباره بضربة أو نحوها فيكون محاربا، مثل ما وقع في هذا العصر لرجل أتى الصلاة بعد الفجر، فضربه رجل بمرزبة فهجم غفلة وأختلس عمامته. فهذا محارب لا محالة. وأنظر المسمين بالشفارين الذين يأخذ أحدهم شفرة قاطعة جدا فيداخل الناس وينظر إلى ذراع الرجل أو وسطه فمتى ظهر له

يقع عنها غربا مغربا أقصى في تدرج مستمر نحو الغرب إلى أقصى الجنوب الغربي الحالي الذي يقصده المؤلف هنا.

[485]- راجع: ابن أنس، المدونة:4: 430. الحطاب، مواهب الجليل: 6: 316..

[486]- ربيئة: الطليعة الذي ينظر إلى القوم.

[487]- ناظورا: الذي ينظر العدو من أعلا ويرقبه.

[488]- الموازية: مؤلف في الفقه المالكي لمحمد بن المواز ولم نتمكن من مراجعته.

[489]- راجع: الحطاب، مواهب الجليل:6: 314

المال يقطع ذلك الموضع بتلط الشفرة القاطعة الخفية، حتى يقطع ذلك المال ويأخذه من ذلك الموضع. وربما جرح المأخوذ منه أو قطع منه عضو بشدة الضربة، ولا شعور له. قال: والظاهر عندى أنها حرابة، لأنه أخذ مالا في خفية بسلاح، فأشبه الغيلة بحرابة[490] واختلف في المحارب في المدينة. فعن ابن القاسم: هومحارب[491] وعن ابن عبد الملك: لا يكون محاربا في القرية إذا كانوا مختفين لا يفسدون إلى الواحد والمستضعف،إلا أن يكونوا جماعة يجوسون القرية كلها، مكابرين معلنين، فهم كااللصوص، يفتتحون القرى.[492] وقال سحنون : ذلك سواء قال ومن علم به بعد أخذ المتاع، وخرج به وقاتل حتى نجا به فهو سارق، لأن قتاله ليدفع عن نفسه. ولو علم به قبل أخذ المتاع، فقاتل حتى أخذه فهو محارب عند مالك خلافا لعبد الملك. وقتل الغيلة حرابة، كأن يغتال رجلا أو صبيا، فيخدعه حتى يدخله موضعا فيأخذ ما معه.[493]

وعن عبد الملك: ليجوز لإمام أن يأمن المحارب وينزله على ذلك، ولا أمن له بذلك، لأنه فى سلطان الإمام وعلى دينه.

---

[490]– راجع: الحطاب، مواهب الجليل:6: 413.
[491]– مالك، المدونة:4: 430.
[492]– للحطاب، المواهب:6: 314.
[493]– راجع: للونشريسي:2: 434– 435.

وإنما أمتنعه منه بقوة لابدين[494]. وعن سحنون إذا هرب المحارب، فأخذ حصنا من حصون الروم فحاصرناهم فنزل اهله بعهد وطلبوا العهد والأمان وامنه امير السرية، قال لاأمان له. ولا يزيل حكم الحرابة عنه جهل من أمنه. وقد ظفرنا به قبل التوبة[495]. محمد[496] واختلف فيه، فقيل يتم له، وقيل لا. قاله أصبغ أمتنع في حصن أو مركب أو مرسى، أمنه السلطان أو غيره لأنه حق الله تعالى:[497] والفرق بينه وبين المشرك أن المشرك يقر على ما بيده من أموال المسلمين.

ولا يجوز تأمين المحارب على ذلك. وفي المقدمات[498] اختلف فيما تسقط عنه التوبة على أربعة أقوال الأول: لا تسقط إلا حد الحرابة ويأخذ بما سوى ذلك من حقوق الله والناس. والثاني: يسقط عنه حد الحرابة وسائر الحدود، ويتبع بحقوق الناس من مال وقتل، وهو حق لولي القتيل. الثالث: تسقط عنه حد الحرابة وحقوق الله وحقوق الناس، إلا أن يوجد شيء من ذلك قائم بعينه فيوخذ او قتل فالحق لوليه، وهي رواية المليد عن

494- رلجع: الونشريسي:2: 434- 435.

495- راجع: الحطاب، المواهب:6: 415.

496- راجع: الحطاب، للمواهب:6: 415 .

497- للونشريسي، المعيار:2: 435.

498- للمقدمات مؤلف لإبن رشد محمد ابن أحمد (ت520هـ) وحدها المؤلف بقوله: "المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام للشرعية..." راجع: ابن رشد، المقدمات.... 273:1-274.

مالك، الرابع: إسقاط جميع الحقوق، من مال ودم إلا أن يوجد شيء من ذلك قائم بعينه. اللخمي: إذا أعترف المحاربون بما في أيديهم لأهل الرفقة اختصموا به، وأخذ كل منهم نما لم ينازع فيه فإن تنازع إثنان حكم بينهما على وجه التداعي، فإن فضل شيء أوقفه الإمام، وإن ادعاه رجلان أحدهما من أهل الرفقة اختص به، وإن لم يدعه إلى من هو من غير الفقة، دفعه إليه. الخامس: الإمام بعد الإستيناء والتضمين والصفة كاللقطة. وفي أخذ الجميع خلاف. وإن ادعاه أجنبيان حلفا وقسم بينهما. وتقدم شهادة الرفقة بعضهم لبعض. وقال اللخمي: من أخذ مال رجل بالقهر ثم قتله خوفا من أن يطلب بما أخذ لم يكن محاربا، وإنما هو مغتال. البرزلي. قال شيخنا الإمام: هذا إن فعله خيفة، وإلا فليس بغيلة بل حرابة البرزلي قلت يريد أخذ المال ثم قلته وعزم عل ذلك من أول ما أخذ المال. وأما لو أخذ المال ظاهرا، ثم بعد ذلك بدا له فقتله خشية الطلب للمال، فليس بمغتال. ففي الموازية: من لقي رجلا فسأله طعاما فأبى فكبسه ونزع منه الطعام، وثوبه يشبه ثوب المحارب، فيضرب ثم ينفى.[499]

وفى هذا القدر كفاية لمن له قلب سليم أو نظر صائب مستقيم في شرح قسمي البغي والحرابة. فلنثني العنان إلى الكلام

[499]– لم نتمكن من تدقيق هذا الغزو .

فى قسم القتال للعصبية والحمية فأقول والله أشهدني وأسترشد و به أستعين وعليه أعتمد. القتال للعصبية والحمية منهاه: قتال كل من الطائفتين، تعصبا وحمية وبقاء على أموالهم أو حرمها أو نفسها لنايرة أو مشاجرة دون رد ذلك إلى الشرع العزيز، وامتثال ما أمر به وحكم فى ذلك كل الطائفتين أو إحداهما، فتكون ظالمة متعصبة، وتكون الأخرى غير ظالمة باستسلامها لما حكم به الشرع العزيز في النايرة من غير مشاغبة، فإن لم يصل عليها وأمكنت المدارات أو الفرار والهجرة. تعين الفرار أو بذل ما يخف في المدارات. وإن صالت عليهم الفئة الظالمة بسبب أو بغير سبب فإنه يجب عليهم الفرار، إن علموا بهم قبل الهجوم ووجدوا سبيلا إلى الفرار أمنوا إمكان الفرصة منهم بالفرار والهزيمة، بعدم كف الصائلة بالفرار والخلاص منها أو لم تتكف بالمناشدة بالله في الكف فإن لم تتكف أودعت إلى ما يمكن بذله إليها أو تسليمه، وجب دفعه بالأخف فالأخف، بالمدارات إن أمكنت أو بالضرب،إن أنكفت به،دون الجراح، وبالجراح دون القصد إلى الأنفس، فإن لم تندفع إلى بالقتال،والقتل دفعة به وقتلت. والمعمول(أ) عليه إهدار دم الصائلة دون المصول عليها. قال فى هداية الطلاب[500] تشبيها باللزوم كصائلة عاجلة ولم تكف

[500]- هداية الطلاب: مصنف ضخم في الفقه المالكي صاغه الشيخ سيد المختار الكبير على نحو لم يسبق

بمناشدة. قال في شرحه،[501] يعني أن الفرقة الصائلة على الدافعة إذا عجلت أو لم تكف بالمناشدة ما قتلت من الدافعة يلزمها ويهدر ما قتل منها أو سلب، وأما لو دام الشغب والعصبية فيما بين الطائفتين حتى زحفت كل الطائفتين إلى الأخرى بالسلاح، أثم كل من الطائفتين وضمنت كل فرقة ما أصابت من الأخرى من دم أو مال. إبن عبدوس[502] ولايبطل دم الزاحفة، لأن المزحزف إليها لو شائوا لم يقاتلوهم ولا أستردوهم إلى السلطان.

وقال غيره: هذا إن أمكن السلطان أن يحجز بينهم فإن عاجلوهم فناشدوهم الله، فأبوا وزحفوا فالسيف السيف.ونحوه في المدونة. إبن العربي[503]: لا يقصد المصول عليه الدافع القتل أبتداء إنما ينبغي له أن يقصد الدفع، فإن أدى إلى القتل فذلك إلى إن يعلم أنه لا يندفع إلا بالقتل، فيجوز قصد قتله ابتداء. إبن عرفة[504]: في دعوى اللص إلى التقوى قبل قتاله، إن أمكن قولان

إليه في البلاد الصحراوية.

[501]– يقصد فتح الوهاب للشيخ سيد المختار، وهو شرح هداية الطلاب ولم نتمكن من الرجوع إليهما.

[502]– ابن عبدوس: سعيد بن عبدوس من أهل طليطلة، لقي مالكا فسمع منه الموطأ. راجع: عياض: المدارك:1: 473.

[503]– ابن العربي: (468-543هـ/1076-1548). أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي: الإمام الحافظ أخذ عنه من لايحون مثل القاضي عياض وابن بشكوال، بقي يفتي 40سنة. من تصانيفه: شرح الجامع الصحيح للترمذي، قانون التأويل وغيرها. راجع: مخلوف: شجرة النور:1: 136-137، ابن خلكان، وفيات الأعيان، الترجمة (626).

[504]– ابن عرفة: (ت803هـ)، أبو عبد الله محمد بن محمد، الشهير بابن عرفة الورغمي بفتح الواو نسبة إلى قبيلة ورغمة، علم عصره علما وصلاحا، تولى الإفتاء والإمامة والخطابة بجامع الزيتونة. راجع: مخلوف، شجرة النور.

فى جهادهم، إبن يونس[505]: إن طلب اللصوص مثل العلف والثوب فأحب إلي أن يعطوه ولايقاتلوا.[506]

وقال سحنون: لا يعطوا شيئا ولايدعوا لأن الدعوة لاتزيدهم إلا إغرائا وجرئة. وقد تبين لي ان دمه حلحل حين نصب نفسه للحرابة والفساد.[507] وفى الحاوي: إذا دعى الإمام أهل العصبية إلى الحق فلم يرجعوا قتلوا ولا يقام لله حق المسلمين إلا بالإجتماع والتولية عليهم من يقوم بالحق ولايكون إلى قرشيا وإن كان غير قرشي قام بالعدل، فدعى إلى نصرته، وجبت طاعته ونصرته، وإن لم يكن فلا نصرة له على الناس. وقد سئل السيوري[508] عن الوهبية[509]، سكنوا بين ظهران أهل السنة وأظهروا بدعتهم فاستولى الأن عليهم من يقدر على تغيير أحوالهم، فأراد هدم مسجدهم وفسخ أنكحتهم وضربهم وسجنهم وردهم لمذهب مالك، وربمى تزوج الوهبي بمالكية لتقوى عصبيته بمصاهرتهم، فأجاب: لايهدم المسجد لكن يخلى منهم

---

[505]– راجع: المواق، التاج والإكليل، على هامش الخطاب، مواهب للجليل، ج6 ص314.

[506]– راجع: المواق، هامش الخطاب ص315.

[507]– راجع: الخطاب، المواهب:6: 315.

[508]– السيوري: عبد الخالق بن عبد للوارث، خاتمة أئمة القيروان. كان آية في الدرس والصبر عليه. راجع: عياض، المدارك:2: 770، مخلوف، شجرة النور.

[509]– الوهبية: فرقة من الأباضية، كانت فئة منهم في جربة وغربي تاهرت. ويرى للرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب ص173 (– للتوفيق، تحقيق تشوف التادلي، ص284، هامش 730)، أن للوهبية تنتسب إلى عبد الوهاب بن رستم الاباضي وينسبهم لآخرون إلى عبد الله بن وهب الراسبي، راجع:

ويمنع العزاب من الدخول إليهم، والتصرف عندهم، وهو الصواب والحق ويعمر المسجد بأهل السنة. ويفسخ نكاح من تزوجوا من أهل السنة ويسجنهم ويضربهم إن لم يتوبوا.هذا هو الحق ومن قدر على ذلك لزمه.

ولا يتركون يخالطون الناس[510]. وهكذا الحكم فى مخالطة اللصوص الجهلة المنهمكين في المعاصى والفواحش انهم كما يظهر معه على البديهة ومن إمانهم يزيد بزيادة الأعمال الصالحة، وينقص بنقصها. وهؤلاء الأعمال لهم صالح إلى على وجه الندور والنقص أوالفساد، بحيث لايتحاشون جريمة ولافاحشة، أجتمعوا وأنفرد منهم المنفردون. فما ذا ترى حال من خالطهم وساكنهم؟ فكيف بمن انغمر بغمار فتنتهم التيه هي القاصمة للظهور المظلمة للصدور. وهذا عبد الله بن الطالب محمود يحكم لنفسه بعد غرقه ببحر أدهى فتن هؤلاء الموصوفين أنه من أخص الأولياء وأخلص الأصفياء ولامكر يمكر ولاحفير يحفر فى تلك الفتنة إلا وهو عاقد مكره وباحث حفره. وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم سئل: هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد، قال: نعم ثلاثة أشياء: ترك الشكر على الإسلام، وترك

الإدريسي، نزهة المشتاق: 128، للحميري، الروض المعطار158 .للونشريسي، المعيار:1: 445، التجاني، الرحلة: 123-124.

الخوف من ذهاب الإسلام، وإدمان الظلم لأهل الإسلام[511] وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من اعان ظالما على مظلمة أو لقنه حجة، يدخل بها حق امرئ مسلم، فقد باء بغضب من الله. وعليه وزرها. وياخسارته في حزبه، وما بلغنا من أن أحميد بن الراضي[512] يقول: لم ينتقص عليهم في حربهم من أنكارهم وأورادهم التي كانوا يستعملونها خارجه شيئا. ألم يبلغهم ما صح في الخبر أن الله تعالى يقول لموسى عليه السلام: {قل للظلمة لايذكروني، فإن ذكري عليهم وبال}. قال موسى: يارب ومن الظلمة؟ قال: الذين يظلمون الناس في أموالهم، يا موسى بنفسي حلفت أن أبواب السماء دون من أكل الحرام، وإني لأمر الملائكة يبادرون في حوائجهم إذا غضبت عليهم. قال موسى: يارب كيف تعطيه وهو مجرم؟ قال الله تعالى: أبغض دعوته، فأسرع في حوائجه كي لايدعوني. {سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}

وقال زيد بن سجدة:[513] إن في جهنم جبابا -يعني: مواضع- كساحل البحر فيها حيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الدهم، فإذا أستغاث أهل جهنم أن يخفف عنهم يقال لهم أخرجوا

510- راجع: الونشريسي، المعيار:1: 445-447.

511- لم نعثر له على تخريج .

512- ابن الراضي: من صلحاء إدو الحاج الركيبة المشهورين، قال عنه ابن حامد "كان مشهورا بالصلاح والكرامات، لقب باللطف [=كذا] لكثرة سؤاله من الله أن يلطف به..." راجع: ابن حامد، 4، ص1-6.

إلى الساحل فيخرجون، فتأخذ الحسات شفاههم ووجوههم، فيستغيثون منها إلى النار فيسلط الله عليهم الجرب، فيحك أحدهم جلده حتى يبدوا عظمه. فيقال له: يافلان هل يأذيك ذلك فيقول: نعم فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المسلمين. وتسارع إلى ظلم العباد. وهو معنى قوله تعالى: {زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون}[514]. إذا كان الجهاد الصادق الواجب الآتي على أكمل وجوهه في أرجح أبوابه يشغل أخص العباد المنزه باطنه عن الغيبة والحجاب، فضلا عن البعاد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الأمجاد، فقال: "شغلونا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، ملأ الله صدورهم وقبورهم نارا"[515]. فأين تقع دعوى هذا المسكين الذي لم يحصل منه حضور قط، ولاصح له حال ولاوجدت منه استقامة تامة في دقيقة من دقائق عمره حتى تمر عليه ساعة فزع ودهش أسلم فيها ماله الذي من أجله كان تغايبه وتواجده وعدا عياله وحشمه منهزما، فارا لايلوي، فلو أنه كر وراء المنهزمين، لشمت به كما شمت هو بقتلي دوك بص الذين كروا ولم يفروا، فصدق فيهم قول القائل:

513– لم نجد له ترجمة .

514– النمل، الآية 88، مكية.

515– راجع: ابن كثير، السيرة النبوية:3: 209.

فيما شماتة إعــلان بأســد وغي   أثناهم الصبر إذ أبقاكــم الجــزع
ما غاب عنهم من الأقــدام أكرمه   في الروع إذ غابت الأنصار والشيع
كانمــا بهــم من حبهـــا شــره   إذا هم انغمسوا في الموت أو شجع
يود أعداؤهــم لــو أنهــم قتلــوا   أو أنهم صنعوا بعض الذي صنعوا
لو خسر سيف من العيوق منصلــة   ما كان إلا على هاماتهــم يقــع[516]

وهم يومئذ أكلة رأس بين الفاتكين وعصبة قد أحاط بها من جوانبها أعداء الدين. ولولا فادح ماجلب إليها من قلة الحياء من الله، وما ألف من الدعوى والإفتراء على الله وكان له قلب يعقل أو فكر يعي وينقل لأصطلمه الحياء واصطدمه الخوف من الله والرجاء. فلا يأمن مكر الله إلى القوم الخاسرون.[517] ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.[518] وقد كتب عمر بن عبد العزيز[519] رضي الله عنه إلى بعض عماله: أما بعد فقد أمكنتك القدرة من مظالم العباد، فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك واعلم أنك لاتأتي الناس شيئا إلى زال عنك باقي إثمه. واعلم أن الله تعالى أخذ للمظلومين بحقوقهم من الظالمين.

---

[516]– لأبي تمام. راجع: ابن عبد ربه، العقد الفريد: 6: 208.
[517]– الأعراف، الآية 99 ، مكية.
[518]– الأنفال، لية 30، مكية.
[519]– عمر بن عبد العزيز: (61– 101هــ/681-720م)، ابن مروان بن عبد الحكم الأموي القرشي، أبوا حفص الخليفة الصالح، من ملوك الدولة المروانية بالشام، كانت مدة خلافته سنتان ونصف، والأخبار في عدله وحسن سيرته كثيرة. راجع: للزركلي، الأعلام، ج5 ص:50.

والسلام. وذكر الكلبي[520] عن رجل قال: حضرت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قد أذن للناس أذنا عاما ودخلت امرئة فأرسلت لثامها عن أحسن وجه وأنضره، ومعها جاريتان لها فخطبت خطبة بهت لها كل من حضر. ثم قالت: وكان من قدر الله تعالى أن قربت زيادا[521].

وجعلته أخا وجعلت له في آل سفيان[522] نسبا، ثم وليته على رقاب العباد، يسفك الدماء بغير حلها ويأخذ الأموال بغير حقها، وينتهك المحارم بغير مراقبة فيها، ويرتكب المعاصي أعظمها، لا يرجوا لله وقارا ولا يظن أن له معادا ولا مصارا. وغدا يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما أجترحت بين يدي ربك. فلا الماضين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أتبعت ولا سبيلهم سلكت. فحملت عبد ثقيف على رقاب الناس، يسفك دماءهم وقد مضى من عمرك أكثره، وذهب خيره وبقى أيسره. وإني أمرئة من بني ذكوان[523] ذهب زياد الدعي إلى أبي سفيان على وراثتي من أبى وأمي، فغصبنيها غلما وحال بيني وبين ضيعتي وممسكة

---

[520]– الكلبي: (ت204هـ/816م)، هشام بن محمد ابن السائب الكلبي مؤرخ عالم بأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه. له "جمهرة الأنساب" و "الأصنام". الزركلي، الأعلام، ج8 ص:88.

[521]– زياد ابن أبيه: أمير من الدهاة للقادة الولاة من أهل الطائف. للحقه معاوية بنسبه سنة 44هـ، فكان عضده الأقوى ولاه البصرة والكوفة والعراق. الزركلي، الأعلام، ج3 ص:53.

[522]– آل سفيان: نسبة إلى أبي سفيان بن حرب، الصحابي المعروف من بني عبد شمس.

[523]– بنو ذكوان: من بني سليم بن منصور، راجع: كحاله، معجم قبائل العرب:3: 404.

رمقي. وقاتل من نازعه فيها، فإن أنصفت وعدلت وإلى وكلتك وزيادا إلى الله. والمنصف بيني وبينكما الحكم العدل. قال: فبهت معاوية، ينظر إليها متعجبا. ثم قال: ما لزياد لعن الله زيادا لايزال يبعث على مثالبه من يثيرها، وعلى مساوئه من ينشرها. وحكي عن عامر الشعبي[524] قال: أستأذنت سودة بنت عمارة بنت الأشبك[525] على معاوية رضي الله عنه فأذن لها، فلما دخلت عليه قال لها: جئت يابنت الأشبك. ألست القائلة يوم صفين تناشدين أخاك:

شمـــر كفعـــل أبيك يـــا بن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطـــــه	واقعد لهنـــد وابنهـــا بهوان
إن الإمـــام أخا الـــنـــبي محمـــد	علم الهدى ومنارة الإيمـــان
فقـــد الجيوش وسر أمام لـــوائـــه	قدما بأبيض صارم وسنـــان[526]

قالت بلى يا أمير المؤمنين. وما مثلي من رغب عن الحق وأعتذر بالكذب. قال لها: والله ما أدري من أثر علي عليك شيئا. فقالت: أنشدك يا أمير المؤمنين ترك إعادة ما مضى وذكر ما خلا. قال لها هيهات مثل مقامك لا ينسى. وما لقيت من أحد ما لقيت من أخيك. قالت: صدقت والله يا أمير المؤمنين لم يكن

---

[524]- عامر للشعبي: (19-103هـ/640-721م) عامر ابن شارحي بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، من التابعين، يضرب المثل بحفظه.

[525]- بنت الأشبك: راجع عنها: ابن عبد ربه، العقد الفريد: . العاملي، الكشكول:2: 333-334.

أخي ذميم المقام ولاخفي المكان،كان والله كما قالت الخنساء[527] في أخيها صخر[528].

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نار[529]

وأنا أسأل أمير المومنين إعفائي مما استعفيته منه. قال قد فعلت، فما حاجتك. قالت: يا أمير المؤمنين، إنك قد أصبحت للناس سندا ولأمورهم مواليا. والله يسألك عن أمورنا وما أفترض عليك من حقنا، فلا تزال تقدم علينا من ينوء بعزك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل. هذا إبن أرطأة[530] قدم علنا فقتل رجالي وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، قال لها: بقولك تهدديني، والله لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس، فأردك إليه لينفذ فيك حكمه. فلما سمعت قوله أطرقت برأسها إلى الأرض وأنشدت تقول:

صلى الإله على روح تضمنــــه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

526- راجع: المصادر اعلاه.

527- الخنساء: (ت 524هـ/645م) تماضر بنت عمر، من بني سليمان أشهر شواعر العرب وأشهرهن. أدركت الإسلام فأسلمت. راجع: الزركلي ،الاعلام:2: 86.

528- صخر: (ت نحو ق 10هـ/ 613م) صخر ابن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي أخو الخنساء الشاعرة. كان من فرسان قومه، مات متأثرا بجراحه بعد غزوة له على بني أسد ابن خزيمة. ولأخته الخنساء شعر كثير في رثائه ورثاء أخيه معاوية المقتول قبله. راجع: الزركلي، الأعلام :3: 201.

529- أنظر: ديوان الخنساء ...

قال لها معاوية: ومن ذلك؟ قالت علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- وقال لها: وما علمك به: قالت: أتيته في رجل وله علينا لم يكن بيننا وبينه إلا ما بين الغث والسمين، فوجدته قائما يصلي، فلما نظر إلي أوجز في صلاته وأقبل علي وقال: برأفة وتلطف: ألك حاجة؟ فأخبرته فبكى. ثم قال: اللهم أشهد علي وعليهم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولابترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد، فكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مومنين"[531]. وإذا قرأت كتابي هذا فأحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم إليك من يقبضه منك. والسلام. فأخذته منه، والله ما حزمه بحزام، ولاختمه بختام، فنهضت إليه فعزلته. فقال لها معاوية: أكتبوا لها برد مالها والعدل عليها. فقالت: يا أمير المومنين أ لي خاصة أم لقومي عامة. قال لها: وما أنت وقومك؟ فقالت : هي إذن الفحشاء واللؤم، إنّ كان عدلا شاملا، وإلا فكسائر قومي. فقال لها معاوية رضي الله عنه: علمكم علي كرم

530- ابن ارطاة: بسر بن أبي ارطاة (ت86هـ/750م) العامري القرشي أبو عبد الرحمن قائد فتاك من الجبارين. ولد بمكة قبل الهجرة، كان من رجال معاوية وولاته. راجع: الزركلي، الأعلام :2: 51.

531- الأعراف، 85 مكية.

الله وجهه الجرأة على السلطان، أكتبوا لها حاجتها[532]. فهذه لمحة من صالح سيرة السلف الصالح، وطرف مما هم عليه من الخلال الملائح والشيم الرواجح، وهذا الأخ عبد الله يستشيط غيظا ويفيظ من فيه الفحش والأذى فيظا، لماذكرته به مما توهمت أنه عامل في استعطافه على كنته، وعطفه من تقرير ماسلف، بين سلفهم وسلف أيدوالحاج، وبدر من خلفهم إلى خلفهم من التواصل والتخالق والتناصر والتظافر، توهما مني أن معه قلبا شرح بالإيمان، أو بصيرة أكحلت بأثمد الإيقان أو نظرا عاملا في الجولان في مسالك الطريق أو همة مترامية إلى معارج الحقيقة والتحقيق، فتعمل فيه تلك العظة، فتنسخ نوم غفلته اليقظة فيرعوي بعد الإنهماك، ويتحامى الإرتباك بربكات الهلاك، فإذا به كما في الحديث: "من لا واعظ له من قلبه فلاواعظ له". وقد مثل علي كرم الله وجهه القلوب فقال: إن لله في أرضه آنية هي القلوب، فأحبها إليه أرقها وأصفاها. وأصلبها. ثم سئل عن معنى ذلك، فقال أصلبها في الدين، وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان المؤمنين. وهو إشارة إلى قوله تعالى: "أشداء على الكفار رحماء بينهم"[533]. وقد قسم صلى الله عليه وسلم القلوب إلى أربعة: قلب

---

[532]- انظر القصة في: الكشكول للعاملي :2: 333-334.

[533]- الفتح، آية 29، مدنية.

أجرد فيه مصباح يزهر، فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس، فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة[534]، يمدها الماء الطيب أحيانا. ومثل النفاق فيه كمثل القرحـــة، يمدها القيح والصديد فأي المددين غلب عليه حكم له به[535].

وفي رواية يقال: يقال أن الله تعالى يشير إلى العبد المؤمن كأنه يقول له يا عبدي سلمت عليك الدنيا باسرها عاجلا والعقبي آجلا، موافقة لسؤالك وإجابة لدعائك، أفلا تسلم لي واحدا من أعضائك وهو القلب. نعم الرب أنا لك، وبيس العبد أنت لي. ولذلك القلب ما دام يقظانا يصلح لخدمة الملك، فإذا غفل نام فإذا نام مرض، فإذا مرض لم يزل يشتد سقمه حتى يموت، فإذا مات صار جيفة لم يصلح للدخول على الملك، فيلقى حين إذ للكلب وهو إبليس. وليته كان لعبد الله قلب بقيت له لفتة إلى جناب الحق والنصيحة له وفيه. فيقهر من سورة نفسه وفورة حسه. فيقول: بدل ما هذى به معروفا، وموضع ماءاذى به عتبا نافعا مألوفا. فذلك إن لم ينفعه بالعاجل والأجل لم يضره. وهذا إن لم يضره

[534]- البقل: مالم تبق له أرومة في الشتاء بعد ما ترعى.
[535]- راجع: الطبراني، ج. 2، ص:111.

فى العاجل والأجل لم ينفعه. إذ أقل ضرره عليه، أنه لو هدي إلى رشد من أمره لرأى أنه في بقية من عمره وفضلة من شيبته. وممن يعتقد العموم فيه صلاحا، فلو راعى حرمة ذلك المقام وراعى ما يجب على مثله من الهيبة طول الشيبة والإحتشام وأنشد نفسه. إذ لايقبل الإنشاد من غيرها :

عصبت الهـوى أيام شرخ شبيبتي فلما رمتني بالمشيب يـد الكبـر
أطعت الهوى عكس القضية ليتنـي خلقت كبيرا ثم عدت إلى الصغر

واعتبر قول الحكيم: إذا اتقيت ربك وحذرت الطريق المؤدية إلى الشر لم تقع في الشر. وإن كان إنما خبط به هذا الخبط الإغراق في طلب العز الدنيوي، فليعتبر حديثا:" إن الله تعالى يقول: كل يوم أنا العزيز ومن أراد العز فاليطع العزيز". وفي الحكم: من أراد عزا لا يفنى فلايعتزن بما يفني". فالمرء المحب لسعادة نفسه لايقصرعن نفسه، لاسيما إذا كان المقام فى هذه الدنيا من الممتنع، والخروج منها واجب، وعملك أيه المسكين دليل قلبك، إذ هو قطب البدن، وعليه تدور حركته، وإنما الجوارح أتباع وخدم، يستخدمهم القلب ويستعملهم استعمال الملك العبيد، واسخدام الراعي الرعية. والقلب هو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله. وإنما الحكم بالظواهر، فمن خرج ظاهره عن مقتضى الحدود الإسلامية، حكمنا بترقيه في مقامات الفسوق عند

التحقيق بحقائق التقوى. فقد سمعنا الله سبحانه وتعالى قرن فلاح العبد بتقواه لربه، فقال: {واتقوني ياأولي الألباب لعلكم تفلحون}. وأرشدنا إلى أن التقوى أرفع مقامات الإسلام بقوله: {اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلاوأنتم مسلمون} أي المنتهون إلى أرقى مراتب الإسلام التي هي التقوى ولها وظائف ومشارع لايتصف العبد بحقيقتها، مالم يقع بتلك الوظائف، ويقف بتلك المشاعر.

فمن رأيناه أخل بشيء من ذلك حكمنا بنقص إسلامه وقلة تقواه، إذ التقى جعل العبد بينه وبين ما نهى عنه الشرع العزيز وقاية. وهو الإئتمار بالأوامر، والإنزجار للزواجر، فمن ادعى التقوى مع الإخلال بهذا الحد، أوكمال الإسلام بقول أو حال، كذبناه وأقمنا عليه الحجج الصحيحة والأدلة الصريحة، إن رأيناه كابر بلإصرار، ولم يعقب الجناية بالإقلاع والتوبة والإستغفار. فمن أين لنا تبرأة عبد الله والحكم له ولحزبه الخبثاء المحاربين الذين زادهم عبد الله بإحلال النفوس المعصومة، وإباحة الأموال المحجورة والحرم المحترمة بإجماع سائر الملل. فهم إن لم يكونوا فيما مر كفارا، لاعتقادهم أن ما يتناولون من ذلك حرام فهم فى تناوله وانتهاك حرمته عصاة. من قسمت له منهم توبة فتاب مقلعا عنهم، نادما متنصلا يرجى له ما يرجى للتائبين من

التوبة عليه والمغفرة له. وهم في هذه النائرة، إن لم يثبتوا على ماكانوا عليه، وقلدوا عبد الله في فتياه، باستحلال ما علم من الدين ضرورة، حرمته، كتابا وسنة وإجماعا، كفار. وكنتة في قتالهم اللصوص المحاربين الذين قتلوا أعيانهم وتعدوا لهم حد المدارات والفرار من أرض إلى أرض وحرم إلى حرم، لا أرى ولايرى منصف إلا أنه جهاد واجب عليهم، بل هو أفضل وأكد وأكثر أجرا من جهاد المحاربين في أرضهم، ولقتلاهم فضل الشهادة وأجرها. ومن قتلوا من الفئة المحاربة فهو هدر، ولهم في قتله الثواب، ولايدفع ذلك الحكم دخول غيرهم في غمارهم ممن ينتسب زوايا، كماهو منصوب مشهور. وأما المقتولون منهم غدرة وغيلة، بين عيالهم، فهو إن لم يكونوا أفضل ممن قبلهم، فهم مثلهم في الحكم والفضيلة، وكلا الطائفتين المفتوك بها والمدافعة عن أنفسها وحرمها ومالها يرجى لهم مايرجي لمن أضطر إلى القتال، دفاعا، فقاتل وصابر العدو، ببذل نحره والتوكف بنصر الله وظفره.

وأما دعوى عبد الله أنه رأى قتلى كنته في النار وقتلى إدوعيش في الجنة، فإن كانت حلما فنار الحلم محنة تخلص المؤمنين من كدر ما اجترحوا. قال البوصيري:[536]

لو يمس النضار هون من نار   لما أختير للنضار الصلاء[537]

وإن كانت رأية يقظة، فقد فسرت لنا في الحديث الصحيح نار الدجال، فقد صح في الحديث "نار الدجال جنة وجنته نار"[538]. ولاأشقى ولاأحقد من المؤمن تحمله العصبية والحمية والمنافسة في الدنيا والرياسة على مقاطعة أخيه المؤمن، ومناحرته في الدنيا، فيقتله. ثم لايزيل حقده وإحنته بالموت حتى يفتري على الله ماليس له عليه برهان من الإطلاع على خزائن الغيب المكنونة.

وقد قال في ذلك القائل:

ولا تقل هذا من أهـل النـار   كلا ولا هـذا مـن الأبـرار

إلا لمن اخبر عنه المصطفى   بالفوز والخزي لمن قد وصفى

---

[536]– البوصيري: (608- 696هـ/ 1212- 1296م) محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري، شاعر مجيد أشهر شعره "البردة" و "الهمزية". راجع: الأعلام ج6 ص139.

[537]– من القصيدة المسماة: الهمزية في مدح خير البرية.

[538]– متفق عليه. راجع: محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج، 3 ص312.

وسلفهم فيما درجوا عليه الفرطة إلى ماعرجوا إليه العصبة الآلية الفاطمية العلوية، المستشهدة بكربلاء[539]، المرجوم من فتك بهم بكل كرب وبلى[540]:

لعمرك ما بالموت عار على أمرء   إذا لم تصبه في الحياة المعائر

بل هم خلف عن سلف ينشد من سلف منهم من خلف:

ونحـــن أناس لاتوسط عـــنـــدنـــا   لنا الصدر دون العاملين أو القبر[541]

ويا لله العجب من عهد عبد الله في هذيانه عدم الحكم ببغي كنته في دفاعهم لإيدوعيش عن أنفسهم وحرمهم وإبايتهم عن الإستيسار والدخول تحت ذمة أوشاب الرعيان، وأوباش الضبعان. ولسان حالهم ينشد، وما بلوا به ينبه وينشد[542]:

هو الموت فاختر ما علا لك ذكره   فلم يمت انسان ما حيي الذكر

وفي الجامع الصغير من حديث الطبراني: "نعم المنية : أن يموت الرجل دون حقه[543]" وفيه أيضا من حديث الطبراني: "خذ حقك في عفاف واف أوغير واف"[544] وعنه صلى الله عليه وسلم:

---

[539]- كر بلاء، بالمد: هو الموقع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما، وفي طرف للبرية عند الكوفة.

[540]- لم نعرف قائله.

[541]- لأبي فراس الحمداني، الديوان: ص161.

[542]- لأبي فراس الحمداني، ص 160 .

[543]- للسيوطي ، الجامع الصغير، ج2 ص: 676 (الحديث رقم: 9275) لأحمد في مسند عن سعد حديث حسن.

[544]- للجامع الصغير: ج1 ص:600 (رقم: 3888) إبن ماجه وللحاكم في مستدركه، كلاهما عن أبي هريرة. للطبراني في الكبير عن جرير. حديث صحيح.

إذا رأيت أمتي تهاب أو تقول للظالم أنت ظالم فقد تودع منهم. وكيف لايكون عبد الله ظالما، وبأي وجه تحل إثارتنا لهذه الفتنة التي طالما سكنت على أيدي رجال هم أقرب منه إلى الإنصاف، وأبعد من البغي والجور والإعتساف، فإن زعم عبد الله أنه محتسب، وآمر بالمعروف ونهى عن المنكر قلت : المعروف لايطالب الأمر به إذا أدى الأمر به إلى إخلال بمعروف أهم منه، لمضي العمل سلفا وخلفا على المطالبة بترتيب المطلوبات في الأداء الأهم فالأهم، والأوكد فالأوكد. ثم كذلك في المعروف المودي الأمربه إلى ارتكاب منكر، فإنه يجب الإمساك عنه-للإجماع على أن درء المفاسد الأولى من جلب المصالح[545]. وكذلك في النهي عن المنكر يؤدي إلى منكر أعظم منه، كنهيه عن زنا فيؤدي إلى قتل، أوقتل واقع يؤدي إلى قتال مستقبل، تفنى منه عصبة. الثاني: أن يعلم أويظن أن نهيه يفيد. الثالث: أن يكون عالما بحكم الله في المنهي عنه، ليلا يعكس فينهي عن مأمور به، فبانتفاء هذا الشرط ينتفي الجواز، وبانتفاء ماقبله ينتفي الوجوب، ويبقى الجواز والندب. وأما العدالة وإذن الإمام، فالمشهور عدم اشتراطهما، إلا أن يخاف من المفسدة.

---

[545]- للجامع للصغير، ج1 ص:97 (رقم627) لأحمد في مسنده، وللبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما، حديث صحيح.

فيتعين إذن الإمام. هذا ومراتب النهي عن المنكر ما شرحه الحديث الصحيح، عن أبي سعيد الخدري[546] رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رآى منكم منكرا فاليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[547]. فأعلى المراتب تغييره باليد إذ هي أبلغ في تغييره، كإراقة الخمر والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب إلى مالكه، ونزع الحرير من لابسه، فإذا أحتاج في ذلك إلى إشهار سلاحة أوحرب، رفع إلىالسلطان.

وثانيها باللسان، بأن يمنعه بالقول وتلاوة القرآن، مع صياح واستغاثة وتوبيخ وتذكير بالله وأليم عقابه، مع لين وإغلاظ، بحسب مايقتضيه الحال. وقد يبلغ بالرفق والسياسة مالا يبلغ بالسيف والرياسة. ولذا قيل: من رآى عورة أحد من الحمام ينبغي أن يكون إنكاره عليه بصيغة أستر سترك الله. وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر شرب الخمر بالشام، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب له: {حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد

---

[546]- ابو سعيد الخدري (10ق-هـ- 74هـ/ 613- 693م)سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي أبو سعيد. صحابي جليل. له 1170 حديثا توفي بالمدينة. رلجع: للزركلي، الأعلام.

[547]- راجع للترمذي، السنن. ج3 ص: 318، حديث صحيح.

العقاب ذي الطوْل لاإلاه إلاهو عليه المصير}[548] فترك الرجل الخمر وتاب عنها.

وحكى التاج السبكي[549] عن أبيه أنه: كان يجتمع ببعض الأمراء. وكان الأمير يلازم الحرير، فقال: ياأمير بكم الذراع من هذا؟ فقال بدينار. فقال: في الصوف ما يساوى كل ذراع منه دينارا ومماليكك وخدمك يشاركونك في لبس الحرير، ولايليق بشهامتك أن يساووك، فأعدل إلى الصوف، فإنه أعلى وأغلى، مع مافيه من السلامة ومن العقوبة في العقبي، فاستحسن كلامه، وأقلع من حينه، ولوقال ابتداء: هذاحرام، لم يفد. ولو وقفت المطالبة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، على الإئتمار به من الأمر الماموز، لتعطل الأمر والنهي بالمعروف وعن المنكر، وأنسد باب النصيحة التي حث الشارع عليه، سيما في هذا الزمان الذي صار التلبس فيه بالمعاصي شعارا للانام ودثارا للخاص والعام. وقوله تعالى:{يا أيه الذين آمنوا عليكم أنفسكم}[550]. محمول على ما إذا عجز عن إزالة المنكر، ولاشك في سقوط الوجوب حين إذ كما مر، أن معناها عند المحققين: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم

---

[548]– سورة غافر، آية1، مكية.

[549]– التاج السبكي (683-756هـ/1284-1355م): علي بن عبد السكاني .... السبكي الأنصاري، شيخ الإسلام في عصره وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. من كبار علماء الأصول. وله فيه التصانيف الحسنة. راجع: الاعلام،302/4.

به لايضركم تقصير غيركم نحو {ولاتزر وازرة وزر أخرى}[551] ومما كلفنا به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا القبول. وذكر الشعراني[552] فى المنن عن سيدأبراهيم المتبولي[553] أن تغييره باليد يكون بالولاة الذين يضربون ولايضربون، ويقتلون ولا يقتلون، وغيره باللسان للعلماء فيؤثر زجرهم باللسان في قلب فاعل المنكر.

فيرجع عن ذلك المنكر وتغييره بالقلب للعارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم بنفوسهم أن يكونوا ناهين لغيرهم، فيتوجه أحدهم بقلبه إلى الله عن وجه في تغيير ذلك المنكر، فيكف الظالم عن ظلمه، وشارب الخمر عن شربه. فهذا هو التغيير حقيقة[554] لوكان لدعوى عبد الله أساس حق أوحقيقة تقوم عليه قواعدها. ولاكن كيف يصح عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يأمر به هو مخل بماهو أكد منه، وما ينهي عنه متلبس بما هو أنكر منه:

550- المائدة، آية 105، مدنية.

551- الأنعام، 164، مكية.

552- الشعراني: (ت898- 973هـ/ 1493-1565م) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني. من علماء المتصوفين. مصر المولد والوفاة. راجع: الاعلام 180/4.

553- المتبولى: (ت 887هـ/1473م) ابراهيم بن علي بن عمر بن برهان الدين الأنصاري المتبولى. للعامة فيه اعتقاد وغلو. توفى بأسدود من المنوفية بمصر. له كتاب (الأخلاق المتبولية). راجع: الأعلام: 52/1.

554- راجع: الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد، لطائف المنن (2ج في 1مج) [ط. مصر، القاهرة، د. ت]، ج2 ص:178.

بالعلم يصلح ما يخشى تغيره   فكيف بالملح إن حلت به الغير[555]

وقد سمعت الشيخ الوالد رضوان عليه يقول: الشريعة كسفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن عدل عنها غرق.

وما على عبد الله إن حمل لواء فتنة أهل تكانت وأكان وتشيت ووادان أن تعداهم بفتنته إلى من عداهم، ولايعادي من سواهم ولو عاداه. فقد أرشده الحق في المنزل الحق، وأوصاه بقوله: {أدفع بالتي هي أحسن السيئة فإذا بالذي بينك وبينه عداوة، كانه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم}[556] فما لعبد الله وتسديد سهم عدائه إلى من بعد حسا ومعنى عن اوطانه وقرانه، لتجرده للحرب وخبرته بكل نوع منه وضرب، وجهلنا بجمله وتفاصيله، ولجأنا إلى الكافي الكفيل من الحصون في ضمنه وتحصيله. فقد أتعظ المتعظ السعيد بحاله، وما جر من سوء السمعة والبقية الباقية لعقبه وآله:

يامؤثـــر الدنيـــا للذتـــهــــا   والمستعد لــمـــن يفـــاخر[557]

قل ما ذا بدى لك أن تنال من   الدنيا فإن الموت أخره

وما عتب علينا به الإنتساب إلى كنته فليس نسبنا فيهم، ولله الحمد، بللصيق فينفونه ولا بالسحيق فيدفعونه، وليس نسبهم

555– لم نعرف قائله.

556– فصل: 34و 35 مكتيتان.

بالمجهول، فننتفي منه ولا بالمهين فنرغب عنه، بل لم نزل ولله الشكر والمنة، من أشراف أعضاء رأس الزوايا، لا يذكر منهم مذكور بفضيلة إلا وشركه فيها منا شريف، ولم تستبق إلى مدى شرف منهم حلبة إلا وكان منا في الفائزين بالسبق دريك. فضلا من الله وأمتنانا، وسابقة عناية وحنانا، على أن ما أدركني عليهم من الرقة والحنان والحدب والشفقة والحمية والغضب يدركني على الغريب والقريب، والجنيب والنسيب، ممن ظأره ثدي الإسلام، وعقد له الأخوة الكتاب والسنة وإجماع العلماء الأعلام، وقال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: "لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[558]. وقال تعالى في كتابه المبين بلسان قدسه {إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون}[559].

ولا يرى أن أحدا ممن في قلبه أدنى خلاق من الإيمان فضلا عن أدنى ذرة من معاني الإيقان يبلغه أن أبعد بعيد من المسلمين وأحقر حقير من طوائف المؤمنين نزل به مانزل بأولاد سيد الوافي من غير إبقاء على مال ولا رحمة شيب ولانساء ولا أطفال. ثم لا يرق لحالهم ويهتم لبالهم، رعاية لحق نصيحة

---

[557]- لم نعرف قائله.

[558]- راجع: الجامع للصغير 753/2 (9940) رواه البخاري ومسلم، حديث صحيح.

الإيمان المتعينة، واشمئزازا من الوقيعة بين المسلمين بمثل هذه الداهية البينة التي قطعت من تركها أسباب الطمع، وجمعت فيه شؤم الحرابة والغيبة والفتك، فاجتمع رايتكم يا إخوان الإسلام وأعيان الأعلام ، لو أن عبد الله إذ فرط منه من تجهز هذا الخزي، وبعثه مافرط وأخطأ فى البداية واجترء على الله وفرط، تدارك فى النهاية ما أخذ فى البداية بإظهار الإنكار والتظاهر بالندم والإستغفار، إذ لامطمع في رد منهوب ولاتنزه عن مسلوب، ألم يكن ذلك أقوم لغدره، وأبقى على ما يدعي من إسم ولايته وفخره. فماذا يبغي أن يقول معاليه أو يعتقد مواليه، زائدا على أنه غدر وفتك، وسلك من غير سبيل المؤمنين ماسلك، فليحي فى سبيله من حيي عن بينة ويهلك من هلك، وأما العز والهوان فيراهما من هنا وأراهما من هاهنا، إذ لاعز لي بكنته حتى أهون بهوانهم، بل أعتزازي بعز العزيز الذي لايهين ولايرام ولايضام، فأعتز أنت بما تعتزبه، فقد هنت بهوانه إذ تعلقت إلى أعناق آبار الفتنة بأشطانه، فأسلمتك إلى ما غمره من ذله وهوانه. على أن المرجو منه تعالى أن يخلص كنته من فتنتك ويقيل عثرتهم من محنتك، ويدفع عنا وعن سائر المسلمين معرتك، ويكفينا وإياهم مكرك ومضرتك، إنه الكفيل بذلك والقادر

[559]- الحجرات : آية 10 -مدنية.

على ما هنالك {إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز}[560]. فلو أن عبد الله كان -كما زعم- من قسم المتقين، أوضرب له -كما أدعى- قسم من سهم الموفقين، لتدبر عاقبة فتنته قبل التورط بورطة محنته، ولأرشده قول أولى الخلق بالصدق وأحقه "إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته، فإن كان خيرا فأته وإن كان شرا فاتقه[561]. وقوله، وهو سراج الرشد والهداية المسرج : "إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة فيه، يريك الله منه المخرج[562]". ولاعتبر قول النور المبين الهادي والسراج: "إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا مايحب وهومقيم على معاصيه، فإن ذلك منه مكر واستدراج[563]"، ولأنشد نفسه ولقن حسه قول الشاعر:

لحى الله دنيا تعقب النار أهلها وتكشف ما بين القرابة من ستر[564]

وإني أعيذ إخواني من أيدو الحاج الذين تخلصوا من ربقات محنتك وخلصوا من زفرات فتنتك أن يهونوا بهوانك ويحترقوا بنيرانك. والله تعالى يقول: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن

560- سورة ابراهيم، آية 19 -مكية.
561- راجع: للجامع الصغير، 66/1.
562- للجامع الصغير، 97/1 (629) للبيهقي في شعب الإيمان، حديث حسن.
563- الجامع الصغير، 97/1 (629)، للبيهقي في شعب الإيمان ، حديث حسن.
564- لم نعرف قائله.

يعمل مثقال ذرة شرا يره}[565]. وعقد التكليف دائرا في المعاملات على الظواهر، رحمة من الله تعالى ورفقا، وهو يتولى السرائر. وقد بعث الحق سبحانه إلى الأمين من ليس على الغيب بضنين ولا ظنين، إذ أوذي في الله وعذب وحورب وجوبه بالمكروه وكذب، ملك الجبال الموكل على الزلازل والأهوال جائه فقال: ربك يقرئك السلام ويقول لك هذا ملك الجبال. قد أمرني بطاعتك في قومك، فإن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين، فعلت. فقال: من ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأوساق ولا يجزء بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، لما جبل عليه من مكارم الأخلاق، لايارب ولكن ارجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ويوحده. وأدل دليل على الولاية الخاصة تخلق المتصف بها بالأخلاق النبوية المحمدية تحققا بالإرث. وعن عائشة رضي الله عنها: "لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا يجزء بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويصفح"، أي لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا. ومن حديث أنس رضي الله عنه: لم يكن النبيّ صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا لعانا[566] والفحش كل ماخرج عن مقداره حتى أستقبح. ويدخل في القول والفعل والصفة. لاكن استعماله

---

[565]- سورة الزلزلة، الآيتان 7-8 مدنيتان.
[566]- البخاري، 55/4.

فى القول أكثر. والمتفحش الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس أتقاء شره[567]. والموفق اللبيب والمسدد الأريب: من عد ما لديه من النعم في الحال والمآل ودائع لديه وخلعا أفرغت عليه. والودائع المردودة وأيام الخدع المعدودة. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "أحسنوا جوار نعم الله لاتنفروها، فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم[568]. ورأس النعم الإيمان بالله والقيام بوظائف التعبد له، والإحسان فىالقيام بحقوق الله، وهو الدين والعلم، طريقه الموصلة إليه، ووسائله الموروودة عليه، وحامله أخص الخليقة وأخصهم خصوص الخواص من أهل الحقيقة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أخاف على أمتي ثلاثا: زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وتكذيب بالقدر"[569]. معناه أخاف على أمتي أتباع عالم فيما وقع منه على سبيل الزلل أو أمر به، ومن الإصغاء إلى جدال منافق بمتشابه القرآن، ومن التكذيب بالقدر بأن ينسدوا الأفعال إلى قدرهم، وينكرون القدر فيها. وليت المؤمن المهتم بدينه، المعتني بإنقاذ مهجته المتفرغ لأداء ماهو

---

[567]– السيوطي: اللجامع الصغير، 349/1، (2283)، للطبراني في الأوسط، حديث صحيح.

[568]– الجامع الصغير، 43/1. (255)، للبيهقي في شعب الإيمان، حديث ضعيف.

مكلف به من عبودية ربه تشغله عن عيوب غيره عيوب نفسه، وتعوقه عن عداوة إخوانه المومنين ومحاربتهم ومناجزتهم عداوة من نص الكتاب الوجيز بكلام العلي العزيز، على عداوته وأصالتها، وحض وحرض على نصب العداوة له، ومصاولته ومطاولته آخر الأبد، فقال: {إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير}[570]. وقال لآدم أبي البشر وحواء، وعدوهما أبليس يوم أهبطوا من دار القرار وجوار الملك الجبار إلى دار المحنة وقرارة الفتنة :{أهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين}[571].

فلو أنصفت يا عبد الله هذا السجل أمامك لأمسك من عنانك عن الحضر بميدانك من عداوة معارفك الأقدمين، وإخوانك. ولما أستحقرت من أحياء المسلمين ما أستحقرت، ولماهجرت من أوامر الشرع العزيز ما هجرت. ففي الأثر: لا تستصغر من الناس أحدا، حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لاتدري لعله خير منك، فإنه إن كان فاسقا، فلعلك يقسم له بحال مثله، ويختم له بالصلاح، ولاتنظر إليهم بالتعظيم في حال دنياهم، فإن الدنيا صغيرة عند الله تعالى، صغير مافيها وإن عظمة أهل الدنيا في نفسك، فقد عظمة

---

[569]– الجامع الصغير: 1ص: 46 (277)، للطبراني في الكبير عند أبي الدرداء.

[570]– فاطر: الآية 6 – مكية.

الدنيا، فتسقط من عين الله تعالى، ولاتبذل لهم دينك تسألهم عن دنياهم، فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم، فإن لم تحرمها، كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير. ولاتعاديهم بحيث تظهر العداوة لهم. فيطول الأمر عليك بالمعادات، ويذهب دينك ودنياك فيهم، ويذهب دينهم فيك، إلا إذا رأيت منكرا فى الدين فتعادي أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة، لتعرضهم لمقت الله تعالى وعقوبته بعصيانهم {فحسبهم جهنم يصلونها}[572]. ولاتحقد عليهم ولاتسكن إليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك، فإنك إن طلبت ذلك وحقيقته لم تجد في المئة إلا واحد ، وربما لاتجده. ولا تشك إليهم أحوالك، فيكلك الله تعالى إليهم، ولاتطمع أن يكونوا لك في الغيب والسر، كما هو لك في العلانية، فذلك طمع كاذب، وأنى تظفر بهم ولا تطمع فيما بأيديهم، فتستعجل الذل ولا تنال الغرض، ولا تتطاول عليهم بكثرة أستغنائك عنهم، فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الإستغناء، وإذا سالت أحدا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد، وإن لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا، تطول عليك معاتبته ومغاضباته، ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخائل

---

[571]- البقرة: الآية 36- مكية.

[572]- المجادلة، آية 8 -مدنية.

القبول، فلا يسمع منك ويعاديك، فيضيع وقتك وليكن وعظك عرضا وإرسال، وإرشادا من غير تنصيص على الشخص.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول عند المعنية على معين ما بال أقوام يبلغني عنهم كذا ويفعلون كذا ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فالشكر لله تعالى الذي سخرهم لك، واستعاذ بالله أن يكلك إليهم أويفتنك بهم أو منهم، فكل أمرهم إلى الله تعالى، واستعاذ بالله من شرهم، ولاتشغل نفسك بالمكافآت فيزيد الضرر، ويضيع العمر، واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولايسترون عورة، يحاسبون على النقير والقطمير[573]، ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون، ويواخذون على الخطئ والنسيان ولا يعرفون صحبة أكثرهم خسران، وقطعتهم رجحان، يحصون عليك العثرات في صحبتهم.

ليواجهوك بها في غيظهم عليك ووحشتهم، ولا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة، فإنما العمل على مودة الأمين غيرالخؤون ولا الظنين الذي لامغمز عليه في الدين، ولامطعن في مروئة ولا يقين، ولسنا لإخوان بالمتهمين، ولاعلى إخوة الخواص منهم الناقمين، ولايعكر على ماهنا المقول والله الشهيد

على ما نقول، بل عبد الله خرج من مقتضى الإخاء إلى نتائج العداوة والعداء من غير مقتضى ولا موجب زائد على استعظامه لنفسه وركوبه للزروق وهمه وحدسه فجرت به في بحر ظلمات نفسه الدساسة وحدسه، فرآى نفسه سماء رفيعة، وخيل من عداه كائنا من كان أرضا وضيعة، يولي في المملكة ويعزل ويعلي من يشاء إعلاءه وينزل. وكم سبقه إلى ذلك المجال ممن أبتلى بدعوى البلوغ إلى منازل الرجال، فكان ما توهم من الساتعلاء عين الأنسفال، واختلى الحال وسيء البال من التعرض للأمور الجمهورية كالجهاد ورد الظلامات وتغيير المناكر بطريق القهر والإقتدار والمواصلة والمطاولة، دون قوة سلطانية، ولا ما يقوم مقامها من الخطط الشرعية، فقد أجمع علماء السلف والخلف أن ذلك مفتاح باب الفتنة وباب إهلاك الضعفاء من المسلمين بغير حق.

فقد قال الشيخ أحمد زروق[574]، رحمه الله في عمدته في كلامه على تعلقات العوام من أهل التنسك وغيرهم، وقسمهم فرقا، عد منها المتعرضين للأمور الجمهورية. الى أن قال: فكان

[573]– القطمير: شق النواة. ويضرب لتقليل الأمر.

[574]– زروق (846– 899هـ/1442-1493م)/ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس زروق: فقيه محدث، صوفي، من أهل فاس. تفقه في بلده وبمصر والمدينة، ثم استقر في الصحراء لليبية الحالية. وبها توفى، انفرد بجودة التصانيف في التصوف. رلجع: الأعلام: 91/1.

في بلادنا رجل من الصالحين يحوم حول ما ذكرناه فجاء من أخبره عن جهات الروم أنها خالية وأنها مقدورة على أخذها، فمشى بجماعة من المسلمين فخرج عليهم النصارى فلم يجدو فئة يرجعون إليها ولاملجأ يستندون إليه فتمكن منهم العدو حتى أتلفوا جماعة منهم بالقتل نحوه. فهلك منهم جماعة كثيرة في نمته، مع ظنه أنه عمل خيرا نفعه الله بنيته، ولاأخذه بعمله آمين. قال: وكان أخى يفعل ذلك، فوقع له ولجماعة من المسلمين معهم أمر عظيم مرارا، ثم إنه نعت لهم فأتوه ليلا فقتلوه وقتلوا بعض من معه، وحصل بذلك غرض كبير للعدو.

قـــال: وكان أخي كثير الشفقة على العامة والمحاربة عنهم حتى أداه ذلك لمحاربة الملوك ومعاداتهم وإذاياتهم والتجاسر عليهم، وربما دخل فى خلع بعضهم، وهويرى ذلك كله دينا قيما وصراطا مستقيما. وربما آذى من خالفة في ذلك من جنسه، وهو في ذلك أعتقد إنه مصيب غرض الشرع العزيز، فكان ذلك سبب الفساد والهلاك فندم عليه وصار يطلب التنصل، فلم يجد مساغا فكان ذلك حتفه، بوجه الله أعلم بحقيقته، أعاذنا الله وإياكم من حب الرياسة، ورزقنا العافية فى جميع الأمور بمنه وكرمه، فلم يزل به الحال حتى انقلب به الحال بسبب مواقع له في دينه ونفسه

فيما ذكر لنا عنه وعادوا يحذرون بعده من كل ذي همة أو قوة أوجاه من الجنس. وهذا ذنب لاتكاد تصح منه توبة أبدا لتعلق حقوق الخلق به.

وقال سيد عالي بن سعيد اليوسى[575] فـــي محاضراته[576] :
وقد رأينا في وقتنا هذا من استولت عليه وساوس الرياسة حتى وقع في شبه صاحـــب المالخوليا[577] بحيث لو اطلع الناس على ماهو فيه رموه في المارستان[578]. ولكن ستر الله يغطي على عبيده.

---

[575]- اليوسي: (1040-1060هـ/ 1631-1691م)، الحسن بن مسعود اليوسي. أبرز وجوه الحركة العلمية في المغرب في القرن السابع عشر. ولد، جنوبي فاس. قام برحلة طويلة في الجنوب درس أثناءها على شيوخ تافلالت ودرعة وسوس وزاوية الدلاء. واستقر في هذه الأخيرة عشرين سنة طالبا ثم أستاذا. وفيها طارت شهرته شرقا وغربا. ثم أعمل الرحلة شرقا حيث أدى فريضة الحج ولقي علماء الأزهر وأعجبوا به. وأدركته الوفاة مقفلة من الحج سنة 1691م. ودفن بوطنه الأصلي مخلفا 50 مصنفا. وكتابه المحاضرات متعدد الأغراض، ألفه متناولا فيه التصوف والفقه إلى جانب الأدب واللغة وغيرها من المواضع التي يتخللها استيطراد المؤلف سيرته الذاتية. وإذا كانت المحاضرات ليست أكبر مؤلفات اليوسي حجما ولا أكثرها دلالة على غزارة علمه وتمكنه في ميداني المعقول والمنقول. فإنها تمثل طرفا من المؤلفات المغربية التقليدية ذات المواضيع المتعددة الت يينتقل فيها المؤلف من موضع إلى آخر بمجرد أدنى ارتباط أو تقارب بالإضافة إلى الاستطرادات التي كثيرا ما تطغي على الموضوع الرئيسي فتكاد تنسيه.
نقلنا هذا الإقتباس بتصرف، عن الدكتور محمد حجى، في مقدمة تحقيقه للمحاضرات لليوسي.
وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ سيدي محمد الخليفة قد نقل في مقدمة الغلاوية فقرات طوال من كتاب "المحاضرات" ولاسيما فيما يتعلق "بعلاقة النفس بالمزاج والطبع والخواطر النفسانية والشيطانية" لكنه لم يشتر إلى ذلك سهوا منه لدقة ظروف كتابة "الغلاوية" أو يكون الخطأ من الناسخ.

[576]- راجع: المحاضرات، م.س.

[577]- المالخوليا: مصطلح في الطب للقديم يعني غلبة مرض السوداء على صاحبه، بحيث ترتفع حرارة بدنه. راجع: ابن سينا، القانون في الطب: 2: 534.

[578]- المارستان: إحدى المنشآت الطبية التي كان الخلفاء يشيدونها من أجل الاستطباب. وأصل الكلمة بي مارستان (بفتح الراء وسكون السين)، كلمة فارسية مركبة: (بيمار) بمعنى مريض، (سيتان)، بمعنى مكان أو دار. فهي إذا دار للمرضى. ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان).
راجع: محمد عيسى بك، تاريخ البي ماريستان في الإسلام :34.

قال: ومن من ابتلى بهذه قريبا احمدبن عبد الله بن أبي محلي[579]، وكان صحبا بن امبارك التستاو[580] في الطريق، حتى حصل له نصيب من الذوق وألف فيها كتبا تدل على ذالك، ثم نزغت به هذه النزعة فحدثونا أنه في أول أمره كان معاشرا لابن ابي بكر الدلائي[581].

مديما للذكر وكان البلد إذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت، فقال لابن ابي بكر ذات ليلة :هل لك في أن نخرج غدا إلى الناس فنأمروا بالمعروف وننهى عن المنكر، فلم يساعده، لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت واستطارة الشر فلما أصبح خرجا فأما ابن ابي بكر فانطلق إلى ناحية النهر، فغسل ثيابه وأزال عنه الشعث وتطهر وأقام صلاته وأوراده في وقتها. وأما ابن أبي

---

[579]– أحمد بن عبد الله بن أبي محلي (967-1022هـ/1560-14-1613م) : أحمد بن عبد الله السجلماسي العياشي، الهلالي، أبو العباس ، المعروف بابن أبي محلي ، ثائر متصوف من العلماء ادعى أنه المهدي المنتظر ، وذهب إلى جنوب المغرب فجمع القبائل والأتباع وبهم زحف على سجلماسة فاحتلها لكنه قتل في المعركة التي جرت على أبواب مراكش. ومدة سلطنته ثلاث سنوات وتسعة أشهر. كان فقيها أديبا بليغا. له تآليف صيغت عناوينها بألفاظ تذكر بالمنهج العنيف للرجل . راجع: محمد حجي، الحركة الفكرية.

[580]– التستاوي: محمد بن المبارك عالم جليل من علماء سوس. درس على محمد ابن أبي بكر الدلائي شيخ زاوية الدلاء. وتخرج على يديه الثائر ابن أبي محلي ، عرف بالتستاوي نسبة إلى تستاوة (قرية جبيلة جنوبي ولماس من المغرب).
راجع: محمد حجي ، الزاوية الدلائية :77.

[581]– الدلائي: (967-1046هـ/1560-1636م)، محمد (بفتح الميم الأولى) بن أبي بكر بن محمد ، أبو عبد الله الصنهاجي للدلائي، محدث، نعته صاحب فهرس الفهارس بمفخرة المغرب. كان شيخ زاوية الدلاء بالمغرب الأقصى. والدلائي نسبة إلى للدلاء الت يتطلق على الأرض الت يأسس فيها المجاطيون زاويتهم في الجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على بسود تادلا. نشأو وتعلم بفاس، وحج سنة 1005 ومر بمصر وغيرها ، وتقي بزاوية الدلاء. كان عالما حافظا متوسعا في علم التفسير والحديث. راجع: الزركلي، الاعلام، ج6 ص:59. محمد حجي، للزاوية الدلائية، ص26و29و30.

محلي فتقدم لما هم به من الحسبة، فوقع في شر وخصام أداه إلى فوات وقت الصلاة في شغل لم يحصل منه على طائل. فلما اجتمعا بالليل، قال له ابن أبي بكر: أما أنا فقد قضيت مآربي وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وصفاء وقت وأما أنت فأنظر هذا الذي وقعت فيه.

ثم لم ينتبه إلى أن ذهب إلى بلاد القبلة[582] ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر[583] وأنه بصدد الجهاد، فا ستخف قلوب العوام واتبعوه فدخل بلد سجلماسة وهزم عنها والي الملوك السعدية[584] واستولى عليها. ثم أخرجهم من درعة، ثم تبعهم إلى حضرة مراكش، وفيها زيدان ابن أحمد المنصوري فهزمه وأخرجه منها، فاستغاث بأهل سوس الأقصى فخرجوا إلى ابن ابي محلي فقتلوه، وهزموا عسكره شذر مذر. فكان آخر العهد به ورجع زيدان إلى ملكه.

وحدثونا أنه كان ذات يوم عند أستاذه إبن مبارك قبل ذلك فورد عليه وارد حال، فتحرك وجعل يقول : أنا سلطان أنا

582- بلاد القبلة: يقصد المنطقة الجنوبية الشرقية من المغرب الحالي.

583- المهدي المنتظر: راجع حول هذا المفهوم: ابن خلدون، المقدمة، ج2 ص:787.وج3 ص:1418.

584- يقصد السعديين و يرون أن أصلهم من ينبع النخل من أرض الحجاز، وأنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية. وقد وصلوا إلى السلطة إبان اشتداد النزعة الشريفية في المغرب الأقصى وقد حكموا المغرب من مطلع القرن الخامس عشر الميلادي حتى النصف الأول من القرن السابع عشر. راجع: الناصري، الاستقصا، ج5، ص:43. الفشتالي، مناهل الصفا، ص:117-136. محمد القبلي، مراجعات، ص:79 وما بعدها.

سلطان فقال الأستاذ : يا أحمد هب أنك تكون سلطانا "إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا". وفي يوم آخر وقع الفقراء في سماع فتحرك وجعل يقول : أنا سلطان ..أنا سلطان .. فتحرك فقير آخر في ناحية وجعل يقول : ثلاث سنين غير ربع. وهذه هي مدة ملكه. وقد رمزوا له ذلك فقالوا: قام "طيشا" ومات "كيشا" أي قام سنة تسع عشرة وألف ومات سنة اثنين وعشرين وألف.

وزعموا أن إخوانه من الفقراء وفدوا عليه حين دخل مراكش برسم زيارته وتهنئته، فلما مثلوا بين يديه، أخذوا في تهنئة وإظهار الفرح والسرور بما صار إليه من الملك، ورجل منهم ساكت لا يتكلم. فقال: ما شانك لا تتكلم وألح عليه فقال : أنت اليوم سلطان، إن أمنتني أتكلم بالحق فقال له : أنت آمن. فقال له : إن الكرة التي يلعب بها يتبعها المئة والمئتان، وأكثر من خلفها فيكسر الناس ويجرحون وقد يموتون، ويكثر الصياح والهول من أجلها، فإذا فتشت لم توجد إلا شراويط أي خرقا بالية ملفوفة بجلد أو نحوه. فلما سمع إبن أبي محلي هذا المثال وفهمه بكى، وقال: رمنا أن نحيي الدين فأتلفناه.

ومن هذا الباب أولوا دعوى المهدية التي هي بلوى قديمة. وفتنة عظيمة، من ذكر زمنه وترصده والإسماع به والبحث عنه، حتى أن بعضهم ليهجر وطنه ويستعمل الجولان في البلاد، كأنما يستضل ضالة ضاعت من يده، أو يلازم موضعا يناله به من شظف العيش والهوان مالايصبر لأدنى أدانيه في التعبد للواحد الديان. وكم من مرصد له مات فى ترصده من غير ظفربه ولا ارعواء عن طلبه، فأضاع أوقات حياته فى غير مطلب ولا حصول على مرغب. وكم من أخرق قام بدعوى هذه المرتبة قديما وحديثا، فكانت سبب حتفه وفساد دينه ودنياه لأنه يتعرض لما لا حاجة له به.

« ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[585]، ويقع فى ذائل منها تغيير قلوب الرؤساء والملوك، إن أسلم منهم، وهو حرام إجماعا. ومنها فتح أبواب المحنة على نفسه، وباب الفتنة على المسلمين، بالقيام والخروج على الأمراء ولو بالإرادة والمحبة لذلك. وهوأيضا مضر بالدين اتفاقا، ومنهاى إغراء الملوك والرئساء العوام على الجنس حتى يوذوا من تكلم بالحق أو دعى إليه، ويرشوا من يغير منه ذلك على اتباع اغراضهم، فيجعل الشريعة سببا لذلك وربما انجرت بهم الأمور بإشاعة

أمور يستعينون بها إلى أمرهم في ذلك. وكله في ذمم المتحركين فى هذا الأمر. ومنها الدخول فى علم الحدثان[586] تارة بطريق التدجيل وتارة بالعمل والاخبار التي أكثرها كذب ومحال، ثم هي إن صادفت، فغالب الأمر كذبها.

وتارة بدعوى الكشف والوردات، وهيهات تقوم لذلك قائمة، وإنما هي خيالات شيطانية، وأوهام نفسانية لاتبدي ولاتعيد. قال الشيخ أحمد زروق: ولقد حدثني من لاأشك في صدقه، أنه عمل أبياتا على صورة جفر[587] لبعض الملوك لأمر كان يوالفه، وأنه سيكون منه ويكون فعل الأمير المذكور على ذلك، وكانت سبب الفتنة بينه وبين ابن عمه إلى الآن. وتضرر به المسلمون ضررا عظيما -والعياذ بالله- هذا والحق في الفاطمي أنه مبهم الأمر، والإشتغال به من ما لايعني لأشتباه الأمر فيه واضطرابه، مع عدم الإضطرار. وهب أنه نزل باب مدينتك أو ساحة محلتك التي أنت بها وكانت برقبتك بيعة لأمير، فلا يحل لك الخروج عن أميرك، ولا الخروج إلى الداعي نفسه فاطميا كان أو غيره،

---

[585]- راجع: الاصبهاني، كتاب الأمثال، ج1 ص:34-35.

[586]- الحدثان: تعني كلمة الحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) الإخبار عما يخبئه الغيب من أحداث الدهر للدول والأمم والأفراد. وتشوف الناس إلى معرفة المستقبل وتصدي بعض للدجالين لإرضاء هذه النزعة بطرق شتى مثل: ضرب للرمل والحصى...
راجع: ابن خلدون، المقدمة، ج3 ص:1418.

[587]- الجفر: هو جلد الثور الصغير، وأصله ما يؤثر عن بعض الشيعة من وجود كتاب مخصوص فيه ما سيقع لأهل البيت وأشياعهم.راجع: ابن خلدون ، للمقدمة، ج2 ص:828.

لما فى رقبتك من حق أميرك. وإن لم تكن تحت بيعة أمير، فحكمك النظر إلى جماعة المسلمين، فإن بايعوه، كنت معهم وإلا فالإمساك أولى بك. هذا إن تحقق، فما ظنك والأمر متوهم الصحة في أصله، غير متحقق التأخير فى وقوعه. وأصل هذا كله حب الرياسة وبغض الأمراء، وهو دسيسة من حب الدنيا حقيقة، وطلب الفضول والإشتغال بما لايعني ويغني. أعاذنا الله من البلاء بمنه وكرمه.

وبالجملة. ففى كل من الرياسة والشهرة، وضد ذلك شهوة للنفس، ونفرة ومصلحة فى الدين والدنيا، ومفسدة فمن ألهم المصلحة فى الرياسة وسلم من المفسدة ومن الشهرة وأصاب الإمكان، إنما حصل على الشرف فى الدارين، وفى مثله يقال: المتقون بخير فكيف بإمامهم. وإن لم يتوفر له ذلك، فإن اتفقت له المصلحة والإمكان أصبح كالسراج يضيئ للناس وهو يحترق، وفيه يقال : "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[588].

وإن اتفقت له المفسدة والإمكان أصبح من الذين يفسدون فى الأرض ولايصلحون وفى شأنه ورد: إن هذا الأمر يكون نبوئة، ثم خلافة، ثم ملكا ثم عتوا أفسادا فى الأرض، وهو الموجود

---

[588]– رواه الطبراني في الكبير عن عمر بن النعمان بن مقرن. راجع: السيوطي، الجامع الصغير، (1790)، ج1 ص:274.

اليوم. وكثير من الحمقاء يشتكون الجور، ويطلبون العدل، ولم يدروا أن الجور قد مضى مع الملوك بعد ما مضى العدل مع الخلفاء. ولم يبق إلا الفساد وطلب العلو فى الأرض. فيا ليت الناس وقف لهم الأمر فى عبد الله وشيعته على الجور، فيعيشوا، ويسلم من بعد عنهم حسا ومعنى، ولم يطأ له مربعا ولامغنى، وإن لم يتفق له الإمكان فهو الفضيحة إن أبدى صفحة عنقه، والغم والوسواس إن شرق بريقه.

أما إن لم يلهم المصلحة، وإنما جمحت به الشهوات، وقصد المفسدة، كحال من ترى اليوم من رؤساء الفتنة، فيما لاسؤال عنه. تحسبهم ايقاظا وهم رقود[589] وتحسبهم أحياء وهم جمود. فيا إخواننا من أولي القلوب والأبصار والبصائر النيرة والإستبصار، اسبروا زمانكم بمسبار الإعتبار، واعتبروا أهله، بقسطاس النظر والإختبار، فالسعيد من استبصر فأبصر، والمو فق من نبه فتذكر، والمحروم من توقف فتحير، ففى هذا الزمان وأهله عظة للمعتظ وحجة بالغة للمتيقظ، لوضوح فساده، ونضوب أمداده وإستيلاء الجهل والبتداء على أهله، والإستعلاء الباطل على الحق، وفساد

[589]- سورة للكهف، الأية 18ن مكية.

نظم شمله. ففي كل واد منه بنوا سعد[590]، من أطمأن إليهم أتلفوه، ومن تعلق بهم كشفوه ومن استعان بهم أوقفوه، اتخذوا الجهل عمادا والإبتداع وسادا والباطل مزخرفا مهادا، رفضوا السنة وأسبابها، وآثروا البدعة وفتحوا أبوابها، إن ذكروا بالحق أنفوا، وإن قدروا على مذكرهم عنفوا ؛ يتكلمون بكلام أهل الحقائق، فيفتتن بهم الغمر الجاهل، ويستظهرون بالمستغربات، فيميل إليهم كل مفتون ذا أهل لوقوع الإغترار والإشتباه. بما يلوحون به على كثير من أهل اليقظة والإنتباه. فيقع الفساد من وجه الصلاح، ويأت الخسران من جهة الفلاح.

فقد ورد من حديث حذيفة[591]، رضي الله عنه: قلت يارسول الله كنا في جاهلية، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر. قال نعم. قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال نعم. وفيه دخن. قلت وما دخنه؟ قال : قوم يستنون بسنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت يارسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

590- المثل يضرب لمن رأى من قومه ما يسوؤه فانتقل إلى غيرهم فرأى منهم مثل ذلك. راجع: الميداني، معجم الأمثال: 1: 105.

قلت فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم تكن جماعة ولاإمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرقة كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك[592] قال سفيان الثوري[593] رضي الله عنه: لو أن فقيها في رأس جبل، لكان هو الجماعة. ونحوه عن ابن المبارك[594] غيره.

وهو الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: إذا ظهرت البدع وسكت العالم، فعليه لعنة الله[595]. وقال عليه الصلاة والسلام: "يحمي هذا الدين من كل خلف عدوله، فينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل المبطلين. وليس ذلك إلا بالتبصر في الدين"[596]. قال تعالى {قل هذي سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنى ومن اتبعني}[597] وقال عز وجل{ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا

---

[591]- حذيفة (ت36هـ/665م) بن حسب بن جابر العيساء، واليمان لقب حسب. صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم، في المنافقين. راجع: الأعلام: ج2 ص: 171.

[592]- راجع: عبد الرحمن البناء، الفتح الرباني. ج24، ص:25-27.

[593]- سفيان الثوري (97-161هـ/716-778م) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والحقائق له مصنفان في الحديث. راجع: الزركلي، الأعلام، ج3 ص:104.

[594]- ابن المبارك: (118-181هـ/736-797م) عبد الله بن المبارك الحنظلي بالولاء، التيمي، المروزي، الحافظ المجاهد، التاجر، صاحب الرحلات. أفنا عمره بالأسفار وجمع الحديث والفقه والعربية له كتاب في الجهاد وأول من صنف فيه. راجع: الأعلام، ج4 ص: 115.

[595]- حديث ضعيف، أخرجه ابن عساكر عن معاذ، راجع: السيوطي، الجامع الصغير، (رقم 751) ج1 ص: 115.

[596]- أخرجه ابن عدي في الكامل ج1.

[597]- سورة يوسف، الآية 108، مكية.

تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلي}[598] وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه: بنيت أصولنا على ستة أشياء: كتاب الله، وسنة رسوله، وأكل الحلال، وكف الأذى واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق. وقال أبو حمزة البغدادي[599] : لادليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله. وقال أبو القاسم النصر باذي[600] رضي الله عنه: أصل التصوف: ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء البدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية عدم الخلائق، والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتاويلات. فانظروا يا إخواننا أرشدكم الله فهذه هي الأصول التي من صيعها عدم الوصول، فزنوا بها مشايخ زمنكم المدعين للوصول والتوصيل، فمن رجح ميزانه فهو الواصل، ومن طاش ميزانه فهو الطائش العاطل. ففي الوقت والزمن فرق نجموا بدعوى الطريقة والتحلية بحلى الحقيقة بغير دليل واضح قاطع، ولانور ظاهر ساطع، يدعوان إلى ذلك بحسب إمكانهم، ويمنعون مما سواه كافة إخوانهم، ويقولون ان قبول ذلك

598- الأنعام، 154، مدنية.

599- أبو حمزة للبغدادي: مات قبل الجنيد كان عالما بالقراءات فقيها. مات سنة 289هـ. راجع: القشيري، الرسالة: 24.

600- أبو القاسم النصرا باذي: ابراهيم بن محمد النصراباذي: نسبة إلى نصر آباد ، محلة من محل نيسابور، وكان شيخ خراسان في وقته، عاملا بالحديث كثير الرواية، توفي سنة: 367.. راجع: الرسالة القشيرية : 19.

من قوة إيمانهم وتحقق إسانهم، وأن ذلك هو عين الحقيقة ومن هاج سلوك السبيل والطريقة، وإنما هي طرق معوجة وأمور ملتبسة مروجة يغتر بها الجاهل فيمتنع ويجنح لها المتعصب فيضل ويبتدع. اعاذنا الله من ما ابتلاهم به، وسلك بنا طريق الحق بفضله، وإنما يظهر الحق في ذلك بالتبصر ويزول اللبس فيه ويذهب التستر، على أن معرفة هذا الزمان وأهله أمر صعب. والكلام فيه متسع رحب، وفيه من الآفات الدنيوية ما نسأل الله السلامة منه ومن تحريك الآثار النفسانية، من رغب إلى الله في الخلو منه، لاسيما ما يشتبه فيه الحق بالباطل ويظهر المتحلي به كالعاطل، فإن النفوس تسرع لإنكاره، ولايصح من المشفق على نفسه وجود إظهاره لما يحرك من عقارب التعصب والأذاية وما يوجبه من اشتداد كلة الغواية، لكن الحق أبلج والباطل لجلج، والدين النصيحة والسكوت عن الحق فضيحة. فوجب أن نأتي من ذلك ما تحتمله هذه العجالة مما هو الأهم لشيوعه في الوقت، حمالة لمن ابتلى به من أسبابه والمقت. والله تعالى أسأل التوفيق والهداية إلى أقوم طريق تفضي إلى مقصد كل حق وتحقيق إنه نعم المولى ونعم الدليل المرشد والرفيق .

الفصل الرابع : [أمر الطريقة الأغظفية]

فأقول: أيها الإخوان والخاصة الخلصان، أهدي إليكم - والهدية على قدر مهديها- وأنشر إليكم مطوي حال أولي الدعاوي الباطلة وأبديها، نصيحة للإسلام وأهله، وإقامة لفرع الدين وأصله، واجتثاثا لشجرة البدع الخبيثة من أصلها، وإذهابا لمباني الأباطيل وإعفاء لمحلها خصوصا دعوى الطائفة الأغظفية[601] الذين ركبوا متون الأهواء بميادين الإضلال والإغواء، حيث خلا لهم الجومن رادع واتسع لهم مجال الدعوى فما لهم دونها من مانع، أسسوا بناء دعواهم الواهية على قواعد البدع الهائلة الداهية، من الصفع للوارد عليهم أو المدعو، فيصعق في الحين

---

[601]– الاغظفية: من أقدم فروع الشاذلية في موريتانيا ، وتنسب إلى الشيخ محمد الأغظف بن حمى الله بن سالم الداودي الجعفري، المتوفى سنة 1218هـ وكان ظهر في أقصى الشرق للموريتاني الحالي في أواخر القرن للثاني الهجري . ثم انتقلت الطريقة منه نهائيا إلى مشايخها البصاديين (– نسبة إلى قبيلة دوبسات ويعرفون أيضا بالبصاديين واحدهم : بصادي). فقد تصدرها أولا للشيخ للطالب أعمر بن نوح البصادي ثم ازدهرت في عهد خلفائه : الشيخ محمد محمود الخلف البصادي ت1323هـ ثم مع الشيخ الغزواني البصادي . كما انتشرت في مختلف للجهات ولاسيما في شرق البلاد وشمالها : في منطقة أفله من بلاد الحوض ازدهرت الطريقة بين قبيلة دوبسات أفله على يدي الشيخ محمد بن عبد القادرالبصادي وأهل بيته ، وفي الحوض الشرقي الحالي ظهر من كبار رجال الطريقة كل من : الشيخ المحفوظ بن بيه المسومي والشيخ عالي بن آفه ورجال من أسرة أهل يوسف.

وقدشغلت الطريقة الغظفية الفرنسيين وأقلقتهم بفعل دقة تنظيمها ومتانة إطارها المؤسسي الراسخ ، كما اتهموها بأنها كانت وراء عملية اغتيال الاستعماري الشهير كوبولاني سنة 1905م. كما حاولوا تشويهها من خلال الكتابات الكولونيالية المغرضة . كما هوجمت الطريقة الغظفية البصادية من قبل بعض كبار الفقهاء مثل محمد يحي الولاتي الذي شنع على الطريقة سماحها لبعض العوام من هوامش أتباعها بالرقص والتغاشي حين أداء الأذكار . وقد رد عليه عالم غظفي كبير هو الحسن الغظفي برسالة قوية اللهجة . ولا نملك – حتى الآن – مايفسر لنا دواعي النقد الشديد الذي وجهه مؤلف الغلاوية للطريقة وشيوخها .

راجع : ولد السالم (حماه الله) ، موريتانيا في الذاكرة العربية (القسم الخاص بالروابط الصوفية).
النحوي(الخليل) بلاد شنقيط.

أو يناجونه كأخي السرار فيخر صريعا للذقن والجبين، فيفيق من صرعته وقد حصل فيها عندهم على الحصول والتمكين. وهيهات، كم دون الوصول من عقبات معترضة، وكم دون التمكين من تلوين؟!.

ومن له في البدع خبرة ولم تلحقه في وجوه الحقائق حيرة، علم أن خواص البدع الشنيعة عند علماء الحقيقة والشريعة، أنها لاتوجد غالبا إلا مقرونة بمحرم صريح أو آئلة إليه، أو يكون تابعا لها. ومن تأمل ذلك وجده في كل أمر قيل انه بدعة لاينخرم بحال. كما سننبه عليه بتوفيق الله ومشيئته، وأنها لاتوجد غالبا إلا في الأمور المستغربة على المألوف في الدين وفي الكفايات من المندوبات، وتوابع الأعمال وما تميل إليه النفوس وتستحسنه كالذكر جهرا أو برسم الحضرات المبتدعة والتلاوة والصلاة والصوم، وبما يدخلون عليها من الكيفيات ونحوها، والسلوك والتربية ونحو ذلك فأملوه. ثم أنها لا توجد غالبا إلا مسندة لوجه من الشريعة أو معنى من الحقيقة يلتبس على قليل العلم ضعيف الفهم فيتحير أو يسلم. وتروج في عين الجاهلن فيظنها دينا قيما من حيث لا يعلم وما غره في ذلك إلا شبهة الأصل أو تسلم لمن يعتقد فيه العلم والفضل. ولكن لكل شيء ميزان يظهر به الحق

من الباطل، ويعرفه العالم وينفيه الجاهل، فيكون ضالا مضلا بدعوى الخلق إليه، غير معذور في أمره لعدم تبصره إذ الدين مبنى على التبصر، وموازينه ثلاثة :

الأول : النظر في المحدث: له مستند شرعي بوجه شامل محيط هو جملة الشريعة ومعظمها فإن كان هذا الامر مما يشهد له معظم الشريعة وأصلها، فليس ببدعة، وإن أباه بكل وجه فهو باطل ضلال مبتدع إلحاد إن كان في جانب الاعتقاد ونحوه. فإن كان مما تراجحت فيه الأدلة، وتناولته السنة واستوت فيه الشبه، اعتبرت وجوهه فيما ترجح فيه من ذلك رجع إليه.

الثاني : اعتبار قواعد الأدلة وسلف الأمة العاملين بطرق السنة، فما خالفها بكل وجه فلا عبرة به وما وافق أحوالهم فهو حق وإن اختلفوا فيه فرعا وأصلا فكل يتبع دليله. وقد عرف من قواعدهم أن ما عمل به السلف وتبعهم الخلف لا يصح أن يكونوا قد أحدثوه من عند أنفسهم لعصمة الإجماع، كما في الحديث، فلا يصح أن يكون بدعة ولامذموما. وما تركوه بكل وجه واضح، فلا يصح أن يكون سنة ولامحمودا، وما اثبتوا أصله ولم يرد عنهم فعله، فقال مالك هو بدعة لأنهم لم يتركوه إلا لأمر عندهم فيه، فإنهم كانوا أحرص الناس على الخير وأعلم بالسنة، وهو

مقتضى قول ابن مسعود رضي الله عنه إذ قال لقوم رآهم يذكرون جماعة "تالله لقد جئتم ببدعة ظلما أو قد فقتم أصحاب محمد علما".

وقال الشافعي[602] : كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة وإن لم يعمل به السلف لآن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت أو لما هو أفضل منه، أو لعله لو بلغ جميعهم عمل به والأحكام مأخوذة من الشارع وقد أثبته.

الثالث : ميزان التمييز بشواهد الأحكام. وينقسم إلى اقسام الشريعة الخمسة: الوجوب والحظر والندب والكراهة والجواز. فكلما انحاز لأصل بوجه صحيح واضح، لابعد فيه الحق به، وما لا فهو بدعة.

وعلى هذا الميزان كثير من المحققين في تقسيم البدع، واعتبرها من حيث اللغة للتقريب. وقد أطنب في هذا المجال الشيخ زروق في عمدته. فليراجعه من أراد شفاء العليل وبرد الغليل في الباب.

وقد قسم في عمدته البدع إلى ثلاثة قسام صريحة وهي: ما اثبت من غير أصل شرعي. في مقابلة ما ثبت شرعا من واجب

---

[602]- الشافعي: (150-204هـ / 767-820م) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع للهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة.

أو سنة أو مندوب أو غيره، فأماتت سنة أو أبطلت حقا ثابتا. وهذه شر البدع وإن كان لها ألف سند من الأصول والفروع فلاعبرة به[603].

قلت كما في البدعة الأغظفية، فإنها وردت بوجه صريح إذ لاأصل لها من كتاب ولاسنة ولامن عمل السلف الصالح، لافي القديم ولافي الحديث، بل جاءت مناقضة لما ثبت كتابا وسنة وإجماعا من وجوب حفظ العقول الذي هو إحدى الكليات الخمس الواجب حفظها في سائر الملل الإسلامية. إذ مبناها على الإسرار إلى المتتلمذ بزعمه من المتشيخ بدعواه بكلام او رمز يصعق السامع من أجله مدة لا يحس ولا يعقل وهذا ما لم ينقل مثله عن مسلم مما سلف ولن يأتي آخر هذه الأمة باهدى مما جاء به أولها.

ثم إنها أماتت سنة الرياضة التي عليها سلفا وخلفا وقعد لها القوم قاعدة عمل أهل الصفة[604] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبادة والجهاد في سبيل الله، مع رسول الله فاتخذت هذه الطائفة سنتهم سننا يرتحلون إلى المشايخ ويعجفون في أفنيتهم برسم التعلق والارياض بأخذ الأوراد المأثورة والتعبد

[603]- زروق الفاسي: العمدة، م‌س. ص 8 ما يليها.

بالعبادات المشروعة والأذكار النافعة على المهيع المألوف والسند المعروف، خلفا عن سلف. ثاني أقسام البدع الإضافية، وهي التي تضاف لأمر لو سلم منها لم تصح المنازعة في كونه سنة أو غير بدعة بلا خلاف أو على خلاف، وهذه أكثرية بل غالبة في الزمن يضيق المقام عن سرد بعض مفرداتها، ثالثا البدع الخلافية وهي المبنية على أصلين ويجذبها كل منها بحكمة. فمن قال بهذا قال بدعة ومن قال بمقابله قال سنة. كما في حزب الإرادة وذكر الجماعة ونحوهما. وأصل ظهور مدعي التصوف في هذا الزمان وماقبله من الأزمنة المتأخرة عن زمن السلف وصدر الخلف بالبدع واتباع الناس لهم عليها.

فظهورهم بالبدع له أصول ثلاثة، أولها نقص الإيمان بعدم العلم بحرمة الشارع وفقد نور الإيمان الهادي وإلى اتباع الرسول قال تعالى: {وإن هذا صراطي مستقيما فالتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيليه}[605] وقال أحمد ابن حضرويه[606] رضي الله عنه: الدليل لائح والطريق واضح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى. وقال ابن عطاء الله في حكمه "لايخاف

---

[604]– أهل للصفة: هم مجموعات فقراء الصحابة التي كانت تجتمع بصفة المسجد، وهم أكثر الصحابة قلة بد وتنكسا وزهادة.
[605]– الأنعام: آية 153 –مكية.

عليك أن تلتبس الطرق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك[607]. وقال تعالى: {أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله}[608] يعني أن الحيل والأسباب لاتفيد في هدايته لتمكن الباطل من نفسه وفقدان نور الإيمان من قلبه {ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور}[609].

الثاني: الجهل بأوصاف الطريقة واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة، وهو الأصل الكبير في ذلك إذ هو من مبادئ الزندقة، ومنه خرجت الطوائف كلها فصار الفروعي الجامد لايتوقف في سب الصوفية والمتصوف الجاهل لا يتوقف في النفور من العلم وأهله، ولا يخالف ظاهر الشريعة في أمره، ويرى كمالا في محله كما ترى من حال الطائفة الغظفية ومن ادعى نسبة إلى الصوفية في البلاد المغربية، حتى أنه لقد بلغني عن بعضهم أنه يقول: ظاهر الشريعة حرمان وحجاب حاجب عن الحقيقة، معوق عن سلوك الطريق وهذا والعياذ بالله كفر أو قريب منه وضلال انجر له من جهله بالطريقة واعتقاد الفرق بين الشريعة والحقيقة وهو

---

[606]- احمد بن حضرويه: أبو حامد بن حضرويه البلخي من كبار مشائخ خراسان عمره 95 سنة. وتوفي 250هـ القشيري، م، س. ص17.

[607]- زروق الفاسي: شرح الحكم، م.س ص184.

[608]- الجاثية: آية 24 - مكية.

الاصل الذي بنى عليه المارقون أصولهم واستظهرت الطوائف بأعمال خارجة عن الدين وأحوال موافقة للمارقين، فحمل الصادق على الكاذب والمصيب على المخطئ الخائب ووقع الكل في جهالات لايمكن تفصيلها ولا ينضبط تأهيلها ودفه ذلك لايمكن إلا بتقرير أصول القول. وقد أفرد لها الشيخ زروق -رحمه الله- بابا.

ثالثا : حب الرياسة مع الضعف عن أسبابها والقصور. فيطرهم ذلك لإحداث أمور تستميل القلوب لجبلتها على استحسان الغريب، مع جهلها بما يشين ويريب وحرصا على الخير وظهور ذلك الشخص بصورة ذلك مع ما يجري على يده من خوارق شيطانية أو يبدو لتابعه من لذة نفسانية أو يدركه من أذواق طبيعية يظنها فتوحا وأسباب وصول، فينبذ لها الفروع المثمرة والأصول.

مع ما يعينه على ذلك من احتقار الأمور المألوفة واعتقاده أن المقام العجيب لايدرك إلا من الغريب وان العبادات في صورها ووجوهها لاتفيد المقصود إلا بإضافة أمر لها فينقاد لذلك عند ظهوره ويعمل به فيخدعه الآمر له بذلك ويتقوى عليه بما

---

[609]- النور: آية 40 – مدنية.

يظهر له بذلك وما هو إلا الجهل والانقياد للوهم وعدم التثبت للفهم نسأل الله السلامة بمنه وكرمه.

ومن هنا أخذ غالب أهل المغرب الأقصى لرقة طباعهم ورغبتهم في تحصيل غرائب العلم سيما علم الحدثان والرقائق والأسرار الخارقة والأمور الوازعة لظلم الظلمة وجورهم لعمومه في بلادهم السائبة الخالية من سلطان أو أمير أو رئيس خير يدفع من ظلم الظلمة وجور الجورة وعدوان العادين وسطوة المعادين، بل كانوا يرتدعون بظهور أثرعلى يدي صاحب حق من كرامة تلحق الظالم فيرعوى لها عن ظلم ذلك الشخص بعينه، فإن دام أو تعدى إلى غيره، احترم من أضاف إليه، وانتسب بحرمته. وكذلك من ظهر على يديه أثر خارق، من مخترق بشعوذة أو تمويل أو سحر بدعوى الولاية والتمشيخ، وحقائق الخوارق. بل أقصى مرادات غالبهم ظهور ما يكون صارفا لمعرة الظلمة أونحوهم عنه، جالبا لإقبال القلوب عليهم. فعمت البلوى وفشت الدعوى، وفر كل بدعواه إلى الوجه والمكان الذي يغلب على ظنه سترها به وفيه، من غير حجة ولابرهان ولاحال صالحة ولاعرفان "إن

هم إلا كالانعام بل هم أضل..."[610] "تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم"[611].

ومن ابتلى بهذا المنحى من علماء الرسوم خرج عن إجماعات العلماء ووفاقاتهم والمعمول به فيما بينهم.. إلى شواذ ومقالات تفتح أبواب إنكارات العلماء من معاصريه, فيتعصب لما هو عليه. بتعصبات باردة، ويتعلق بأسباب وأقاويل خارجة عن المذاهب شاردة، لتشيع عنه في العامة ومقاومة لمن هو أوسع علما وأثقب فهما. وذلك مبلغ العامة من علم ما عليه مقاوموه من صريح الحق والتحقيق، وما عليه هو من الباطل والتزويق. وذلك غرضه الفاسد ومطلبه الكاسد. ولم يعتبر حديث "من طلب العلم ليماري به العلماء أو ليجاري به السفهاء أو ليصرفه وجوه الناس إليه أدخله الله النار[612] وقد كثر مثل هؤلاء في قراء الوقت.

فالله تعالى يرشدنا وإياهم إلى أسد المراشد، ويأخذ بأيدينا وأيديهم إلى أصلح المقاصد. وأما المتمشيخون تشبها بالمشايخ، والمتصدون للتربية دعوى للحصول بمقام الوصول الشامخ، ترقيا للمراتب النفسية وتلقيا للحظوظ الدنيوية، فهم أكثر المعترضين في هذا الزمان، وأما الصديقون فقلوا وغابوا، فلا ظهور لهم إلا

---

[610]- الأنعام 44 مكية.

[611]- النور 15 مدنية.

بعناية، مع انه لم يخل مكان من أهل الولاية، إذ لم ينقص لهم عدد، ولم ينضب لهم مدد، بل والله ما خاب صادق الطلب لهم ولاظفر البدعي بهم فكن لله يكن لك الله.

حكي عن بعضهم قال كنت أقوم الليل لوردي، فأصابني احتلام ليلة ولم أجد ما يكفيني من الماء لغسلي، فبكيت وتضرعت إلى الله، فإذا بالباب يدق، فقلت من ؟ قال: خذ. ففتحت الباب فوجدت شخصا بإنية من ماء، فدفعها إلي، فقلت من أنت يرحمك الله، فقال عون الله وغاب عني. وحكي عن بعض أصحاب ابراهيم بن أدهم[613] رضي الله عنه قال كنت مع ابراهيم في طريق فبتنا تحت شجرة، فجاء الأسد فرقيت الشجرة، فبقى ابراهيمم على حاله، فكنت أنظر إلى الأسد يشمه من رأسه إلى قدمه ثم انصرف.

فلما كان في الليلة الثانية بتنا في مسجد قرية فقرصت ابراهيم بقة فاستغاث منها. فقلت له البارحة لم تكترث بالاسد والليلة تستغيث من البقة. فقال: من كان بالله لم يخف من شيء ومن كان بنفسه خوفه الله من فيا لله العجب، ممن ينكر التروض

612– الحديث، أنظر ابن عدي، م، س، ج1/ ص:326.

613– ابراهيم بن أدهم (ت: 161هـ/1233م) بن منصور التميمي البلخي، أبو اسحاق، زاهد مشهور، جال في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من العلماء الأقطار الثلاثة. لخباره كثيرة وفيها أضطراب، الزركلي، الاعلام، م، س، ج1/ ص:31.

على أيدي المرتاضين، والتأدب عن المتأدبين، ثم يتصدر للإرشاد بقيم من صحبه من نفسه، مقام المريد من الموارد. فمن لم يهتد في خاصة نفسه، كيف يهتدي غيره به، ومن لم يدر طريق الإرادة، كيف يتصدر لتربية المريدين لفرط عجبه لله در ابن المساك[614] حيث كتب في زمنه إلى بعض معاصريه: أما بعد فإن الناس كانو دواء يتداوى به، فاليوم صارو داء لا دواء له، ففر منهم فرارك من الأسد، وارض بالله صاحبا، وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا.

وقال بعضهم قد صار الطريق إلى الله مهمولا والمار عليه مجهولا، حتى أن الصاد المخلص يسمى زنديقا، والمبتدع الضال يدعى صديقا. وهل بعد الجور إلا الضلال. ففي الحديث عن صلى الله عليه وسلم: "مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب، إذا أقبلت على أحدهما أدبرت عن الآخر"[615]. وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم في نعت هؤلاء وأمثالهم حديث: "لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شحا. ويستخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذياب. يقول الله عز وجل: أم

614- ابن السماك: ابو العباد محمد بن صبيح بن السماك، زاهد من المحدثين والمفسرين، أخباره في الوعظ للخلفاء كثيرة.. ابو نعيم: الحلية، م س، ج8/ ص:203.

تغترون؟ أم علي تجترئون بي حلفت لأبعثن عليكم فتنة تدع الحليم فيكم حيران[616] فهذا والله صفة هؤلاء المدعين والمبتدعين. وفي مثلهم قال علي كرم الله وجهه: سياتي على الناس زمان لايبقى من الاسلام إلى اسمه ولامن القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة، وقلوبهم من الهوى غامرة، علماؤهم أشر من تحت أديم السماء فتنة، منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود.

فهؤلاء باسم أعداء الله وأولى منهم باسم أولياء الله، كما أنهم برسم المارقين أحق منهم برسم الصادقين، وما على أهل الله المعتصمين بحبل الله من إنكار المنكرين، واعتراض المعترضين، بعد ماقيل في صاحب المعجزات الباهرة، والأدلة الظاهرة صلى الله عليه وسلم ساحرٌ أو مجنون. ورجم بما رجم من أحجار الفتن والمجون، مع عصمته الكاملة، واتم الآيات فبشر وأنذر وبصر وأعذر، فلم يذهم ذلك إلى تفرقة واشتات ونفرة من الدين وإعنات "من يضلل الله فلا هادي له"[617] "إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء"[618].

615- أخرجه الطبراني برواية لخرى للمعجم: ج1/ ص:174.
616- الحديث أخرجه الطبراني برواية أخرى المعجم، ج1/ ص:174.
617- الأعراف 186- مكية.
618- القصص 56 مكية.

ومن ادهى دواهي هؤلاء المارقين: الرغبة عن الأخذ عن المشايخ والتأدب بواسطة المتادبين، وما دروا أن العلم علمان: علم منقول في الألسنة والسطور، وعلم معقول في القلوب والصدور. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد العلماء وموروث الأولياء يأخذ العلم عن جبريل وعن غيره من الملائكة وعن اللوح المحفوظ بخاصية الكشف وإزالة الحجاب. وعن الحق تعالى بغير واسطة ملك ولا غيره، وهو مع ذلك يقال له: "قل رب زدني علما"[619] فعلم الخلق من هاهنا لاغاية له ولاحد ولا منتهى. ولما كانت العلوم الظاهرة بابا للعلوم الباطنة خص بها أهل البدايات. يقول الله تعالى: "وآتوا البيوت من أبوابها"[620] إذ الأدلة النقلية كلها متعلقة بالأدلة العقلية. والأدلة العقلية، إما بوحي من الله تعالى أو باستنباط موافق للوارد عن الله. قال تعالى: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم" والاستنباط إنما هو من نتائج العقل المنير الذي اخترعه الحق سبحانه ثم أكمله من نوره. فقال: أقبل فاقبل، ثم قال له : "أدبر فادبر. فقال له: وعزتي وجلالي لا أضعك إلا في أحب

619- طـــه، آية 114- مكية.
620- البقرة آية 189- مكية.

الخلق إلي وهم العلماء الذين قال فيهم رسول الله صلي الله عليه وسلم: العلماء ورثة الانبياء.

وللوارث علامات: يترك الدنيا إن تركته، ويعمل للآخرة قبل أن يصير إليها ويرضي الله قبل أن يلقاه، ومن ازداد علما، ولم يزدد به زهدا في الدنيا، لم يزده علمه من الله إلا بعدا. فلما مالت قلوب العلماء إلي الدنيا تبدل الحكم وتغير الحال وعميت البصائر وخبثت الشرائر وفسدت العامة والخاصة، حتى لم يبق إلى شرارا من الخلق. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لايكون العالم عالما، حتى يكون بعلمه عاملا. وأشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد اتفق أئمة الدين أن من أنكر على أولياء الله لم ينفعه الله بعلمه. ولما كان العلم العقلي الوهبي نتيجة العلم النقلي الكسبي، كان الاستنباط أوله والالهام وسطه والأخذ عن الله آخره. قال الإمام الهروي العلم ثلاث درجات: علم جلي يقع بعيان واستفاضة صحيحة وعلم خفي ينبث في الأسرار الظاهرة والأنفس الصائبة والأسماع الواعية. وهو علم يظهر الغائب ويغيب الشاهد، ويشير إلي الجمع. وعلم لدني إسناده وجوده، وإدراكه عيانه، ونعته حكمه وليس بينه وبين الغيب حجاب. قال تعالي: {وعلمناه من لدنا علما}. وفيه قال

صلي الله عليه وسلم : كهيئة العلم المكنون لا يعلمه لا العالمون بالله.

وإنما أرخيت سير العنان بهذا الميدان، تدريجا لمن وقف مع ظاهر الأمر وحجبه عن اللب حاجب القشر، وإلا فلا غاية للعلوم في حق الأولياء فكيف بالأنبياء. فمن ظن أنها موقوفة على الادراك الفعلي والوهمي، فإنما ظن مقامه منها لاكل مقام من حيث الاطلاق. إذ العقل متى فاجأته الحقائق فاضت أنوارها على نور العقل فربما ظن ذلك عند الرجوع حدا، وهيهات أني يكون حدا. وقد قال تعالى: {قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا}[621]

وقـال صلى الله عليه وسلم: خاطبوا الناس على قدر عقولهم[622] ذلك أن الجنين في بطن أمه لايستطيع إدراك ما عليه الرضيع في مهده، والرضيع لا يستطيع إدراك ما يميزه الغلمان، الغلمان لايعلمون أحوال المكلفين، والمكلفين لايعلمون ما علمه العلماء، والعلماء لايحيطون بعلم الله. والرتب لا تنعكس بالترقي والسلوك لا يكون في النهايات إلا في الجذب الذي لاعمل عليه ولا يقتدى به لأنه فوق أطوار العقول. فمن أين الأمثال هؤلاء

---

[621]- الكهف، آية 109- مكية.

[622]- أخرجه السيوطي برواية في الجامع الصغير، ج1 ص: 571.

الدعاة على أبواب جهنم، الوصول فضلا عن الإيصال، وهم لم يسلكوا طريقا ولم يعرفوا حقا ولا تحقيق إذ الشريعة غير مؤيدة بالحقيقة، فغير مقبولة، وكل حقيقة غير مؤيدة بشريعة غير محصولة الشريعة جاءت بتكاليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة تامرك أن تعبده والحقيقة تأمرك أن تشهده، فالشريعة قيام بما حكم وأمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر.

فقوله {إياك نعبد}[623] حفظا للشريعة وإياك نستعين إقرارا بالحقيق. فالشريعة حقيقية من حيث أنها وجبت بأمره والحقيقة شريعة من حيث انها شهدت بقهره، ومن بدائعه أمر الحقائق أنه لم يوجد قط شيخ محقق في أي عصر كان إلا واستسلمت له أئمة الشريعة وتواضعوا وتبركوا فقد كان أحمد بن حنبل[624] رضي الله عنه جالسا يوما مع محمد بن إدريس الشافعي، وهما الإمامان بإجماع أهل سائر الأزمان، فمر بهما سيباني راعي، فقال أحمد للشافعي: يا أبا عبد الله أريد ان أنبه هذا على نقصان علمه، ليأخذ في تحصيل بعض العلوم. فقال له الشافعي: لا تفعل، فالقوم أهل عناية، فقال أحمد لابد. فقال ياشيبان ما تقول في من نسي صلاة

623- الفاتحة، آية 5 – مكية.

من خمس صلوات في اليوم والليلة لايدري أي صلاة المنسية، ما الواجب عليه؟ قال سيبان: هذا قلب غفل عن الله تعالى، والواجب عليه أن يؤدب، حتى ما يغفل عن مولاه بعد، فصاح أحمد وغشي عليه، فلما أفاق قال له الشافعي: ألم أقل لك لاتحرك هذا وهو أمي، فما ظنك بعلماء هذه الطائفة.

ولله در صاحب المباحث الأصلية[625] حيث يقول:

هل ظاهر الشرع وعلم الباطن إلا كجسم في روح ساكن

لو عمل الناس على الانصاف لم ترين الناس من خلاف

وقال صاحب الحكم: "الأعمال صور وأرواحها سر الأخلاق فيها"[626]

وهؤلاء المدعون، يرد عليهم الوارد، ويدعونه إلى صحبتهم، جلفا جاهلا مسرفا على نفسه، قد ضيع من الصلاة والزكاة، إن كان أعلم به، فيعاجلونه بصفتهم من غير تقرير ولا تنصل ولا قضاء، لآخر ما فيه من العبادات الشرعية الواجبة، ولا يعلم ما تصح به تأديتها في الحال والمستقبل، بل يوهمونه أن صفعته تلك موصلة إلى أرقى مقامات الوصول التي دونها إقامة

624- ابن حنبل: الإمام أبو عبد الله أمحمد بن محمد بن حنبل بن هلال.. الشيباني المروزي الأصل. ولد في بغداد في شهر ربيع الأول سنة 164هـ.

625- الكتاب لأبي العباس بن البناء المتصوف المغربي.

626- زروق الفاسي: شرح الحكم ،م، س ص28.

الحدود الشرعية ونسخ العلائق النفسية والقيام بالآداب الحقية والحقيقية. غذ الطريق إلى الحق سبحانه، لها بداية تسمى الإسلام، وهي مقتضى التخلي عن المذمومات، ووسط يسمى الإحسان وهو يقتضي الخوف برتب المشاهدة. ولها أيضا بداية هي ترك الذنوب وأسبابها، ووسط هو تعلم الطاعة وأركانها، ونهاية هي تصحيح التوبة ولزوم أصحابها وهذا أول ما يجب على العبد الراجع لسيدة، كما أن نهاية الإيمان مرتبطة ببداية الإحسان. إذ الكل لمسمى هو الدين وقد أفردناه بالتأليف.

ثم من المعلوم بين أرباب الارتياض والعلوم: أن سنة السلوك إلى ملك الملوك التدرج للوارد عليهم بمدارج الدين في مقامات الإسلام، ثم الإيمان ثم الاحسان إلى نهاية السلوك للوصول إلى حضرة ملك الملوك. قال تعالى: {وإن إلى ربك المنتهى}[627] وهؤلاء المدعون متى صنعوا بالوارد عليهم ما صنعوا من مخرقتهم، لتقنوه ذكر الهيللة مفردا، أحد جزاري الكلمة الشريفة بين الأوقات والأحوال. وهذه الكلمة الشريفة وهي الماحية لكل ما يعرض من ذلك في جهته عليه الصلاة والسلام. وإفراد إحداهما عن الأخرى لايصح في أصل الإسلام، فلا يعلم به في فرع، فكما أنه لايصح الإيمان في الاصل إلى بهما، فهكذا

لا يصح الفرع في آخر الأمر إلا بمجموعهما. لكن من الناس من يفرد لكل معنى وقتا وحالا، يذكره به ويتذكر فيه. ومن الناس من يستعملها دائما على القرآن وهو الأولى، الأفضل الأعمل. وقد جعل مولانا توقيره وتعزيره عليه السلام، مقرونا بتسبيحه تعالى. وجعل كلا منهما مقصودا بالبعثة والإرسال. فقال عز من قائل: {إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا}[628] وقال العلماء: التعزيز والتوقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العمل لكونهما الغاية في العبودية. إذ تنزلت في حقه منزلة السجود لآدم من قام بها كان شبيها بالملائكة، ومن انف عنها واستخف بها كان شبيها بإبليس. ومن نحى عن ذلك أحرى بذلك. ومن أهملها فقد أخطأ الطريق الحق. فإن قالوا نحن لانريد بالذكر إلا مداواة قلوبنا عن التشتت لا طلب الثوابوالأجر، قلنا وجوه المداوات تختلف وتحتاج إلى النقص والزيادة.

إذ طب القلوب مجار لطب الجسوم. وقد علم أن جميع الأشربة والمعاجين دائرة على العسل وهو شفاء للناس، كما قال

---

[627]-النجم، آية 41.

[628]- الفتح الآية9 مدنية.

تعالى[629]. لكن عرف قطعا أنه لابد من تقويته بالحوار حتى تتضاعف خواصه وإضعافه بالخل ونحوه، حتى يصير إلى حد يقبل طبع ذي العلة. فكذلك الأذكار الشرعية، تقوى على انفعال القلوب بها بما يضاف إليها من ذكر أو عمل ملائم لحال الشخص. وذلك مختلف باختلاف الاشخاص والعلل النفسانية القائمة بهم.

فإذا قلنا لإنها مثل الخبز، قلنا ذلك صحيح، ولكن لابد من إدام يصح به المزاج، ويوافق به للطبع. فمن أكل اللحم أربعين يوما قسا قلبه، ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه، وأي دواء أو أي ثوت يصلح لسائر الناس بحال واحدة؟ وعلى وجه واحد؟ فإنا لانرى لخاصتهم في ذكركم الذي تدعون، استعماله لمداوات قلوبكم خوصية عن عوامكم. وذلك مكذب لدعواكم إذ لايستوفي العام والخاص إلا في باب طلب الأجور. وإلا فذكر الحضور خاص بأصحاب الحضور، وإن كان لمن دونهم أجر حاصل عليه. قال ابن عطاء الله في حكمه: لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، فإن غفلت عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع

---

[629]– إشارة إلى قوله تعالى: فيه شفاء للناس (النحل).

وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عن سوى المذكور. وما ذلك على الله بعزيز.[630]

وبالجملة فللذكر آداب تجب مراعاتها في العلوم والخصوص، منها العلوم استعمال الذكر في المواضع الصالحة للذكر، دون المواضع الت يجب تنزيه الذك رعنها. وإن ذكر أخفى ذكره في نفسه وسنها أن لايتخذ الذكر مسخرة عند من لا يعرف له حرمة، ولايفهم له معنى كأجلاف العوام، سلا على وجه إفادتهم، تعظيم الجناب الرباني، مع تنبيههم على ما له من الحرمة، تنبيها يزرع في صدورهم احترامه، ويشعرهم عظمة المذكور مع تحذيرهم من عقوبه تلحقهم من الاستهانة بما عظم اللهن قال الله تعـالى: "ومن يعظم شعـائر الله فإنها تقوى القلوب"[631] ولاشعيرة أعظم من ذكرالله ومنها في حق الخواص: آداب سابقة على الذكر، وآداب لاحقة به وآداب مقارنة له، فمن السابقة عليه أن على السالك بعد التوبة وتهذيب النفس بالرياضة تنظيف الأسرار وتهيئتها لنواسم الحضرات باعتزال الخلائق، وتحقيق العلائق وقطع العوائق وتحصيل علم الأديان. ولابد ولابد من المفروضة على الأعيان وتحرير المقاصد، بأن تكون شرعية

---

[630]- زروق: شرح الحكم مس ص:99.

[631]- الحج : 32 مدنية.

لاعادية، وعليه اختيار ذكر مناسب لحاله، فيدأب على ذكره ويواظب عليه بفكره. ومنها اللباس الطاهرالحلال المطيب بالرائحة الطيبة، وطهارة الباطن والمأكل الحلال فإن الذكر إن كان يذهب الأجزاء النابتة من الحرام إلا أنه إذا كان الباطن خاليا من الحرام والشبهة من الحرام، تكون فائدة الذكر في تنوير القلب أكثر وأبلغ. وإذا كان في الباطن حرام غسله منه، ونظفه، فكانت فائدته حينئذ في التنوير أضعف. وإذا نزل الذكر وكانت فيه ظلمة نوره ولو كان فيه نور زاده وكثره. ومن آدابه المقارنة له: الاخلاص وتطييب المجلس بالطيب لأجل الملائكة والجن. والجلوس متربعا مستقبل القبلة، وغض عينيه مع بقاء توجهه نصب عينيه، فإن كان تحت نظر شيخ خيل شيخه بين عينية فإنه رفيقه في الطريق وهاديه، وأن يستمد بقلبه أول شروعه في الذكر من همة شيخه، معتقدا أن استمداده هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم أنه نائبه، وأن يذر بقوة تامة مع التنظيم والاجلاء لحضرة ذي الجمال والجلال والكمال، وأن يحضر معنى الذكر بقلبه دائما، نافيا مع كل مرة ما في قلبه مما سوى الله ومتى التفت إليه في حال ذكره، فقد أنزله منزلة، إلا بالله، من نفسه. قال تعالى: {أفرايت من اتخذ إلاهه هواه}[632] وقال: {لا تجعل مع

---

[632]- الجاثية 23 مكية.

الله إله آخر}[633] وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم"[634] وإن كان الدينار والدرهم لايعبدان بركوع ولاسجود، وإنما ذلك باتفاق القلب إليهما فلا تصح منه إلا إله إلا الله إلا بنفي ما في قلبه ونفسه مما سوى الله تعالى. ومن امتلأ قلبه بصور المحسوسات او قالها ألف مرة فلما يشعر قلبه بمعناها. وإذا فرغ القلب من غير الله لو قال مرة واحدة الله، يجد في اللذة مالا يستطيع اللسان وصفه، سيما إذا كان سرا بخلوة أو فراغ. إذ تحقيق العبد بلا إله إلا الله حالة من أحوال القلب لايعبر عنها لسان ولايقوم بها جنان ومن الناس من أحكم مولاة الذكر بحيث تكون الكلمات عنه كالكلمة الواحدة، لايقع بينها تخلل خارجي ولاذهني كي لايأخذ الشيطان نصيبه فإنه في مثل هذا الموضع بالمرصاد لعلمه بضعف السالك من سلوك هذه الأودية لبعدها عن عادته، لاسيما إن كان قريب العهد بالسلوك. وهذا أسرع فتحا للقلب، وأبعد في طي المسافة والقرب. وأما تطويل المد من لا إله إلا الله فمستحسن مندوب إليه، كما قال ابن عطاء الله في "مفتاحه"[635].

633- الإسراء 22 مكية

634- الحديث.

635- ابن عطاء الله ، مفتاح الأرواح، على هامش "المنن" للشعراني، ط/مصر، د،ت. ص:89.

لأن الذاكر في زمن المد يستحضر في ذهنه نفي جميع الأضداد والأمداد ثم ينفيها ويعقب ذلك بقوله إلا الله فهو أقرب إلى الإخلاص لأنه يؤكد الإقرار بالألوهية بل كل نور يوضع على القلب فينوره.

ومنهم من رجح ترك المد وقال: ربما مات في زمن التلفظ بلاإله إلا الله قبل أن يصل إلى إلا الله ومنهم من قال إن قصد الانتقال من الكفر إلى الإيمان فترك المد أولى ليسرع الانتقال إلى الإيمان وإن مات مومنا فالمد أولى لما تقدم وآدابه اللاحقة إذا سكت لاختيار يحضر من قلبه ملقيا لوارد الذكر وهي الغيبة الحصلة عقب الذكر وتسمى النومة أيضا فكما أن الله أجرى الرياح نشرا بين يدي رحمته المطرية، أجرى العادة بإرسال رياح الذكر نشرا بين يدي رحمته العلية فلعله يرد عليه ما يعمر قلبه في لحظة ما لا تتعمره المجاهدة والرياضة في نحو ثلاثين سنة وكما أن من الرياح ما لا يثير سحابا كذلك من رياح الأذكار ما لاتنشر ولاتثير رحمة بل حجابا وغفلة بفقد الآداب السنية والمقاصد السنية كاذكار اهل الدعوى في هذه الأزمان لإخلائهم أيديهم في مناهج الأذكار من العروى الوثقى الإتباعية ومروقهم عن الأحكام الشرعية وركونهم إلى ما لاح لهم أو توهموه من

سراب الوهم في قيعة الفكر فظنوا أنه ينبوع من الحقائق ولو تأملوه لم يجدوه شيئا فمالوا بذلك إلى الحرمان وركبوا به طريق الخذلان نعوذ بالله من الهوان والخسران وتقليد النفس والهوى والشيطان

فقالوا إنما تبلغ الغاية وينال الوصول بذكر الله وذكر النبي حجاب عن الغاية وكثيرا ما ترد على السالكين في بداية أمرهم خواطر من هذا القبيل من أجلها تأكدت صحبة المشايخ العارفين بمخاوف الطريق ومصادات الشيطان فينبهه لذلك ويرشده إلى كيفية دفعه أو يدفعه عنه بعنايته وهمته فإن لم يكن له شيخ وصحبه من ربه تاييد ورشد دفعها عن نفسه وجوبا وعلم أنها من قبل الشيطان يزخرف بها هذا المأخذ الخسيس ويبرقس بها هذا المسلك الوعر ليمكر به ويستدرجه إلى الكفر الصريح او الزندقة المحضة ولو انهم أحكموا وظائف منزل الإيمان وحققوا أحكامه حتى تشربت قلوبهم معناه وتحلوا بوظائف السنة باطلا وظاهرا لثبتوا عند صدمات الحقائق على ما ثبت عندهم وأحكموا في منزل الإيمان من وظائف السنة وأحكام الاتباع وأمور الشريعة فثبتت أقدامهم ولم تزل ولم تزغ فسهل عليهم الجمع بين الحقيقة والشريعة ولم تجد تلك الخواطر الردية خلافا ولا محلا ترد عليه

من الباطن لعمارته بحقائق الإيمان النافية للشكوك والأوهام والظنون.

قال سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه: كل فعل يفعله المرأ بغير اقتداء وإن كان طاعة فهو عيش النفس بهواها وكل عمل يفعله بالاقتداء فهو عذاب النفس لكن فيه تسخيرها فأين هذا رحمكم الله من قوم بلغنا انهم يقولون فيما يحكون عمن ينتسبون إليه طريقة انهم سألوه عن سنده فقال : طرد أهل الله الأعمال الموصولة إليه وسيقا فسبقوني باخذ كرائمها وتخلفت مختفيا آثار الوسيق فإذا أنى بشاره مقلدة بعقالها لها حنين على أثر الوسيق قد رغم عنها السابقون فرجعت بها أسوقها فهي هذه الكلمة.

يتشدقون بذلك استقلالا للكلمة الشريفة واستكثارا لما نال هو واتباعه من الوجاهة والاحترام بين العوام يستعملونها في الغالب على التجريد من شهادة الرسالة وما دروا أن الذكر فيه من ظلم الأهواء وسحائب الأوهام وللصلاة عليه صلى الله عليه وسلم خصوصية في تنوير الباطن فإذا صلى العمد على النبي صلى الله عليه وسلم داخل باطنه نور تشرق به أرجائه فتذهب الظلم بإشراق ذلك النور فيظهر للباطن إذ ذاك من الاقتداء للقيام بإتباع

النبي صلى الله عليه وسلم ما كان عنه غيبا فيتجدد الباعث ويقوى العزم على الاتباع ويشتد الحرص على الاتباع والائيتساء فيستقيم عمود الدين وتشتد على العزيمة.

وأيضا السالك، إن كان ثم سلوك، طالب لطريق النجاة، وسبيل المعرفة بالله. ولامطمع في ذلك إلا بدليل ولا دليل كرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد له من التمسك بركابه، والتعلق بأسبابه على أن من أبى الانتساب إلى وارثيه والتعلق بهم وأنكر الأخذ عنهم بعد تأكيده، لايبعد أن يكون رغبته عن ثاني جزائي الكلمة الشريفة، عقوبة لذلك، فالجزاء من جنس العمل، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشر. قال تعالى {جزاءا وفاقا}[636]. وهيهات يطمع في كمال اتباعه صلى الله عليه وسلم من قصر في ذكره ومحبته إذ من أحب شيئا أكثر من ذكره كما لايطمع في كمال محبته من قصر في كمال ذكره, وأصل ما اغتر به غالب أهل الدعوى في هذا الزمان من الاجهار بالاذكار والاجتماع عليها بحلقة الأودار، والتغاشي فيها والشطح وإظهار التهالك والتساكر، هو أن بعض متأخري مشايخ الطائفة الصوفية ظهر لهم من بعض التلامذة إفراط مجاهذة وتشديد في الاعمال، وانقطاع في المكابدة بإيثار الخلوة والصمت في لك لالأحوال حتى ضغط ذلك

نفوسهم وأحرق أكبادهم فرأوا ترويحهم من هذه الضغطة بشيئ يرتاحون إليه من العمل بقوله صلى الله عليه وسلم "روحوا هذه النفوس ساعة فساعة"[637]. لكنهم جمعوا لهم بين الارتياح وملازمة أمر العبودية كي لاتخرج النفس عن مقتضى العبودية فتتنسي ما كانت فيه فيصعب عليها الرجوع إليه، بعد الإخاء لها في المباحات لجمعهم على بعض الأعمال الجهرية من صلاة وذكر ونحو ذلك، حتى إذا اخمد عنهم لعب المجاهد، وخف عليهم حمل أعباء المكابدات رجعوا إلى ما كانوا عليه من خلواته، والتستر بأعمالهم واستدامة صمتهم، وتواصل ذكرهم، استجدادا لقوة العزائم وتنشيطا للبواطن والظواهر، فيروح لأهل البدايات بشيئ من المباحات واشتغال ببعض العلوم الرسمية ولأهل التمكينات بشيء من الأعمال الجهرية، ولأهل النهايات بشيء من الأحوال التي رقوا عنها لخفة مؤونتها عليهم بالنسبة لما رقو إليه، وعلى هذه القاعدة عملهم.

ثم جاء بعدهم من ظن أن قصد القوم الاجتماع للذكر، وعليه معولهم لجهلهم بما هو المقصد من اجتماعهم، ولو اطلعوا عليه لعلموا أن اجتماعهم اليوم على الأعمال الجهرية أمرمرغوب

---

[636]- الأنبياء آية 27 مكية.

[637]- الحديث النبوي يحي رياض الصالحين من أحاديث سيد المرسلين لبنان دار الفكر، 1988، ص:

عنه وبدعوة بطالة، بالنسبة إلى ما قصده القوم وأملوه، بل الانفراد لمن بعدهم أولى، وملازمة ذكر السر أنفع وأولى وأنجح لقصده، إن كان له قصد صحيح، فقد قال الشيخ أبوا عبد الله[638] الساحلي: من لم تغلب عليه ضغطة المجاهدة فرغبته عن الخلوة وذكر السر إلى الاجتماع وذكرالجهر ميل إلى البطالة وهوى النفس وربما جره إلى تفريط في ورده، وتضييع لبعض فرائضه أو تقصير فيها، وما زال أمر الاجتماع على الذكر لهذه الطائفة على قاعة الترويح مع مراعاة الآداب.... إلى أن لحق ذلك ما لحق غيره من التغيير والتبديل حتى جعلوا ذلك رأس مالهم وصيروه جل عبادتهم وعمدة طريقهم وغاية سعيهم جهلا منهم ان ذلك بالنسبة إلى ما يراد منهم بطالة فهم يشتغلون عن الأعمال الدنيا ويناون عن الأولى حتى مال بهم ذلك إلى الإفراط في الدعة والراحة وحتى صيروا اجتماعهم محلا للمآكل وسببا إلى اللذات وإلى السماع واللعب والشطح والرهف فكان لهم من ذلك اكبر قاطع عن الأوراد وأعظم شاغل عن التأهب والاستعداد وأشد داع إلى الكسل في اعمال العباد والحق من وراء ذلك كله وغنما نال أهل الطريق ما نالوه من أسرار المعارف وأقطاف العوارف لتجريد النفوس عن اوصافها وعزل الطباع عن مالوفها وإيثار

638- الحديث للنووي يحي، رياض للصالحين من أحاديث سيد المرسلين، لبنان، دار الفكر، 1988، ص:

الخلوة على الخلطة والصمت على الكلام والجوع على الشبع والسهر على المنام وذكر السر على ذكر الجهر فحرام على القلوب الفارغة من عمارات الذكر الإطلاع على حقائق الأسرار والعثور على فوائد الأذكار إلى أن قال عقب شروط الاجتماع على الذكر قيام بشرط من تلك الشروط ولاأدب من تلك الآداب ومن آكد ذلك تحفظهم من أن تظهر على أحد منهم حركة مشوبة بهوى نفس فإن أكثر الأحوال لاتخلوا عن شائبة أو هوى وما يلزم من توفير الذكر وإجلال المذكور ينافي الأحوال الممتزجة لما فيه من التلاعب إذ حال الجد يجب أن يحفظ من شوائب اللعب إذ هو في حالة الذكر بين يدي الله تعالى يناجيه بذكره فليلزم المحاضرة وليتأدب في المناجات وليعط الذكر حقه من الأدب والسكون.

فانظر إلى ما يمزج به طوائف الدعوى اليوم ولأذكارهم في حال الإجهار بها والتواجد في زعمهم من قول: نزلنا منازلا لاإله إلا الله رحلنا مراحلا لاإله إلا الله وردنا مواردا لاإله إلا الله. هذا عند مقارنة حال النزول من رحلتهم وحال الرحلة وحال إيرادهم من مواشيهم ونحو ذلك من تافه أمورهم ومهمها. فأين هذا من دعوى الولاية والسلوك والتلون في الأحوال من تواجد وشطح

وهيهات هيهات لايعامل العليم الخبير بما اكثره الترهات وغالبه التزوير ومعيار ذلك استعمال الذكر الممطط المجفور به المؤثر في ذاكريه سكرا وتغاشيا وصرعا بلا تمطيط ولانغمة ولاهتزاز ولارقص فإن أكثر في ذاكريه سرا بطمأنينة وحضور تأثيره فيهم حالة الجهر سلم لهم ما ادعوه وإلا فالحق سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركب فيه طبائع مختلفة من حرارة وبرودة رطوبة ويبوسة وجعل في كل منها انفعالا في ضده ولما كانت النغمات مختلفة في الشدة واللين صار طباع الإنسان تتأثر بما يضادها من ذلك وربما يقوى ذلك التأثير بوضعها على أوزان الأغاني والحداء فتفرط النغمات بنوع من الاحكام أو زيادة مزمار أو نحوه كي يميل الطباع عن الإدراك يميل بها إلى الذهور استغراقا في التذاذها ومن ثم عالج الأطباء أصحاب العلل السوداوية بالأصوات الطيبة والآلات المطربة لينال بذلك استغراقا في الطرب وذهولا عن الأفكار الردية فتحفظ له قوة الدماغ ولاشك أن هذا وما يجر مجراه مناف لمعنى العبودية منافر لحضور القلب والفكرة مع الله تعالى بتدبر آياته وتذكر وعده ووعيده والقيام بوظائف توحيده وتمهيده ولاريب أن ما ينهي عن ذلك

ويشغل عنه ممنوع مبعد عن حضرة الحق ثم المنع يكون بحسب الإلهاء والأشغال.

ومن غريب أمر هؤلاء أن أحدهم يأخذ في تلاوة القرآن الحكيم وترتيله، بحال لو سمعه البليد الأنكـد وكان له قلب أقسى من الجلمد لرق له واعتبر بما فيه من المواعظ والأمثال والحكم والأحكام والعبر، ثم لا يؤثر فيه تأثيره الذي يتأثر به بأبيات ينشدها وذكر يذكره جهرا، بتمطيط حتى أنه ليقطع تلاوته فيخللها بذكره ذلك، وإنشاده مع الاهتزاز واضطراب يستجلب ثوران طبيعية غالبة عليه، وإيقاد نار حرارته، وإمكان شيطانه من نفسه فلا يراه من نفسه فلا يزال كذلك ينشد ويهتز ويدكر أحيانا وينطق بكلمات يخيل بها حضوره، ومحاضراته مشعرة بقربه واشتعال نار حبه.. وهيهات هيهات، ما ثم إلا نار طبيعته الغالبة وسلطان هواه ونفسه "ولو أنهم آمنوا واتقو لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون"[639].

وأيضا المطلوب من العباد القيام بأمر العبودية والعبودية لا تقوم إلا باعتدال العقل والاعتدال لا يكون إلا باعتدال الطباع فاعتدال الطباع وسيلة إلى اعتدال العقل واعتدال العقل وسيلة إلى

639- البقرة الآية 13 مدنية.

الاتيان بوظائف العبودية على سبيل العدل والاعتدال فلا محالة يكون المعارض لذلك ممنوعا.

ولانحراف الطباع أسباب اكتسابية وغريزية. فالغريزية أن العبد مطالب برياضة نفسه ومجاهدتها بما يخرجها من الافارط والتفريط إلى الإعتدال فيها كإخراج الطباع من تدهور والجبن إلى الشجاعة. ومن البخل والسفه إلى السخاء ونحو هذا مما معناه القصد في الغرائز فكلا الطرفين محمود مذموم، والاكتتابية: ما يدخله الإنسان على نفسه من الأمور التي تحرض الطباع فينحرف العقل، فيختل نظام العبودية كشرب الخمر واسترسال في اللهو والاستغراق في الفضلة ونحو ذلك فالعبد مطلوب باجتناب ما يذهله على الله ويصد عن سبيل رضاه وعلى قدر قوة الميل عن الحق تكون قوة المنع يعلم ذلك يدهم من تدبر مقتضيات الكتاب والسنة من الدعوة إلى الله والابتهال بطاعته. ومثل هؤلاء أنما أثر فيهم النشيد ونحوه ولم يؤثر فيهم القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي حبه والاهتداء به والتخلق بآدابه وإدامة تلاوته معيار حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم. روي عن ابن مسعود

أنه قال لاتسأل أحدا عن نفسه وسله عن القرآن، فإن كان يحبه فإنه يحب الله ورسوله ذكره في الشفاء[640].

ويروي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله. وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه، كما قيل[641]:

إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي   أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود: إقرأ علي قال: أقرأ عليك وعليك أنزل، فقال إني أحب أن أسمعه من غيري، فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} قال حسبك فرفع رأسه، فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء[642] أخرجه البخاري[643].

---

[640]- عياض بن موسى اليحصبي: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ط مصر الحلبي، 1977 ج2 ص: 576.

[641]- لم نعثر على قائله.

[642]- للبخاري ، المصدر السابق ج3 ص:236

[643]- البخاري (194- 256هـ/ 810-870م) محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن للمغيرة البخاري أبوا عبد الله حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب للجامع الصحيح، المعروف بصحيح البخاري، "والتاريخ" و"الأدب المفرد" ولد في بخارى ونشأ يتيما وقام برحلة طويلة سنة 310هـ في طلب الحديث، فسمع من نحو ألف شيخ وجمع نحو ست مائة حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتابا على هذا النحو. أقام في بخارى فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى قرية "خرتنك" [من سمرقند] فمات بها . الاعلام م، س ج7 ص:34.

وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز بآذان قلبه بأن تلقاه بسلامة صدر وخشوع وذلة لسماعه، قال تعالى: وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق[644] ففي المواهب الدينية[645] قال صاحب عوارض المذاهب إذ واقنا الله حلاوة مشربه: هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان، محكوم لصاحب بالهداية لورود حرارته على برد اليقين، فتفيض العين بالدمع كأنه تارة يثير حزنا، والحزن حار، وتارة يشير شوقا والشوق حار، وتارة يورث ندما والندم حار.

إذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب، مملو ببرد اليقين بكى وأبكي لأن الحرارة والبرودة إذ اضطرمتا عصرتا ماء، فإذا ألم السماع بالقلب، تارة تارة يخف إلمامه فيظهر أثره في الجسد، فيقشعر منه الجلد[646]: قال تعالى: {تقشعر منه جلود الذين يخشعون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله}[647] وتارة يعظم وقعه ويتصوف أثره أي يقصد نحو الدماغ فتتدفق

---

[644]– المائدة 83 مدنية.

[645]– المواهب اللدنية بالمنح المحمدية مجلد في السيرة والشمائل النبوية، ألفه الإمام أحمد بن محمد القسطلاني المصري، المتوفى 923هـ وقد رتبه على عشرة فصول. راجع : حاجي خليفه، المصدر السابق 28/ ص:1896.

[646]– عوارف المعارف مؤلفه شهاب الدين حفص عمر بن محمد السهروري المتوفى سنة 632هـ وهو مشتمل على 63 بابا كلها في السير المتصوفة وأحوالهم وقد لختصر محي الدين أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشا فعي (ت194هـ) انظر: حاجي خليفة ص:624

منه العين بالدمع، وتارة يتصوب أثره إلى الروح فيموج منه الروح موجا عنيفا فيؤثر في القلب تأثير يصير به كالجسد المنتفخ إذ يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب.

وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الأحوال المقربين عند الله، الصادقين في محبة الله. وقد كان ابن عمر رضي الله عنه ربما مر بآية من ورده من القرآن فتخنقه العبرة، ويسقط من قيامه ويلزم البيت اليوم واليومين، حتى يعاد ويحسب مريضا. وقد كان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبوا موسى الأشعري[648] قالوا: يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهو يسمعون، ملتلحين السماع القرآني من الوجد والذوق والحلاوة والسرور أضعاف ما لملحني السماع الشيطاني.

بنحو الآلات والأنغام فإذا رأيت الرجل ذوقه ووجده وذربه في سمع الأبيات، دون الآيات وفي سماع الألحان دون القرآن، كما قيل تقرأ عليك الخاتمة وأنت جامد كالحجر، ولبيت

---

[647]– الزمر 23 مكية.

[648]– أبو موسى الأشعري (21ق هـ - 44هـ/ 602 -655م) عبد الله بن قيس بن سليم ... أبو موسى، من بني الأشعر من قحطان، صحابي من للشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين الذين قدمهما علي ومعاوية بصفين. ولد في زبيد (اليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام وأسلم وهاجر إلى أرض الحبشة ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعمان وولاه عمر بن الخطاب اليمن سنة 17هـ فافتتح بإصبهان والأهوار، وتولى الكوفة في عهد علي وتوفى بها كان أبو موسى أحسن الصحابة صوتا في التلاوة، وروى 335 حديثا.

من الشعر تميل كالنشوان فاعلم أن هذا من أوفى الأدلة على فراغ قلبك من محبة الله ورسوله. ادام الله لنا محبته، ولاسلك بنا في غير سبيل منته بمنة رحمته، وهيهات لهؤلاء المدعين رشة من بحر هذا المشرب أو حصول على أدنى محصول من هذا المذهب، بل هم حياري بتيه الدعوى سكرى بقرقف الأباطيل والأهواء كيف والطريق التي هم مشتبهون بأهلها أحرص الناس على اتباع الآثار النبوية بالأخلاق المحمدية. ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم فعل شيء مما هم عليه ولا تخلق به، بل نقل عنه وصح: التحذير مما هم عليه والذم له. والصوفية مجمعون على أن كل سالك يترخص في شيء من متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو مائل إلى المقت والحرمان، وذلك أكبر الحب عند الله عز وجل. ومن داخلت بشاشة الإيمان قلبه على أن تعظيم رب العزة وجل وعز وتوقير نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم يأبى خلط ذكر الله وذكر رسوله بلهو ولعب وباطل، إن هذا لشيء نكر ألا ترى أنك إذا صورت ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومضى عليه عمل أصحابه، واستن به من بعدهم سلف الأمة الصالح، من الاتصاف بأوصاف العبودية والتزام وظائف الأدب مع الله ورسوله واعتبرت ما يناسب أحوالهم الفاضلة من لزوم

الافتقار إلى الله تعالى والخضوع بين يديه لمحاضرته ومناجاته. علمت جزما أنه لامناسبة بين هؤلاء، وبين أرباب الدعوى، المخرقين بالاجتماع على ذكر وضعوه على نمط النشيد أو مع نشيد على موضع الأغاني، أو رقص واهتزاز أو مع آلة طرب. حاشى مذاهب السلف الصالح وطرقهم المستقيمة من شبه هذه الأباطيل والملاعب والأهوال والملاهي وأقبح من فعلهم التعامي عن الرد عليهم وإفضاح باطلهم إذ لاحجة لهم ولادليل ولابرهان ولاتأويل وإنما صادفوا غرة من العلماء الأعلام، وفرصة من دين الإسلام. فاغتنموها غنيمة باردة وانتهزوها عورة بادية إذ لادليل لهم فيما عمل المتأخرون على جواز ذلك إذ لايصح العدول عن ما عمل به الصدر الأول من الصحابة وأعيان التابعين، واستنادا إلى فعل المتأخرين إذ من لم يثبت عصمته لايومن زله. فقد قال مالك -رحمه الله: كل قول منه مأخوذ ومتروك إلا ما قاله صاحب هذا القبر الشريف يشير إليه صلى الله عليه وسلم.

وغير بعيد أن يكون المتأخر قد التبس عليه الحق، وجاء في هذه المسألة بخبط وليس إلا الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، فهم أقرب عهدا لزمن النبوة وأوفر فهما لمعاني الكتاب والسنة، وأكثر متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم. فكلما بعد زمان

النبوة كثر التغيير والتبديل، واستطارت الدعوى وانتشر الأحداث والأباطيل.

وبالله الاهتداء إلى سواء السبيل. وهل هذه الأناشيد الموضوعة على أوزان الأوتار إلا الأغاني الموسيقية. وقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: ما تغنيت ولاتمنيت ولامسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت السحاب البقل، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم: لإن امتلأ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلأ شعرا.[649]

وروي أنه مر على عبد الله بن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى، فقال ألا لايسمع الله لكم.

وقال الشافعي رضي الله عنه: الغناء لهو باطل، من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته. وقال أبوحنيفة :[650]

سماع الأغاني من الذنوب وما يستدل به من سماع رسول الله صلى الله عليه وسلم للشعر لادلالة فيه من إباحة الغناء، فإن

---

[649]

[650]– أبو حنيفة (80– 150هـ/ 699– 767م) النعمان بن الثابت التميمي بالولاء الكوفي أبوا حنيفة، إمام الحنفية الفقيه للمجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد ونشأ بالكوفة, وامتنع من القضاء عندما أراده المنصور العباسي له وله مسند في الحديث –الأعلام م.س.ج8/ ص:36.

الشعر كلام موزون، حسنه حسن وقبيحه قبيح، وإنما الغناء ما كان بالألحان، وتقطيع الأوزان بالنغمات، هذا مذهب جمهور السلف وأعيان الخلف، وذهب قليل من العلماء إلى إباحة ذلك بشرط أن لايكون عادة وعديدنا حتى يغلب على صاحبه ثم لم يخلوه من كراهة لمنعهم أن يستعمل ذلك في المساجد والبقاع الشريفة ولم يزل السلف رضوان الله عليهم، يأبون جعل هذا النوع من الغناء حسنا، فقد سأل رجل الاسم بن محمد[651] عن الغناء فقال: انهاك عنه وأكرهه لك. قال أحرام هو؟ انظر يا أخي إذا ميز الله بين الحق والباطل في أيهما تجعل الغناء[652] وقال بعض أكابر المشايخ: لو كان الغناء فضيلة أو كان فيه خير لم يهمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم ولا دأبو عليه دؤوبهم على الفضائل والمندوبات. وقد قال بعض المحققين من مشايخ الزمان السماع في هذا الزمان لا يقول بجوازه مسلم ولايقتدي بشيخ يعمل السماع ولا يعول عليه وصاحب السحال معذور فأما الأذكار فالأمر فيها قريب، إذا سلمت من الشناعات والإجتماعات، وكانت بوقار وسكينة أه.

651– القاسم بن محمد: يبدو أنه من المتصوفة الفقهاء أنظر : عوارف المعارف، م.س. ص:124.
652– المعوارف 114

وهو عين الحق والصواب، إن أمنت الفتنة في ذلك وكان على وجهه لكن لاأرى أن ذلك يتفق بهذه الأزمنة الفاسدة، وما عليه أهلها من العقائد الحائدة، والمساعي الخافقة الكاسدة، وأبعادهم مرمى في الغواية والضلال، وأقعدهم من مقاعد الحق والحقيقة والكمال، من اشتغل منهم بالفضول، ورأى نفسه في عمل يفضي إلى محصول فتجدهم يقولون فلان كامل وفلان ناقص، وخلان في مقام كذا حصل على كذا وفلان بعيد عن كذا ونحوه، كل ذلك من قلة الحياء وقلة الأدب، والاشتغال بما لايعني والعمل فيما يعوق ويعني لاسيما إن أضاف إلى ذلك التكذيب لبعض الصادقين أو دعوى ما ليس له من مقام أو حال لأنه يصدق عليه قوله تعالى: {فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه}[653] وهو أيضا من سقوط حرمة الأولياء في قلوبهم وهب أنهم اعتقدوا ذلك لأمور دلتهم عليه فمن أين لهم الجزم بذلك. الأمثال إلا أمثالهم، ولا يفهم المرتبة إلا من قاربها أو دخلها، بل قال الشيخ سيدي أبوا عبد الله القرشي[654] رضي الله عنه لإنما يفهم عنك من أشرق فيه ما أشرق فيك".

[653]– الزمر 32 مكية.

[654]– محمد بن سعيد القرشي: متصوف بارع حتى نعت بالمحقق بالله له كتاب "شرح التوحيد" راجع: أبونعيم: الحلية ج337/10.

ثم من طاب غاب ومن جد وجد، ومن عرف وصف، لوجود الغيرة المركبة في البشر عند الاطلاع على كل جميل وحب الانفراد به لكن الجهل ورؤية النفس بعين الرضا والتعظيم هو الحامل على مثل هذه الأمور. إذ لايرضى أحدهم أن يكون منسوبا لأحد الأولياء.

ولا يرضى لمعاصره أن يكون كأحد الصالحين والمريدين الصادقين، وتعضده في ذلك بعض المساعات النفسانية والحركات الشيطانية والحقائق الوجدانية... وهي أندر نادر في أهل دعاوي هذه الأزمان، فيزيده في وهمه، ويبعده عن دائرة فهمه، وربما تكلم في ذلك من حيث الاستدلال بالشواهد وهي لاتفي بالمقصود، وقد أدبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بقوله: "إذا مدح أحدكم أخاه فليقل أحسبه، ولايزكي على الله أحد[655]، نعم قد يثبت صلاح الرجل بشواهد أحواله، كما يثبت إيمانه، ونحن في ذلك على حق لاتساع رتبة الصلاح ولقوله عليه الصلاة والسلام في عبد الله بن عمر: إن عبد الله رجل صالح[656] .... إلى غير ذلك

[655]- البخاري، م.س. ج4 ص:59 و60.
[656]- البخاري، نفسه ج1 ص: 0196-0197.

من الأحاديث وترى ولايته بشواهد أحواله أيضا لوجود دلالة واتساع الوقع، إذ تثبت بالولاية العامة {الله ولي الذين آمنوا}[657].

وقد أثبت سعد رضي الله عنه[658] إيمان الرجل عنده عليه السلام وحلف على ذلك فلم يرده عليه السلام إلا بقوله: أو مسلما. ولو منكرا لنهاه عن اليمين والإثبات، وهيهات يلحق نقص صاحب حق وتحقيق بطعن أخي باطل وتزويق، فعين المبطل في عمى عن رؤية المحق، كما الباطل حجاب مانع من الوقوع على عين الحق[659]:

واختفاء الرجال فـــي كل عصر حت سوء الظنون خطب جليل

هل يضر الهلال في حندس الليل سواد السحاب وهـــو جميل

وقد أنشد إمام الصوفية لما رأى فساد الحال والزمان:

أهل التصوف قد مضو صار التصوف مخرقه

صار التصوف ركوة وســـــجادة متلفعه

صار التصوف صيحة وتواجدا أو منطقه

كذبتك نفسك ليس ذي سنن الطريق الملحقه[660]

---

[657]- البقرة 257- مدنية.

[658]- سعد ابن أبي وقاص، واسم أبي وقاص: مالك بن وهب، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها، قاد معركة القادسية ضد الفرس، ومات بالعتيق ، ودفن بالمدينة كان من الستة بعد عمر. انظر أبي بعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ت.137/3.

[659]- الأبيات لم نعرف صاحبها.

[660]- لم نعرف إمام الصوفية هذا .

ولسنا نعيب ذكر الكلمة الشريفة التي هي كلمة الفلاح ووسيلة النجاح ولانعيب إفراد الوجه والتوجه، وإنما نعيب الإتيان بالكلمة الشريفة مشطورة مختلة الشروط والآداب مجهورة معها سائر الأذكار التي ورد النص كتابا وسنة بالندب إليها والحض على الدؤوب على الذكر بها، ومن التسبيح والتكبير والتحميد، والحسبلة والحوقلة والاستغفار والذكر بسائر الأسماء قال تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها}[661] وقال صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعا وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة"[662]

وإحصاؤها التحقق بمعانيها، والخلق بحقائقها، والتلق بمقتضياتها لأن الاستظهار بهجران ما أمر الشارع بإيثاره عموما واختيار غير مختاره، ورؤية البركة والخير في غيره لايكون ممدوحا إن لم يكن مذموما ولا يكون مأمورا إن لم يكن محذورا، سيما مع رفع الصوت به في المساجد وقت احتياج الناس إليها، بل الأولى بالمريد الصادق الاشتغال بما يخصه من العبادات المحققة، ويدع كل ذلك للعوام جملة وتفصيلا، ويبتهل سلى الله تعالى في دلالته الشيخ مرشد صالح أو أخ مفيد فالح. فمن حصل على واحد منهما بهذه الأزمنة الفاسدة والأمم المعرضة الحائرة،

661- الأعراف: 180 مكية

662- البخاري ج4 ص:276.

فقد سعد سعادة الأبد وفاز بالقدح المعلى والمحل الأصعد. فليعلق بغرزه وليستعد بحصنه المنيع وحرزه وليشكرالنعمة به والمنة فالشكر قيد النعمة في السنة إذ النعمة إنما تصلب -والعياذ بالله- ممن لم يعرف قدرها. والذي لايعرف قدرها الكفور الذي يكفرها ولايؤد شكرها ودليله آية: {واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها} يقدر الكلام إنا أنعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والآي الجسام في باب الدين فأمكناه بذلك من تحصيل المرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا، فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال إلى الدنيا الخسيسة الحقيرة وآثر شهوة نفسه الدنية الردية، ولم يعلم أن الدنيا كلها لاتزن عند الله من أدنى نعمة من نعم الدين جناح بعوضة فكان بذلك في منزلة الكلب الذي لايعرف الإكراه من الإهانة والرفعة والشرف من الحقارة، وإنما الكرامة كلها عنده في كسرة يطعمها أو عراق مائدة يرمى إليه سواء لديه تقيمه على سرير بين يديك أو تقعده على التراب والقذر بين يديك فهمته وكرامته ونعمته كلها في ذلك. فهذا العبد السوء جهل قدر نعمتنا ولم يعرض حق ما أتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وساء في مقام قربة أدبه بالالتفات إلى

غيرنا والاشتغال على ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة صغيرة فنظرنا إليه نظر السياسة وأحضرناه بميدان العدل وأمرنا له بحكم الجبروت وسلبناه جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا، فانسلخ عريانا من جميع ما آتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما مريدا نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه، إنه بنا رؤوف رحيم ثم أقنع بمثال ملك كريم يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه يجعله فوق سائر خدامه وصحابه وأمر له بملازمة بابه وأن تبني له في موضوع آخر القصور وتوضع له الأسرة وتنصب الموائد وتزين له الجواري حتى إذا رجع من الخدمة أجلس هناك ملكا مخدوما مكروما وما بين حال خدمته إلى ملكه وولايته إلى ساعة من نهار أو أقل، فإن أبصر هذا العبد بجانب باب الملك سائسا للدواب يأكل رغيفا أو كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره إليه وإقباله عليه ولايلتفت إلى ما له من الخلع والكرامات فيسعى إلى ذلك السائس فيمد يده إليه ويسأله كسرة من رغيف أو يزاحم الكلب على عظمه ويعظمهما وتطمح إلى ما هما فيه.

أليس الملك إذا نظر إليه على مثل هذه الحالة يقول: هذا السفيه لم يعرف حق كرامتنا، ولم ير قدر إعزازنا إياه بخلعنا

عليه بتقريبه من حضرتنا مع صرفنا إليه من عنايتنا وذخرنا إليه من الذخائر وضروب الأيادي التي هو على يقين من الوفود عليها ما هذا إلا ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التمييز أسلوبه الخلع، واطروده عن باب حضرتنا.

فهذا حال العالم إذا ما إلى الدنيا او العابد إذا قلد الهوى فبعد ما أكرم بالعبادة معرفة الآيات والشريعة والأحكام لم يعرف قدر ذلك فيصير إلى أحقر شيء عند ربه وأهونه فيرغب فيه ويحرص عليه، ويكون أعظم في قلبه وأحب إليه من جميع ما اعطى من تلك النعم العزيزة من العلم والعبادة والحكم والحقائق وكذلك من خصه الله تعالى بأنواع توفيقه وعصمته وزينه بأنوار خدمته وعبادته، وأدام النظر إليه بعين رحمته في أكثر أو قاته ثم يباهي به مدينته وأعطاه على باب القيادة والوجاهة وأحله بمحل الشفاعة وأنزله منزل الأعزة حتى صار بحيث لو دعاه أجابه ولباه، ولو سأله أعطاه وأغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم وأرضاه ولوو أقسم عليه لأبره واوفاه ولو خطر بباله شيء لأعطاه قبل ان تتحرك به شفتاه فمن كانت هذه حالته لم لم يعرف قدر النعم ولو ينظر إلى ما صرف عنهم مقابلها من النقم فيعد من ذلك إلى شهوة نفس ردية لا حياة لها دائمة أو شهرة في

دار الدنيا الفانية الدنية التي لابقاء لها ولاعليها، ولم ينظر إلى تلك الكرامات والخلع، والهدايا والمنن الوافرة والعطايا مع ما أعيد وأعد له فالآخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما أحقرها من نفس ما أسوأه من عبد وما أعظم خطره لو علم ما أفحش ضيعه لو فهم، فنسأل الله البر الرحيم أن يصلحنا بفضله العظيم وسعة رحمته ولفظه العميم إنه أرحم الراحمين ورب العالمين فالحذر الحذر إخواننا من الغفلة من ذكر نعم الله والأمن من مكر الله.

فلقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول: ما أمن أحد على دينه إلا سلبه، وقد كان بعض أكابر المشايخ -رحمه الله يقول: إذا سمع بحال الكفار وخلودهم في النار فلا تأمن على نفسك فإن الأمر على الخطر ولاتدري ما ذا يكون في الخاتمة وما ذلك في حكم الغيب فلا تغتر بصفاوة الأوقات فإن تحتها غوامض الأفات. وقال بعضهم يامعشر المغترين بالنعم إن تحتها أنواع النقم زين الله ابليس بأنواع عصمته وهو عنده في حقائق عداوته.

وعن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- "كم من مستدرج بالاحسان وكم من مغبون بحسن القول فيه، وكم من مغرور

بالستر عليه". وقيل لذي النون المصري ما أقصى ما يخدع العبد به، قال: بالألطاف والكرامات. وقال تعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} أي نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر، وكلما صار العبد أقرب كان الأمر فيه أخوف وأصعب ومعاملته أشد وأدق والخطر عليه أعظم وأشق، فإن الشيئ كلما كان أبلغ علوا إذا انقلب كان أصعب وقوعا، واعلموا أن أشد خلق الله خوفا من الله الملائكة، والأنبياء والعلماء والأولياء وأهل البصائر... وأعظم الخلق امنا الغافل الأغنياء الذين يمتد نظرهم إلى السابقة، ولا إلى الخاتمة ولا إلى معرفة الله سبحانه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: جاءني جبريل يرعد خوفا من النار. قال صلى الله عليه وسلم: ما أتاني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقا، وما أتاني إلا وهو قاضب أو كالقاضب فكلمته في ذلك، فقال: يامحمد إن أمر الله جد ما تبسمت منذ خلقت النار.

قيل لما ظهر على ابليس ما ظهر من الكبر وطرد لذلك وأبعد ولعن، طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان، فأوحى الله إليهما: ما لكما تبكيان، فقالا: ياربنا لانأمن مكرك. فقال تعالى هكذا فكونا لاتأمنا مكري، فإنه لايأمن مكري إلى القوم الخاسرون.

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: خوفني جبريل يوم القيامة حتى أبكاني، فقلت يا أخي جبريل ألم يغفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر. فقال: يا محمد لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة.

وانظر إلى بلعام بن باعوراء الذي كان إذا نظر نحو السماء أبصر العرش، وكانت تجلس في مجلسه إثنى عشر ألف محبرة تكتب العلوم من صدره وهو الذي قال الله تعالى فيه: {واتل عليهم نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها} الآية .وانظر إلى ابليس وقد عبد الله تعالى في الأرض، حتى لم يترك موضع قدم إلا وركع فيه ركعة وسجد سجدة ثم رقي السماء الدنيا كذلك، ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة وهو يفعل كذلك إلى السابعة فضبطت عبادته فكانت ثمانين ألف سنة فخالف أمرا واحدا فجعله الله رجيما شيطانا لعينا قيل أنه كان ينظر في اللوح المحفوظ فرأى فيه مكتوبا إني خالق بشرا وآمر الملائكة بالسجود له، فيتخلف منهم واحد فيقول يا رب سبحانك من ذا الذي يستطيع أن يعصي أمرك فلما خلق الله آدم عليه السلام أمر الملائكة بالسجود تخلف لينظر من هو المتخلف فكان هو أعاذنا الله وإياكم من مكره واستدراجه ولاعدل بنا عن سبيل العبودية له ومنهاجه. واختلف

في سبب كفر ابليس، فأشكل ذلك على طائفة من فحول العلماء فقال بعضهم سببه امتناعه عن السجود ورد بأنه لو كان ذلك لكان كل عاص كافرا، ولكن سبب كفره قوله" {خلقتني من نار وخلقته من طين} يعني أنا أشرف منه فكيف تأمر الشريف بالسجود للمشروف، هذا ظلم ومن نسب إليه عز وجل ظلم فقد كفر، عصمنا الله وإياكم من الفتن والبلايا والأسواء والمحن ثم إن مما توافرت به الأخبار أن البلاء يصبر عليه كل مؤمن، ولايصبر على العافية إلا صديق.

وإنما أوتي عبد الله بن طالب محمود بإيوائه من فتنة أعدائه إلى جبل آزناك لشدة صولتهم الباطلة، وقوة دولتهم الزائلة، فوكل إليهم ونظر آزناك إلى ما منح عبد الله من العظمة في صدورهم والمهابة في أعينهم فقالوا ومن يقوم لنا مع قوتنا وبأسنا مع عناية عبد الله وجنده، إعجابا بدولتهم وإكبارا لصولتهم، وما علموا أن العبد إذا نابته نائبة أو نكبته نكبة فالواجب عليه أولا قصد ربه واللجوء إليه. فمتى لجأ إلى مخلوق تضاعفت عليه النوائب ووكل إلى نفسه فهلك. فقد ذكر ان نوحا عليه السلام لما استقبله الغرق دعى ابنه ليركب معه فلم يجبه وقال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، وكان قد بنى بيتا من زجاج في أعلى قمة من الجبل،

عصمة من الماء، فلما يئس منه دعا ربه فأوحى الله إليه {لو دعوتنا ابتداءا أجبناك انتهاء ولكنك رجعت في دعائك إلى إشكالك فزدناك في أشغالك، فرقي كنعان إلى بيت الزجاج، فدخله وأغلقه على نفسه فسلط الله عليه البول حتى غرق به، فانظر كيف غرق الناس كلهم في الماء وغرق هو ببوله. وكذلك نبى الله يعقوب عليه السلام، كان قد أوصى بنيه بحفظ يوسف عليه السلام ابتداء حتى قالوا إنا له لحافظون فلما أصيب عليه السلام بفرقته رجع في طلبه إلى أولاده فقال يابني {اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه} فلما يئس من أولاده رجع إلى ربه. فقيل له لو استعنت بنا أولا كفيناك آخرا، ولكن رجعت إلى أشكالك فزدناك في اشغالك.

هذه معاملته عزوجل لصفوة أنبيائه، فما ذا ترى فيمن دونهم. ففي الحديث القدسي عنه صلى الله عليه وسلم عن ربه قال: "لايعتمد علي عبد من عبادي أعلم كلك من نيته، فيكيده من في السماوات ومن في الأرض إلا جعلت له من كيدهم فرجا ومخرجا، ولايعتمد على غيري أعلم ذلك من نيته إلا وكلته إليهم وقطعت أسباب السماوات. من دونه.

ولا أجهل ممن يقتحم غمار الفتنة فيما بين أهل الإسلام ويبسط يده ولسانه فيها ثم يرى أنه مطيع لله في ذلك متقرب إليه

بما هنالك والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قالوا يا رسول الله ذلك القاتل فما بال المقتول؟ قال: كان حريصا على قتل صاحبه قبل أن يقتله. حمل بعض العلماء معنى كونهما في النار على أنهما يستحقان ذلك ولكن أمرهما إلى الله تعالى إن شاء عذبهما وإن شاء عفا عنهما وقيل هو محمول على المستحيل بذلك واستدل بذلك على قوله كان حريصا على قتل صاحبه لم يقع الفعل وأجاب من لم يقل في ذلك أن في هذا فعلا هو المواجهة بالسلاح ووقوع القتال ولا يلزم من كون القاتل والمقتول في النار أن يكونا في مرتبة واحدة فالقاتل يعذب على القتال والقتل والمقتول إن لم يكن متأوذا أو مقاتلا دون ماله أو نفسه وحرمه يعذب على القتال فقط.

وقد قال صلى الله عليه وسلم من قتل دون مظلمته فهو شهيد. وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: :من قتل مومنا فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولاعدلا". قال ابن حجر قال الخطابي بعين مهملة يريد أن قتله ظلما لا عن قصاص يقال عبطت الناقة واعتبطتها إذا نحرتها من غير داء وآفة تكون بها. وفي رواية سألت يحي بن يحيى عن قوله اعتبط بقتله قال الذين

يقاتلون في الفتنة فيقتل أحدهم فيرى أنه على هدى لا يستغفر الله فيموت مصرا على كبائر إن لم يكن عن استحلال فإن استحله كان كافرا لعلم حرمة ذلك من الدين ضرورة وقد قال صلى الله عليه وسلم:" لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"، ابن حجر: هو بضم الباء في الروايات والمعنى لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حال قتل بعضكم بعضا. وقال في محل آخر بجزم يضرب بشرط مقدر على انه جواب الشرط وبدفعه على الإستيناف وبرفعه ويجعله حالا فعلى الأول يقوى الحمل على الكفر الحقيقي ويحتاج إلى التأويل كالمستحل مثلا وعلى الثاني لايكون متـــعلقا بما قبله ويحتمل أن يكون متعلقا وجوابه ما تقدم.

وجملة ما فيه من الأقوال عشرة قول الخوارج إنه على ظاهره ثانيها هو في المستحلين ثالثها المعنى كفارا بحرمة الدماء وحرمة المسلمين رابعها تفعلون فعل الكفار في قتل بعضهم بعضا خامسها لابسين السلاح يقال كفر درعه إذا لبس فوقها ثوبا. سادسها كفارا بنعمة الله سابعها المراد الزجر عن الفعل والتهويل وليس ظاهره بالمراد ثامنها لايكفر بعضكم بعضا كأن يقول أحد الفريقين للآخر انت كافر فيبوء به أحدهما تاسعها ان المراد ستر الحق لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه فلما قاتله

كان كأنه غطى على حقه الثابت له عليه عاشرها أن الفعل المذكور يفضي إلى الكفر لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شأم ذلك إلى أشد منها فيخاف عليه ان لايختم له بخاتمة الاسلام. وفي شرح المشارق للشيخ اكمل الدين بعد صدر من كلامه على الحديث على كون الجملة صفة لكفارا أو حالا من الضمير في لاترجعوا أو استينافية قال كأنه صلى الله عليه وسلم قيل له كيف الرجوع كفارا فقال يضرب بعضكم رقاب بعض بغير حق فعلى الوجه الأول يجوز أن يكون المعنى لاترجعوا عن الدين بعدي فتكونوا مرتدين مقاتلين يضرب بعضكم رقاب بعض بغير حق على وجه التحقيق أو يكون لاترجعوا كالكفار المقاتل بعضهم بعضا على وجه التشبيه بحذف أداته وعلى الثاني يجوز أن يكون عناه لاتكفروا حال ضرب بعضكم رقاب بعض لأمر يعرض بينكم لاستحلال القتل لغير حقه وأن يكون لاترجعوا حال المقاتلة لذلك كالكفار في الانهماك في تهييج الشر وإثارة الفتن بغير إشفاق منكم بعضكم على بعض في ضرب الرقاب وعلى الثالث يجوز أن يكون معناه لايضرب بعضكم رقاب بعض من غير حق فإنه فعل الكفار وأن يكون لايضرب بعضكم رقاب بعض كفعل الكفار.

وأما قول عبد الله بن الطالب محمود ، بعد البذى والأذى والتطاول، أني -أعاذني الله مما رجمني به- مما لئ لكنته أو راض بنصب الحرب فيما بينهم وبينه فأعوذ بعناية الله وصونه وأحتمي برعاية الله وعونه من الممالات على ظلم أو الموالات لظالم، فكنته إنما بعثوا إلينا فاستنصرونا على أعدائهم وأعداء الدين من إدوعيش وأما إدوالحاج فلم ينهوا إلينا في شأنهم كتابا ولم يوجهوا إلينا فيهم خطابا. فبعثت إلى هؤلاء بكتاب إثر كتاب انهاهم عن ظلمهم لكنته وعدائهم عليهم وأحذرهم شؤم ذلك فردوا أخبث الرد وأفحشه، وامعنوا في الإذاية لكنته والإهانة فرأيت إهانتهم بالدعاء والتطفل على موائد الحق في كفاية أعدائهم ونصرهم عليهم وتعلق العناية والهمة بالكافي الناصر لحزبه على من نصب لهم من كيده وحربه {سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا} ثم نظرت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم "ولا أملك عنهم من المدافعة سوى الدعاء لهم وعلى أعدائهم بالنصر والتأييد والخذل لأعدائهم والتبديد".

فإن كان عبد الله من إخوان الدين الواجب نصحهم، وكراهة ما أصابوا من كبائر الذنوب وقبائح الفواحش، فإنه لما

بلغنا عنه فتكه بأبناء سيد الوافي فتكة لم يفتكها قبله فاتك ثم تغيب عنها تهيئة لعذر يقدمه للمعتقدين فيه من الناس ولم يبال بما يقوم به عذره بين يدي رب العالمين، يوم يقوم الناس له وتنصب الموازين وتنشر الدواوين {ولا يظلم ربك أحدا} ومن كظم غيظه وإطفاء فتنته الثائرة بينه وبين إخوانه عموما او خصوصا، ولو إلا بخروجه بنفسه في الجيش إذ هو أرجى للإبقاء على من خرج فارا بدينه على الناس والصبيان من تجهيزه للجيش فأمسكنا عنه مع الكراهة لفعله وعده نقيصة في حقه، وحطيطة من مرتبته، مع علمنا أن مثله معرض للزلل، غير معصوم من العصيان والخطل، فلم يفجعنا إلا قطعته يتطاول فيها بتلك الفتكة ويفتخر بإيغاله فيها ويعتب علينا بالفجيعة بما وقع لكنته وإنا لو حضرنا ثم لنالنا ما نالهم وأنه متى كنا من كنته نهون بهبوانهم ونعز بعزهم فقد هنا ، نعوذ بالله من الهوان والإصرار على كبائر العصيان. فلم نزد على كتبنا إلى كنته بوصية محصلها الحراسة لدينهم وحسبهم وأن لايحملهم الغضب والتعصب على إعنات بري أو تناول من تصل من هذه الفتنة ممن شهد دوك بص والامتناع من سلبه، فإن من مات منهم مات بأجله غير مأثوم ولامذموم.

وعدة سلفهم المتوارثة العفو بعد القدرة وعدم الإمعان في الانتصار وأخذ الثارات ومن حضرها من صغار الأبناء وحمله على الدخول مع كنته في حرب ادوعيش فلم آمر به ولم يسؤني لما اعتقد من وجوب جهادهم على سائر المسلمين ابتداء فضلا عن من لم يجد بدا من مدافعتهم عن نفسه وماله وحرمه بعد ما صنع باهل دوكبص ما صنع من القتل والسبي والنهب فظهر بنا بتعدي عدوانهم إلينا أن رغبتهم إنما جرنا إلا ما هم فيه من الفتنة والحرابة ويأبى الله إلا أن يتم بالعصمة منهم والكفاية لشرهم نورنا ويدين بالعافية والمن غبطتنا وحبورنا. والاغتباط بالمعصية كبيرة لاقتضائه الاستهانة بامر الملك الحق العدل الذي لا اجل منه بل يصير الصغيرة كبيرة والكبيرة فاحشة. فمن اغتبط بمعصية صدرت منه استدللنا من ذلك على خراب باطنه وضعف إيمانه بحديث : "المؤمن التام الإيمان يرى المعاصي جبلا مشرفا على رأسه، يرى الكبيرة صخرة عظيمة مهما سقطت على رأسه رضته فقتلته والصغيرة حجرا صغيرا إن لم يقتله أدماه فهو يتوقى المعاصي كبيرها وصغيرها وضعيف الإيمان يرى المعاصي دبابا يحوم على راسه الكبيرة منه لاتثقل عليه ولاتوذيه والصغيرة لاأثر لها فهو يستخف بارتكاب المعاصي كبيرها

وصغيرها فهذا سيئاته كلها ما بين كبائر وفواحش ومن أكبر الكبائر القتل في غير حد او قصاص ومن شارك فيه بامر أو شهادة أو قول أو رضي بذك الفعل أو تمناه لأحد أو سره حين بلغه فهو شريك في دمه إن لم يحضر وهو مضطرد في جميع الطاعات والمعاصي فكل من شارك في واحد منها او رضيه فهو شريك يثاب بثواب الفاعل ويعاقب بعقابه وهو محسوب في عدده ومسوب إليه ولذلك قيل إن ابراهيم عليه السلام لما ناظر النمرود لعنه الله في دعواه الربوبية فغلبه بالحجة قال النمرود حين لم يجد جوابا اقتلوه او احرقوه فرضي قومه بقوله فأخبر تعالى عن قومه ولم يقع منهم القول ولكن وقع منهم الرضى وكذلك خاطب الله تعالى الجهود الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله {قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مومنين} ولم يقتلوا أحدا من الانبياء وإنما قتل أجدادهم الأقدمون فلما رضوا بفعل أسلافهم فكأنهم فعلوا ذلك بأيديهم فاستحقوا هذا الخطاب وكذلك اخبر تعالى عن المنافقين أنهم قالوا "لإن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزمنها الأذل" وإنما وقع القول من عبد الله ابن أبي ابن سلول لقصة جرت لعبد له وعبد لعمر رضي الله عنه فلما رضي المنافقون من أصحابه بقوله أخبر الله تعالى عنهم

فالراضي بالقول والعمل كالفاعل له فاليتق الله من له عناية في إنقاذ مهجته وليحذر هذه الوجوه كلها وليذكر ما أعد الله للقاتل وللمالئ له على القتل.

وقد أوصى أرسطاليس الاسكندر ذا القرنين، فقال: إن آكد ما أوصيك به وبمتثاله يصح أمرك ويدوم ملكك: التعفف عن الدماء فإنها عقوبة انفرد بها الخالق البارئ المقتدر العالم بأسرار المخلوقات، وإنما يقدم في ذلك على شبهة لست تعلم باطنها، فتحفظ من هذا جهدك ياسكندر. فإنه صح عن هرمس الأكبر[663]: المخلوق إذا قتل مخلوقا آخر ضجت ملائكة السماوات إلى بارئهم يقولون ربنا تشبه عبدك فلان بك، فإن كان قتل في قصاص، قال لهم عز وجل: قتل فقتل. فإن قتل لبغي الدنيا، قال جل جلاله وتقدست أسماؤه وعزتي وجلالي وقدرتي لا أهدر دم عبدي فلان. فلا تزال الملائكة تدعوا عليه مع كل تسبيح حتى يؤخذ بدمه. وإن مات حتف أنفه، فذلك الذي غضب الله عليه وهو من الخالدين في عقابه إن جازاه وعذبه. فاحذر وحذر نفسك وراقب ربك في كل

---

[663]- هرمس الأكبر: هو عند العرب إدريس النبي عليه السلام، وقالت فرقة ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة. وقالوا باليونانية: أرميس. وعرب بهرمس (إدريس). وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم، وتنسب إليه الأدبيات الهرمسية. وهي نصوص عرفانية غزيرة تمتاز بالأخذ من شتى المذاهب الفلسفية، ومن مختلف الديانات. راجع: القفطي، إخبار العلماء :1: 2. الجابري، بنية العقل العربي :2: 274

حين فإنه معك، وهو أقرب إليك من نفسك وإياك والاسراف في الإنصاف ممن ظلمك.

والحق تعالى كما نهى عن القتل في النفس المحرمة بغير حق، نهى عن إسراف صاحب المظلمة فقال: {لاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق}[664] يعني أن الحاصل في القتل الحرمة المغلظة ما لم يعارضة عارض يباح من أجله القتل فنهى الله عن القتل على حكم الأصل، ثم استثنى الحالة المحصلة في حيلة القتل، من الأسباب العرضية التي وردت في الحديث الصحيح، من قوله صلى الله عليه وسلم: لايحل دم امرء مسلم يشهد أن لاإله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة[665] قال تعالى: {ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا}[666] أي قوة وولاية على القاتل بالقتل، وقيل بالتخيير إن شاء استقاد منه وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا، {فلا يسرف في القتل}[667] أي الولي.قال ابن عباس : لا يقتل غير القاتل.

664- الإسراء : 33، مدنية.

665- حديث صحيح ، راجع: عبد الرحمن الحنبلي، جامع العلوم والحكم: 106.

666- الإسراء: 33 ، مدنية.

667- الإسراء: 33، مدنية

وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لايرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه. وقيل معناه: إذا كان القتيل واحدا، فلا تقتل به جماعة بل واحد بواحد، وكان أهل الجاهلية لايرضون بقتل القاتل وحده، حتى تقتل معه جماعة أقربائه، وقيل معناه أنه لايمثل بالقاتل إنه كان منصورا. قيل الضمير راجع للمقتول ظلما، إذ هو منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله. وقيل الضمير راجع إلى ولي المقتول. معناه أنه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية. وقيل في قوله تعالى : {فلايسرف في القتل}[668] أراد به القاتل المتعد بقوله : لايعتد بالقتل بغير حق، فإنه إن فعل ذلك فولي القتل منصور بمن ولي عليه باستيفاء القصاص منه. فاتقوا الله إخواننا وتوقوا الدماء إلا بحقها، واسعوا في إطفاء الفتن جهدكم، فإن الفتنة نار لعن الله واقدها، بل كم من واقد لها اصطلا بجمرها واصطلم بحرها، وأميتوا البدع بإحياء السنن، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : "من أحيا سنة من سنتي قد أميتت فقد أحياني"[669].

---

[668]- الإسراء، 33 مدنية.

[669]- راجع: عياض، الشفا ، ج2 ص:554.

وقال: (من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة)[670]. ومن المنهيات، الفواحش: مجالسة أصحاب البدع والمناكر. قال تعالى: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضو في حديث غيره إنكم إذا مثلهم}[671]

قال ابن عباس : دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الي يوم القيامة قال العلماء في الآية دليل على ان من رضي بالكفر فهو كافر، ومن رضي بمنكروخالط اهله، كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وإن لم يبا شره فإن جلس اليهم ولم يرض بفعلهم، بل كان ساخطا له، وا نما جلس على سبيل التقية والخوف. والامر فيه من المجالسة مع الرضى. وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ،ولم يخض في بدعته أو منكره، فيجوز الجلوس معه مع الكرا هة، وقيل : لا يجوز بحال. والاول أصح وأولى. وهذه الوصية الشافية والنصيحة الكافية لمن صدرنا بهم، ثم لسائر الاخوان في الله ثم لكنته الذين اليهم الانتماء .والله يعلم أن مقصودنا فيها وجود الافادة واظهار ما نرى انه من وسائل السعادة، لا وجود التعنيت، والتشعيب للكلمة والتشتيت، فمن

670- راجع: عياض، الشفا، ج2 ص:554

671- النساء 140 مدنية.

انهيت اليه من عالم فلينظرها بعين الرضا والصواب، ليلا يرفعها بظهر باب البديهة فيحرم عوارف فوائدها الوسيعة البديعة، وليتدبر ما فيها باصلاح مختلفه بالتأويل ،وعضد فارعه بالدليل. ولا يعترض بحلق فكر البصير النقاد، ما يعترض بطواياه من الرد والا نتقاد ، والاعتراض لما فرطت به فوارط عبد الله من الاستطا لة والاذى وانواع الجها لة . مما لايخلو من تأسيس بديع وتأصيل "ولمن انتصر بعد ظلمه فؤلائك ما عليهم من سبيل والمؤمن مرآة اخيه والا نصاف من شيم الا شراف "وحسب امريء من الشر ان يحقر اخاه المسلم" و يعلم الله قصدي بما جمعت ،وان كانت النيات لاتخلو من خلل ونقص، فلكل حق حقيقة ولكل قوم شرعة وطريقة، ولكل شيئ وجهة ولكل وجه وجهة. ثم استعيذ بمن بيده مقاليد السماوات والارض من جاهل يتحامل اوحاسد يعرف الحق ويتجاهل. وأسأله تعالى ان يجعل ما سطرنا حجة لنا لا علينا ونفعا لكل من وقع بيده فتقبله بقبول حسن، وبركة لكل من اعان فيه إنه ولي الجود وافر المن، واستغفره سبحانه مما جمح به فيه عنان القلم، مما يتناقض آداب الخصوص وياباه منصب المفرد العلم، وان يختم بالإسلام والإيمان والكتاب والسنة في عافية غير عافية، وأن يخلصنا من

محن الدنيا وفتن الدين في عيشة هنية صافية، وان يجعلنا من حزبه المفلحين ومن اوليائه الصالحين المصلحين، انه منعم كريم رحمان رحيم، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الي اليوم العقيم.

رسالة في أنساب إدوالحاج الشرقيين:
أولاد الحج اعلي "إدوبج و الوتيدات"
تأليف :/5820.
عبد الله سيد محمود الحاجي (ت 1255هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على نبيه الكريم

الحمد الله الوهاب الآمر بالنطق بالصواب، الناهي عن الكذب في كل مقال، المبغض كل كذاب وبطال، المحاسب على النقير و القطمير، العفو عن كل صغير وكبير، المتفضل على من شاء من عباده المؤمنين. الذي جعل لكل نبي عدوا من المجرمين وجعل العلماء ورثة الأنبياء، في إرشاده للخلق والاصطفاء والاهتداء، وجعل كل ذي نعمة محسودا وأرشد الحسود على أن لا يبغي وإلا كان شره إلى نحره مردودا.. والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي دوخ عند نشر البنود وفرق شمل الكفرة الحسدة البغاة من كل الكتائب والجنود، وعلى آله وصحبه الذين هاجروا وجاهدوا لنصرته فنصرهم الله، ومن تبعهم على سبيلهم وتشبث بهم وحبهم إلى يوم الدين يجاهد أعداء الله.

أما بعد فإن كرم الفروع وطيبهم ومجدهم وشرفهم وشجاعتهم وعزهم وثمرتهم ورزانتهم في الأمور الدنيوية والأخروية تنبئ عن عظم شأن أصولهم وطيبهم وشرفهم لقول الشاعر:

أرى كل عود نابتا في أرومة أبى منبع العيدان أن يتغيرا

فطهارة الأحساب تدل على شرف الأنساب وكل من أراد الخوض في شيء ما فليس له أن يخوض إلا بما هو صحيح مشهور معروف في الشرع أو منقول عن العلماء الثقات المعتبرين أو تصدقه الدلائل، وإلا كان مطروحا مهجورا وبالا على قائله في الدنيا والآخرة مخجلا له في كل ملإ، قد صيره أضحوكة بين الخلق لا عبرة به كهذيان النائم أو صوت البهائم، قال الشاعر:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

فأهل العلم يقولون الناس مصدقون في أنسابهم ما لم يدعوا شرفا ، قيل ولو ادعوا شرفا، فنسبة أبناء الحاج على بن يحي بن عمر: أعني الأتيدات وأبناء أبج المشهورين بإدوبج أشهر وأظهر من أن تشهر أو تظهر لدى كل صديق ومعادي وحضري وبادي وشاسع وداني ومنصف ومعاني، لاكن الحسد أعاذنا الله منه

يعمي يصم وكفى من شؤمه أنه ول ذنب عصى الله به وهو سبب طرد إبليس لعنه الله، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف ويصد عن جميل الأوصاف وكل من تجاهل فإنه يخاطب بخطاب الجاهل إذا ظهرت عليه مخائل الجهل ولو لم يكن جاهلا كما هو مبسوط في كتب البيان:

جاد شفيق عارض رمحه   إن بني عمك فيهم رماح

فلما كان الأمر هكذا فالنسبة المذكورة المشهورة الصحيحة في الفرع والنقل والتاريخ التي تصدقها وتشهد لها طبائع فروعها الموجودات المعاينات هي كما ذكر سيدنا عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي موافقا لما في تواريخ أهلها حين قال في تقييده المشهور في التاريخ في ذكر وفاة من له شأن من الزوايا والمغافرة من أرضنا هذه أعني بلاد المغافرة وفي ذكر الوقائع المشهورات كأم اعبان وقعت في كذا من عام كذا مثلا إلى غير ذلك ونصه ولفظه لما انتهى إلى ذكر وفاة سيد محمود الفقيه الولي المختار ابن الولي العام المشهور عبد الله بن مند بالعجمية أي محمد بالحسانية، ونصه: "وتوفي آخر ذي الحجة منه المتبركين وملاذ المتبررين وإمام طائفة الذاكرين قاني الجزول في اللهج بالذكر وتلقينه طول العمر ولي الله تعالى سيد محمود

الحاجي بتشديد الجيم نسبة إلى جده حاج بيت الله ينتسب إلى يحي بن عمر، بفتح العين وسكون الميم اللمتوني وهو الذي يقال له ملك الحق بكسر لام ملك، أخي أبي بكر بن عمر نزيل أم لعويتكات من أرض تكانت ومعناها في البربرية الغابة ولي الأمر بعد أخيه يحي المذكور ثم انخلع منه ليوسف بن تاشفين لقضية معلومة، قال ابن الخطيب:

وأطلعت بمغرب لمتونه	بدولة عزيزة ميمونة
لمجمع دينا وعفافا وكرم	لم يدر قدر فضلها حتى انصرم
منهم أبو بكر حليف الدين	ويوسف وهو ابن تاشفين

وقد ولدتنا لله الحمد أمهات كريمات شريفات متعددات . وقد ورد في الخبر:" كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري" أو كما قال، وقد اختلف العلماء في من أمه شريفة هل هو شريف مثل من أبوه شريف، أو له شرف دون من أبوه شريف وكفى ذلك في الشرف والعز في الدنيا والأخرى قال[...] والاتباع لرسول الله أولا وآخرا ما لغيرنا من البعد والبغض فيه (كذا...) ولكننا من كرم أصولنا وحياء فروعنا وأشرتنا الخمول على الظهور وتعززنا بعز الله المشار إليه بقوله تعالى {ولله العزة

ولرسوله وللمؤمنين..} والتزيي بزي الصالحين قديما وحديثا واقتفائنا آثار أوائلنا من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن لم يفتخر بأجدادنا امتثالا للسنة قال تعالى:" إن أكرمكم عند الله أتقاكم "قالت العرب لما نزلت:

ضاع النسب. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله أذهب عنكم غي الجاهلية وفخرها بالآباء مومن تقي وفاجر شقي أنتم بنوا آدم وآدم من تراب". وقيل الفخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية ولقوله:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا	ك مضمونه عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا	الفتى من يقول كان أبي

ولولا ذلك لكان الفخر حقا قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولأجدادنا ولأصولنا ولفروعنا في الدين والدنيا والآخرة، لأن لمتونه من حمير كما قال: لمتون بطن خرجت من حمير.

وشرف حمير وعزها أشهر مشهور في العرب والعجم في الجاهلية والإسلام لأنهم ملوك العرب في الجاهلية يعلم ذلك من طالع كتب السير حتى أن عبد الله بن عبد المطلب الملقب شيبة الحمد (...كذا) وفد على سيف بن ذي يزن الحميري في وفد من (...) بني عبد مناف من قريش فاستأذن عليه فقال إن كنت ممن

يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فأتاه فتكلم بما أذهل العقول فصاحة وبلاغة فأضافه أحسن الضيافة وأتحفه أي إتحاف فأعطاه من أنواع الأموال أضعاف ما أعطى لقومه وأمر له به كل عام وبشره برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من صلبه فمات قبل العام القابل . يعلم هذا من طالع الاكتفاء ومبسوطا مضبوطا من سجع عبد المطلب النفيس وتفصيل ما وقع بينهما من الكلام الحسن والجوائز العظيمات ، والقرم تبع الحميري هو الذي يقول:

شهدت على أحمد أنه	رسول من الله باري النسم
فلو مد دهري إلى دهره	لكنت وزيرا له وابن عم
وألزمت طاعته كل من	على الأرض من عرب أو عجم
ولاكن قولي له دائما	سلام على أحمد في الأمم

ويدل على عزهم وعظيم شأنهم في الدنيا والآخرة ورفعة هممهم وشرفهم نصرتهم وإيواؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش بين العرب والعجم كلا وتحملهم لحرب قريش واستصغارهم لمعاداتهم في الله نصرة لدين الله بعد أن عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على كل أهل الأرض عربا وعجما فلم يقدر أحد على حرب قريش سواهم فهم السبب في

إعلاء دين الله وعبادته ونصرة نبيه عليه الصلاة والسلام وإهلاك الكفر وأهله وقمعهم ولولاهم لم يعبد الله في الأرض وقال عليه الصلاة والسلام فيهم من الأحاديث ما تشهد لذلك منها "الأنصار كرشي وعيبتي" ومنها "لو سلك الناس فجا وسلك الأنصار فجا لسلكت فج الأنصار"، ومنها "إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع"، ومنها "رحم الله الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار"، ومنها أترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون أو تروحون أنتم برسول الله إلى بيوتكم أو كما قال، فقالوا : رضينا رضينا يا رسول الله، إلى غير ذلك.

فالفخر إنما هو بالعز والشرف في الجاهلية أو الإسلام في صدره أو في ما بعد ذلك فإن كان الفخر فخر الجاهلية فقد بينا فيها ما يكفي فيه وإن كان في صدر الإسلام فكذلك وإن كان فيما بعد ذلك فنحن الملوك مع الناس أهل العدل والكرم والدين كما في نظم ابن الخطيب رقم الحلل في نظم الدول، وإن كان في هذه الأزمنة الفاسدة بفساد أهلها فأرونا، والأمر للتعجيز، كما قال:

أولائك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فخرا مثل فخرنا.

فإنا نقول إن هذه الأرض وجدناها كفرا وسودانا ففتحناها

وجعلناها بإذن الله إسلاما وأزحنا السودان عنها فصار أهلها كما ترون، لأن كل من ليس سودانيا، هنا من غزوتنا ومحلتنا وجندنا متناسل ومتولد وها نحن بنوالحاج قدموا من يعيرنا منصفا صادقا بشيء يدنس في عرض أو في دين أو ذل أو نقيصة ما في حرب أو سلم في عامة أو خاصة أو في أيامنا مع عدونا فها نحن أعز الناس وأهيبها وأعلمها وأقساها وأطوعها وأرضاها بالقضاء واشكرها لنعم الرب وأغناها عن الخلق وأفقرها لعطاء الله وأقلهم ضررا أو ظلما على خلق الله نحمده ونشكره على ما أولانا من الفضل والكرم لا أحصي ثناء عليه وكما أثنى نفسه وأثنى عليه بما هو أهله ثناء يليق بكماله ونصلي ونسلم على نبيه وآله وصحبه المجاهدين في سبيله وسنته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأما نسبة كنت فلم نذكر فيها إنشاء الله إلا ما تلقينا وروينا عن الثقات ونعوذ بالله الحنان المنان الرؤوف الرحمن أن ننطق بما لم يحدثني به ثقة معتبر، وأما مثل كون نسبهم قيل فيه أنهم زفانون حتى قيل أن بعض صلحائهم وأوليائهم وهو الشيخ [سيد المختار] بن أحمد بن أبي بكر برواية محمد بن سيد الأمين بن

الطالب سيد أحمد عنه على ما حدثني به الثقة، أنه طلب من الله أن يريه ويحقق له نسبهم فأراه مناما أو يقظة شيخا بيده آلة الزفان أو عجوز بيدها آلة الأنثى منهم أو هما معا فقال له أو قالت أو قالا نحن جداك أو أنا جدتك أو أنا جدك ... فلم أقف له على شيء صحيح وإنما هي مقالة شائعة على السنة العامة فلا أدري أصحيحة أم باطلة والله أعلم بصحتها وهو حسيب من قالها مع أن الناس ربما عيرتهم بذلك حتى أنهم ليستدلون على صحة ذلك بطباع كثير منهم كطباع الزفانين كالغناء وكثرة الكلام وفشل العقول وكثرة الخيلاء وخفة العقول والطمع والجبن والرقص والتصفيق حتى أن أحدهم ليقعد بين بناته وهو شيخ كبير يرقص وهن يصفقن وكثرة الطيش ولؤم الطبع وحمية الجاهلية العامة عليهم وتكبرهم على كل الخلق وعدم إنصافهم من أنفسهم وكثرة ظلمهم وعمومه لعباد الله والتجبر على المساكين والصلحاء، والمسكنة والذل لأعداء الله عكس ما مدح الله به رسوله صلى الله عليه وسلم واصحابه حيث يقول تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم.."إلخ.

أما الطباع المذكورة فقد شاهدت بعضها كثيرا في بعضهم، أما ما حدثني به الثقة في النسب المذكور هو أن سيدنا وشيخنا

سيد عبد الله بن الحج ابراهيم العلوي وهو أعلم زماننا وأورع أهله وأوثقهم وأعدلهم شهدت له بذلك الأمصار والأقطار والصلحاء والسلاطين والعلماء والتلامذة وأهل الخير أينما كانوا من مرسى البحر الغربي إلى مكة شرفها الله حتى قال أهل الكشف المعتبرين المشتهرين فيه إنه القطب وما حدثني به هو أن أصح ما عند كنت من النسب هو ما بيد الشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي نفعنا الله به وبأمثاله من أنهم ينتسبون إلى عقبة المستجاب رضي الله عنه وعقبة قال فيه معرفة الأصحاب أنه من قريش العوالي أي البوادي لا من قريش البطحاء وقريش العوالي نسبهم مختلف فيه هل هو ثابت أم لا، انتهى، وليس انتسابهم لبني أمية مستند لشيء وإنما هو كلام رمى به جزافا لا أصل له ولا فخر فيه لو ثبت لما روينا [..كذا] لكن عندي أن فخرهم بكونهم من بني أمية، على تقدير أنهم منهم، ليس بفخر به أحد رأى المحيد عنه وهو من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لما ورد فيهم من الأخبار التي ضمنها البعد من الله ورسوله لعدم عدلهم وركاكة ديانتهم ومرادنا منهم الخلق المعروف، نَبِي منهم اليزيد المختلف بين كفره وفسقه والوليد الذي مزق المصحف وقال:

إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

ومن عمالهم الحجاج بن يوسف الثقفي المشهور أمره في إفناء هذه الأمة صحابة وتابعين ظلما وعدوانا إلى غير ذلك مما يطول شرحه وبغضهم لآل النبي صلى الله عليه وسلم وعداوتهم لهم وقتلهم الحسين رضي الله عنه ومن معه من الآل أعاذنا الله من سوء أفعالهم وقبيح طوياتهم وجرأتهم على الله.

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

ومما ورد فيهم "الوزغ بن الوزغ"ومنها "هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش" ومنها "أول من غير سنتي رجل من بني أمية"، ومنها روي عنه عليه الصلاة والسلام أصبح حزينا فأتاه جبريل عليه السلام فقال له إني أراك اليوم حزينا فهل من شيء [كذا] بني أمية يتواثبون على منبري هذا تواثب القردة واحدا بعد واحد حتى كان من آخرهم رجل جبار صعد عليه فأخضله بده (...) ولم يزالوا منهمكين في فسادهم وظلمهم وشربهم الخمور وأنواع المعاصي سوى الاشج والناقص المذكورين في حديث الأشج والناقص أعدلا بني مروان حتى من الله على خلقه بعبد الله السفاح فانقرضت دولتهم وقامت [دولة بني العباس المباركة المشهورة فطهرت الأرض من ظلمهم وسفكهم الدماء بغير حق

شرعي، وقد بلغني عن بعض الناس أنهم حلفاء لبني أمية من كونهم زفانين لهم أو غير ذلك، والله أعلم وأحكم بالصواب وإليه المرجع وعنده حسن المآب.

وليعلم الناظر فيه أنا لم نقصد فخرا ولاكن مقصدنا الذب عن نسبنا الكريم الشريف لما بلغنا من طعن كنت فيه حسدا وبغيا وجهلا، فأردنا تبيان الحق وإيضاحه قال تعالى: "بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون".

فإن الفخر بالآباء المسلمين محرم وأحرى بالآباء المشركين، ولم نقصد الطعن في نسب كنت لأن الطعن في الأنساب محرم وإنما قصدنا قمعهم وردهم بالحق عن باطلهم وكذبهم بما ذكرنا في نسبنا وبما قيل في نسبهم لعل ذلك يردهم عن خرافاتهم إذا علموا أن نسبهم يقال فيه ما يخجلهم وإن نسبنا كما قيل وسطر إن كانت لهم عقول:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

* * *

علي نحت المعاني من معادنها وما علي إذا لم يفهم البقر

لا أنا قصدنا فخرا أو طعنا أعاننا الله منهما وتاب علينا وغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر ونستغفر ونتوب إليه من

كل اعتقاد باطل وقول كاذب وفعل فاسد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

لائحة المصادر والمراجع

- أثر العرب في تاريخ المغرب : مصطفى أبو ضيف
- الأخبار ..: هارون بن الشيخ سيديا بابه ، تحقيق باب بن هارون، نشر المطبعة السريعة ، انواكشوط ، 1998-1999
- الإرشاد في الاعتقاد ، [= المنة في اعتقاد أهل السنة] : الشيخ سيد المختار الكنتي (مودع في خزانة زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي ــ انواكشوط)
- الأعلام : خير الدين الزركلي ، ط. دار العلم للملايين ،
- افتتاح الدعوة : القاضي النعمان ،
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، أحمد بن خالد الناصري السلاوي ،
- البيان والإعراب عم من حل بأرض مصر من الأعراب، المقريزي ،
- البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب ،: ابن عذاري المراكشي
- التاج والإكليل شرح مختصر خليل : ط. على هامش مواهب الجليل للحطاب،

- تاريخ الأدب العربي : كارل ابروكلمان، تعريب حجازي و"آخرون" نشر الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،
تاريخ إدوعيش ومشظوف : باب بن الشيخ سيديا، تحقيق إزيد بيه بن محمد محمود، مطبعة المعهد التربوي، انواكشوط، 1994
- تاريخ افريقيا العام، مجموعة مؤلفين ، ط. أديفرا-جون آفريك، نشر اليونسكو، باريس
- التاريخ : الطالب أحمد بن طوير الجنة، تحقيق سيد احمد بن أحمد سالم، الرباط، معهد الدراسات الإفريقية، 1994
- تاريخ المغرب : حسين مؤنس، ط.
- تخليص الإبريز في تلخيص باريز : رفاعة الطهطاوي
- تاريخ جدو بن الطالب الصغير : جدو بن الطالب الصغير البرتلي ـ تحقيق م.ع. بن زيني، مذكرة تخرج، قسم التاريخ، كلية الآداب، 1993
- حياة موريتانيا : المختار ابن حامد، موسوعة مرقونة مودعة في المعهد الموريتاني للبحث، انواكشوط.
- الحياة الثقافية، جامع الأصول : ابن الأثير مبارك بن محمد الجزري،

- الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج القشيري، بيروت، دار الفكر ن د.ت.
- الجامع الصحيح : البخاري
- جمهرة أنساب العرب : ابن حزم الأندلسي ،
- الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين: ددود بن عبد الله، د. د.ع ، كلية الآداب - الرباط ، 1992
- الحكم العطائية : ابن عطاء الله
- حوليات تيشيت
- حوليات النعمة.
- حوليات ولاته.
- خلاصة تاريخ سبتة : الحاج محمد السراج
- الخلافة الفاطمية بالمغرب : د. فرحات الدشراوي
- الدرر الكامنة : ابن حجر العسقلاني
- الدولة الأغلبية : د. الطالبي
- ديوان ابي تمام، بيروت، دار صادر، د.ت.
- ديوان الأعشى، بيروت، دار صادر، د.ت
- ديوان الخنساء، بيروت، دار صادر، د.ت.

- ديوان المتنبي، بيروت، دار صادر، د.ت .
- الرسالة القشيرية
- الروض المعطار : الحميري، تحقيق إحسان عباس
- رحلة ابن بطوطة [= تحفة النظار ..] : محمد ابن بطوطة اللواتي الطنجي ، ط.
- رحلة التجاني، نشر الدار العربية للنشر، طرابلس - تونس،
- الزاوية الدلائية : د. محمد حجي،
- صحيحة النقل : عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي، نسخة مكتوبة في 1205هـ(مخطوط).
- ضالة الأديب : ابن انبوجة العلوي ، تحقيق الدكتور أحمد جمال بن الحسن ، نشر الإيسيسكو، الرباط
- طبقات علماء إفريقية ، أبو العرب تميم
- الطبقات الكبرى للشعراني
- الطرائف والتلائد ، الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي ن ج2 تحقيق عابدين بن حم لمين ، نشر المعهد الموريتاني للبحث ، انواكشوط ن 1992

- ساطع الإنارة في أخبار شرفاء تيشيت وطلبتها بأوضح عبارة، بوي حمدي بن الشريف المختار بن بوعسريه، مخطوط بحوزة د. محمد بن مولود .
- سفر العرب الأمازيغ : علي فهمي اخشيم،
- شجرة النور الزكية : محمد محمد مخلوف، بيروت، دار الفكر ، د.ت.
- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر : د. أحمد جمال بن الحسن ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ،
- العلاقات الفكرية [الصلات] بين بلاد شنقيط والمشرق العربي : حماه الله ولد السالم، معهد البحوث والدراسات العربية العالية ، 1995
- العضب اليماني : ابو العباس أحمد بن سيد محمد العلوي، مخطوط .
- العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، ط
- فتح الدهور ..: ابن امبوجه ، مرقون
- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور : الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، تحقيق د. محمد حجي

ود. محمد ابراهيم الكتاني ، بيروت ن دار الغرب الإسلامي ، 1981

- فتوح مصر وإفريقية : ابن عبد الحكم
- الفتح الكبير : السيوطي
- فهرس الفهارس : عبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982-1986
- القانون في الطب : ابن سينا
- "كتاب الأمثال" : ابو الشيخ الاصفهاني، ط1، الهند، 1982
- كنتة الشرقيون : بول مارتي، تعريب محمد محمود ودادي، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، د.ت
- متن مشكول البخاري بحاشية السندي،
- المحاضرات : ابوالحسن اليوسب ، ط. الدار المغربية للنشر
- المجموع النفيس سرا وعلانية : شيخ موسى كمرا، مخطوط نسخة د. ددود بن عبد الله
- ترتيب المدارك : القاضي عياض ، تحقيق أحمد محمود بكير، بيروت ، 1967
- مدونة سحنون : عبد السلام بن سعيد الملقب سحنون،
- المعجم الأوسط للطبراني

- المعجم الصغير للسيوطي
- المسند للحاكم، بيروت، دار الفكر، 1978
- المعيار المغرب، الونشريسي، تحقيق د. محمد حجي و"آخرون"
- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : أبو عبيد البكري ، ط. دوسلان 1858 تصوير مكتبة المثنى، بغداد، 19
- مفتاح الأرواح : ابن عطاء الله ، ط. على هامش المنن للشعراني ، ط. مصر،
- منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله فتح الشكور ، تحقيق محمد الامين بن حمادي ، مذكرة نهاية الدراسة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، 1993
- المنهاج في أخبار إدولحاج : المصطفى بن كتاب ، عمل مرقون .
- مواهب الجليل بشرح مختصر خليل : الحطاب ، ط. بيروت
- موريتانيا عبر العصور : اسلم بن محمد الهادي.

فهرس الأشخاص

الألف

الباء

الخاء

الدال

الزاي

العين

الغين

السين

الشين

الطاء

الفاء

القاف

اللام

الميم

الكاف

فهر الأماكن

الألف

الباء

التاء

فهرس الجماعات والعشائر والأمم

الألف

الباء

الدال

الراء

السين

الصاد

الكاف

اللام

الميم

العين

الواو


Bibliotheca Alexandrina
1147408